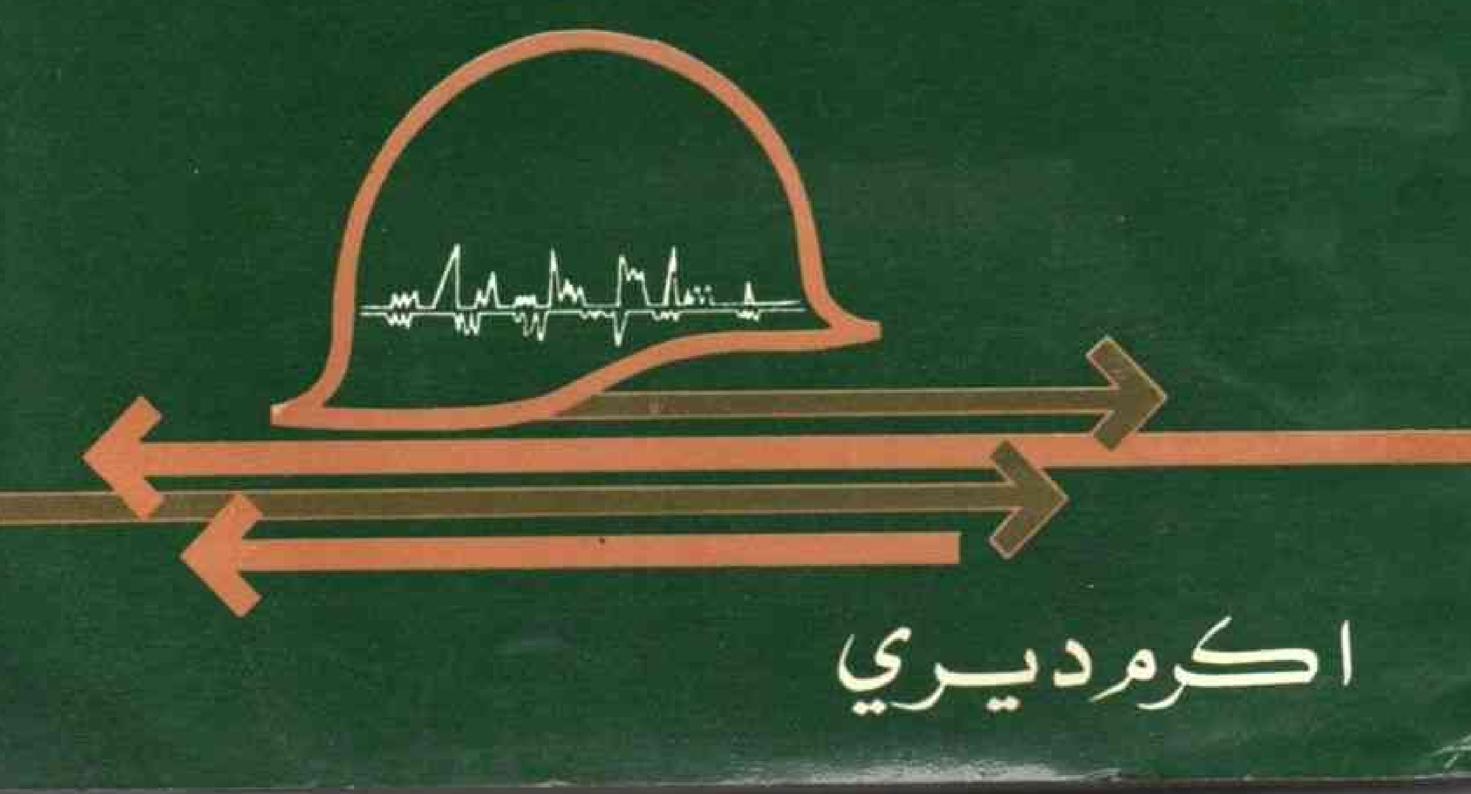
المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

آراء في الحرب

الاستراتيجية وطريقة القيادة



اكرم ديري



آراء في الحرب

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير ـ ت ٨٠٧٩٠٠/١
برقيا ـ موكيالي بيروت ـ ص. ب. ٥٤٦٠/١١ بيروت

الطبعة الثالثة

١٩٨٤

اكرم ديري

آراء في الحرب

الاستراتيجية وطريقة القيادة



المكتبة العالمية

بغداد - شارع السعدون - ساحة التحرير

الباب الشرقي ص.ب : ٦١٧٧ المنصور

هاتف : ٨٨٨٩٣٥٢

المقـــدمـــة

بعد أن غزت الحرب كل ميادين النشاط البشري ، وأضحت تستخدم مختلف الوسائل لتحقيق أغراضها ، أصبحت مهنة العمل الحربي من أصعب المهن وأشقها . وكانت هذه المهنة صعبة جدا منذ القدم ، ولكنها أصبحت أصعب بكثير في أيامنا هذه بعد أن دخلت فيها عوامل متعددة ومتسعة. وقد وصف الجنرال ديغول العمل الحربي في كتابه « حد السيف » . وبرهن على اتسامه بصفة عدم الاستقرار ، وتعرضه للتبدل والتنوع ، واعتبر هذه الصفة هي التي تصنع صعوبة التفكير وعظمته . اذ يضطر الذكاء والتخيل الى سبر أغوار المجهول في هذا المجال ، والى القيام بمحاكمات تخرج عن السبيل المألوف لحل المعضلات التي تفاجىء القائد . اذ ما يكاد الذكاء ينكب بالطرق المألوفة على حل بعض المشكلات ، حتى تفاجئه بعض التفاصيل « فيرى عنصرا من عناصر الموضوع يفلت منه أو حدثا من الاحداث يخيب أمله ، ولا يستطيع مصباح الذكاء أن يلقي على الاسباب المتعددة الغامضة الا بعض الضوء الخافت ، ولا يجد منطقة نقطة صلبة يمسك منها جميع التأثيرات المتشابكة ، وينساب سيل الظروف المتحركة المضطربة من شباكه كما ينساب الماء من شبكة الصياد »[1].

ان العدو الذي يواجه القائد عامل متبدل ، يتطور باستمرار ، وما يعرفه القائد في لحظة الاشتباك قد يتغير ويتبدل خلال ساعات . ولا يمكن لذكاء

---

(١) حد السيف – الجنرال ديغول – منشورات دار الطليعة – بيروت .

القائد مهما كانت قوته « أن يكشف بكل دقة وتأكيد ماهيته وشكله وأفعاله الحالية والمتوقعة . » [1] . ولهذا تلجأ القيادات الحربية باستمرار الى التحليل المشترك ، والى التركيب (تقدير موقف الاستخبارات) [2] الذي يشترك فيه عدد كبير من ضباط مختلف ادارات الجيش بعد ملاحقة كل تحركات العدو ، وجمع كل المعلومات عنها ، لكي تخرج بمحصلة تسمح بمعرفة نوايا العدو . وتعوض النقص الذي لا يمكن لذكاء القائد أن يتلافاه . فقد يقدر ذكاء القائد أن العدو لن يهاجم في ظرف معين لاسباب عديدة يبني عليها فرضيته . غير أن الذكاء في هذه الحالة لا يستطيع أن يعتمد على تحليله المنطقي ، اذ قد يلجأ العدو الى الهجوم بفعل ظروف عديدة أخرى غابت عن الاعتبار أثناء المحاكمة المنطقية . ولهذا تستمر أعمال مراقبة العدو واستطلاعه باستمرار في كل وحدات الجيش وعلى كل المستويات ، ويستمر جمع المعلومات وتحليلها لكي لا يفقد الذكاء عنصرا من العناصر الاساسية لمحاكمته . وفي هذا الصدد يقول الجنرال ديغول : « ولهذا السبب أيضاً نرى أن أكثر القادة العسكريين العظام الذين عرفهم التاريخ كانوا لا يهاجمون خصمهم الا بعد معرفة الكثير عنه وعن عاداته ، وعن تقاليده ، وعن صفاته النفسية والمعنوية وأسلوب قتاله . وقد جابه هانيبال الرومان في معركة كان وهو يعرف الكثير عنهم . وكان يعرف الشكل العادي لقتالهم ، ويعلم أن جيشهم يعمل داخل نظام متراص جدا وعلى ثلاثة أنساق . وان قوة هذا الجيش تكمن في التنسيق وان تحطيم ذلك التنسيق يعني تحطيم تلك القوة . »

وللوسائط في العمل الحربي أهمية خاصة ، لا يستطيع القائد تجاهلها أو التقليل من قيمتها . ولا بد للقائد الناجح من معرفة حدودها وامكاناتها . ولا تكفي القائد معرفته بامكانات وسائطه وحدودها ، بل ينبغي أن تمتد معرفته الى امكانات العدو ووسائطه . فقد كان نابليون يعرف جيشه معرفة رائعة ،

---

(١) المرجع السابق .

(٢) او تقدير موقف ادارة الاستطلاع في بعض الجيوش العربية .

ويعي قدرة كل عنصر من عناصره ويعطي لكل عنصر منه المهمة الي يستطيع أن ينفذها بقوة وفاعلية .

وللارض أخيرا أهمية خاصة في العمل الحربي ، اذ ينبغي أن يتم كل تحليل للمهمة التي يتلقاها القائد ، على الارض المحددة لها ، وبشكل يأخذ بعين الاعتبار تضاريسها وطبيعتها .

ان أفضل أسلوب ينبغي اتباعه في العمل الحربي هو الاسلوب الذي اقترحه الجنرال جان بيريه – أحد الجنرالات الفرنسيين البارزين [1] :

– طريقة **واضع النظريات** الذي يمعن الفكر بالتجارب . ويستخرج منها قواعد عامة ويشترك في اعداد العقيدة .

– طريقة **الطبيب** الذي يحلل ويناقش ويزن المعطيات لحالة خاصة محددة .

– طريقة **رجل العمل** الذي يستنتج ويقرر وينفذ .

ونحن نتعرض اليوم لمعركة مصيرية . ونواجه « غزوا بشريا مستوردا » اغتصب فلسطين العربية وأجزاء من أرض ثلاث دول عربية ، ونحاول بشتى الاساليب والطرق الافادة من الدروس التي تعلمناها من الهزائم التي منينا بها نتيجة الاخطاء العديدة المرتكبة في كل المجالات .

وقد بنينا عقيدتنا العسكرية في الماضي على أساس دفاعي ، وكنا نحاول ردع خصمنا بالحواجز والسدود والتحصينات التي أقمناها ، في حين كان خصمنا يتبنى استراتيجية دفاعية–هجومية ممزوجة بضربات ايقاف دفاعية شرسة ، تليها عمليات هجومية ميكانيكية صاعقة . وواجهنا هذا الخصم خلال عشرين عاما ونحن لا نملك أي مضمون سياسي مشترك لاستراتيجية شاملة تجاه قضية فلسطين منذ أن حدثت مأساتها . وكان غياب هذه الاستراتيجية الشاملة [2]

---

(١) الذكاء والقيم المعنوية في الحرب : الجنرال جان بيريه–منشورات دار الطليعة–بيروت .
(٢) السوق الاكبر في بعض الجيوش العربية .

السبب الرئيسي لكل النكسات التي حلت بنا . وفي حين افتقرنا الى استراتجية واضحة المعالم في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية كان خصمنا يملك استراتيجية واضحة المعالم ، محددة المراحل منذ قيام الحركة الصهيونية حتى يومنا هذا .

ان الاستراتيجية (فن السوق) [1] ليست عقيدة جامدة ، انها دراسة العمل الحاضر على ضوء معطيات المستقبل ؛ وهي العمل المعاصر الذي يستمر في التنفيذ ضمن اطار رؤية تنظيمية للتطور المقبل بمجموعه . وبغرض ترجيح بعض الامكانات أكثر من غيرها واختيار هذه الامكانات لكونها ذات طابع سياسي [2] .

وهكذا وفي غياب استراتيجية (فن السوق) عصرية واضحة المعالم ؛ وفي غياب عقيدة سياسية وعسكرية متلائمة مع أوضاعنا استطاع الخصم الصهيوني والامبريالي ضربنا لاننا **لم نكن نملك هدفا سياسيا متفقا عليه من الجميع** ، ولم نضع كل الوسائل المتاحة في خدمته وتعرضنا للهزيمة . **وسنتعرض لهزائم أخرى اذا لم يكن لدينا :**

١ – **استراتيجية قومية شاملة** لها مضمونها السياسي وخطها الايديولوجي .

٢ – **عقيدة عسكرية منبثقة عنها .**

٣ – **استراتيجية عسكرية طويلة المدى** ، وذات نفس طويل لا تتورع عن ضرب كل المصالح الامبريالية في المنطقة ، تعتمد على العمل الوحدوي الثوري الجماهيري .

• • •

---

(١) Stratégie, Strategy.

(٢) بناء المستقبل – الجنرال اندريه بوفر ، منشورات دار الطليعة .

هذا الكتاب محاولة متواضعة لبحث بعض المواضيع الاستراتيجية (السوقية) والعسكرية ولوضع أسس العمل الفكري الذي يقوم به القائد عندما تواجهه معضلة من المعضلات العسكرية . وانني لا أعتبر هذا الاسلوب أسلوبا جامداً. بل هو اسلوب يتسم بالمرونة ، وبوسع القائد أن يضع لنفسه أسلوبه الخاص في حساب الاحتمالات ووضع الفرضيات . فكثير من الاحتمالات الضعيفة تحققت في التاريخ . مع أن هناك احتمالات أقوى وأكثر توقعا ، واكتملت لها كل شروط التنفيذ ، ولكنها لم تتحقق . ولكن هذه المجموعة من الدراسات دعوة عقلانية لفهم آلية العمل الفكري للقائد ، وبنائه على أسس علمية .واني لا أدعو الى وضع جهاز عسكري « كلباس مفصل على المقاس » بل ان هدفي منهذه المجموعةمن الدراسات ايجاد جهازعسكري قادر على التلاؤم والتطابق مع كل الاوضاع . وتهدف هذه الدراسات الى تنظيم دفاعنا عن أنفسنا ازاء الهجمة الصهيونية الامبريالية الشرسة على أساس علمي ، لان التاريخ يحكم بادانة كل الحكومات التي امتنعت عن استخدام كل الوسائل للدفاع عن شعوبها وعن أراضيها .

وكلي أمل بأن ينضم هذا الكتاب الى المكتبة العسكرية العربية ، رجاء أن يكون فيه بعض الفائدة .

٢٧ – ٥ – ١٩٧١ **أكرم ديري**



الباب الأول

في الاستراتيجية



الفصل الأول

الاستراتيجية.والاستراتيجية غير المباشرة

- الفرق بين الحرب المباشرة .. وحرب الانهاك والمراوغة والاعياء .
- المهم تدمير مراكز العدو العصبية .. وليس تدمير أجساد جنوده .

منذ الازمان القديمة حتى اليوم نرى نموذجين للحروب يتصارعان : النموذج المباشر ، والنموذج غير المباشر . أو ما يسمى في لغة التكتيك العسكري « الاستراتيجية المباشرة ، والاستراتيجية غير المباشرة » .

فالاستراتيجية المباشرة هي النموذج الحربي الذي يتضمن « **أخذ الثور من قرنيه** » . ويتسم هذا النموذج من الحروب بارادة القضاء على الخصم بسرعة بواسطة المعركة ، وبهجوم يستهدف القضاء على ترتيبه الهجومي أو الدفاعي .

أما الاستراتيجية غير المباشرة فهي النموذج الحربي الذي يتضمن « **عدم أخذ الثور من قرنيه**» وهو نموذج يلعب فيه الطموح والصبر دورين أساسيين ، اذ يعتبر المعركة المباشرة مع العدو حلاً من أسوأ الحلول . وان من الواجب تفتيت الخصم ماديا ومعنويا وازعاجه وزعزعة توازنه ، واستنزافه من كل النواحي ،**والاقتراب منه من اتجاهات لا يتوقعها قبل الاجهاز عليه اجهازا تاما.**

---

(١) فن السوق – انظر المعجم الصادر عن لجنة المصطلحات العسكرية التابعة للجامعة العربية .

ولكي نفهم الاستراتيجية غير المباشرة فهما واضحا ينبغي أن نعرف أنها ليست خالية من القتال : « فهي تمزج في القتال بين مجموعة من التظاهرات والمراوغات والعمليات ضد مواصلات العدو وشؤونه الادارية ، فالهدف منها **هو تفكيك العدو وتفتيته قبل الاجهاز عليه واعطاؤه احساس الفريسة المطاردة.** فينبغي دون أن نشتبك معه أن نقضي على أمنه وموارده وأن ندمر معنوياته **والا نضرب الا ونحن واثقون من أن ضربتنا ستحقق هدفها** . ان علينا أن نبقى حقيقة قائمة وموجودة أمام عينيه ومشكلة من المشاكل التي تستعصي على الحل بتضافر أعمال التقرب المبهمة والمحيرة وأعمال التملص التي لا تكشف غرضها الا في اللحظة الاخيرة . ثم تفرض عليه احساس الفخ أو الشرك المنصوب » .

والتاريخ القديم والحديث حافل بأمثلة الاستراتيجية غير المباشرة . وقد صنف الجنرال « اندريه بوفر » عملية انزال الحلفاء في شمال أفريقيا عام ١٩٤٢ ، ومعركة صربيا في عام ١٩١٨ في عداد استراتيجية التقرب غير المباشر . كما حلل « ليدل هارت » في كتابه « الاستراتيجية وتاريخها في العالم » كل المعارك الحاسمة في التاريخ. والتي كان كسبها نتيجة للاستراتيجية غير المباشرة التي اتبعت فيها ابتداء من الحروب اليونانية الى الحرب العالمية الثانية . فحركات هانيبال قائد قرطاجة وغزوه لايطاليا عام ٢١٨ ق.م . عبر قمم الالب : في طريق صعبة ووعرة وهو يقود جيوشا من الفيلة ، حركة برية غير مباشرة تصنف في عداد هذه الاستراتيجية . وحروب الاسكندر المقدوني ، والحروب البيزنطية التي برز فيها بيليزير ضد الفرس : كلها معارك حاسمة تتأكد فيها أهمية الاستراتيجية غير المباشرة.

ويرى ليدل هارت أن هناك نوعين من الهجوم الاستراتيجي غير المباشر : نوع مادي يستهدف القوات المعادية، ونوع معنوي يوجه الى مركز تفكير هذه القوات وجهازها العصبي لشله ومنعه من التفكير والتخطيط والتعزيز

ومن خلال التحليل التاريخي للمعارك الحاسمة ، يرى ليدل هارت أن الهجوم غير المباشر يتمثل في الامور التالية :

١ – **احتلال موضع** يهدد مجنبات الخصم ماديا ويؤثر عليه معنويا .

٢ – **تجاوز الحصون** والمواقع الدفاعية المحصنة والالتفاف حولها وعدم الاشتباك معها .

٣ – **الاعتماد على العوامل النفسية** . أكثر من الاعتماد على العوامل الادارية .

٤ – عند مهاجمة العدو . **خلق ثغرة في نقطة أشبه أن تكون « مفصلا » حساسا** . او ارتباطاً مفصلياً [1] في ترتيبه الهجومي أو الدفاعي بغية تفتيته وتجزئة قواه وعزلها عن بعضها .

وعندما وصل ليدل هارت في تحليله الى القرون الوسطى . وقيم المعارك والحملات وجد أن الاستراتيجية (فن السوق) لم تزدهر في الغرب بعكس الشرق الذي قدم أمثلة رائعة للاستراتيجية . فقد تميزت حركات جنكيز خان بسعة المناورة والمفاجأة والهجوم غير المباشر الاستراتيجي والتكتيكي (التعبوي) .

وقد ذكر ليدل هارت أن كرومويل اشتهر في القرن السابع عشر بمعاركه غير المباشرة . فقد كان يقوم بهجماته مستغلا الظروف الجوية السيئة . والليالي الممطرة ، والاجواء ذات الرياح الهادرة المخيفة . وكان يهاجم في هذه الظروف مؤخرات خصمه وخطوط مواصلاته ، ومراكز قياداته ونقاط تموينه . وقد طبعت هذه الظروف التي استغلها كرومويل المعركة بطابع المفاجأة .

وفي حروب القرن الثامن عشر . برزت أهمية محافظة كل قيادة عسكرية

Articulation (١)

على قيمتها المعنوية ، وبرزت أهمية هذه القيمة بالنسبة للقيم المادية . فقد كان فردريك الاكبر مثلا يعيش وسط جيشه ، وهو يسعى بكل الوسائل الى **ملاءمة وسائله مع هدفه العسكري** [1] . وكان يتمتع بموقع متوسط بين اعدائه ، وبجيش متفوق « تكتيكيا » ، لذا رأيناه يحارب على خطوط داخلية (متباعدة) قصيرة تمكنه من أن يوجه ضرباته الى خصومه الواحد تلو الآخر ، من المركز الى محيط الدائرة . فكانت هجماته مباشرة على أحد الجيوش ، وغير مباشرة على مجموع القوى التي تحاصره . ثم جاء نابليون فأدخل على الاستراتيجية غير المباشرة فكرة « السد الاستراتيجي » الذي أقامه خلف الجيش النمساوي في منطقة حصينة في ايطاليا بعد أن التف على مؤخرته .

ومن حرب ١٨٧٠ الى الحرب الروسية اليابانية ، كانت معظم الاستراتيجيات استراتيجيات مباشرة . ولهذا لم تكن هذه الحروب حاسمة جدا . وجاءت الحرب العالمية الاولى التي استخدم فيها الهجوم المباشر المدعوم بتفوق ساحق بالمدفعية الا ان كل الهجمات التي حدثت أثبتت أن من الممكن خرق الجبهة ضد عدو ضعيف المعنويات ، الا أن المعركة المباشرة لن تكون في النهاية حاسمة وقادرة على تدميره تدميرا كاملا . وهكذا خرج معظم النقاد العسكريين بدرس قديم قدم التاريخ وهو أن **هدف الحرب الحقيقي هو روح قادة الاعداء لا أجساد جنودهم .**

وفي الحرب العالمية الثانية وسع هتلر الاستراتيجية غير المباشرة قبل الحرب وأثناءها ، وأعطاها أبعادا جديدة على الصعيدين النفسي والاداري ؛ وفي المجالين العسكري والمدني ... وكانت معظم عملياته التي قام بها بين عام ١٩٣٣ وعام ١٩٣٩ مناورات على مستوى « الاستراتيجية العليا » ، لم تسفك فيها الدماء ، احتل فيها وضعا استراتيجياً أفضل من وضعه عند بدء المعركة .

---

(١) Adaptation

وقد وسع هتلر الى حد كبير ، وضمن اطار الحرب الآلية ، أبعاد الاستراتيجية غير المباشرة : وطور الحرب على المؤخرات التي تمثلت بعمليات كبيرة وهائلة : واستخدم الحرب النفسية التي تستهدف شل الجهاز العصبي المعادي لانه أقل كلفة من تدميره وتحطيمه .

ولو أخذنا غزو المانيا الهتلرية لفرنسا اذن لوجدنا أن هذا الغزو يمثل الاستراتيجية غير المباشرة أصدق تمثيل اذ أن مجموعة جيوش « فون بوك » التي تشكل الجهد الرئيسي تحركت في اتجاه كثير التضاريس مليء بالغابات وغير متوقع من قبل الفرنسيين . وعندما اخترقت هذه القوات سيدان غيرت اتجاهها بشكل بلبلت فيه أفكار القيادة الفرنسية وجعلتها في شك من اتجاه هذه الجيوش . « وقد سارت كل الجيوش الالمانية بتكتيك يتلاءم مع استراتيجيتها فتجنبت الانقضاض المباشر ، وبحثت باستمرار عن النقاط الضعيفة لتتسرب منها واستغلت النجاح على خط المقاومة الاضعف » .

وفي حين كان قادة الحلفاء يفكرون في التحضير للمعركة ، كان القادة الالمان يتحاشونها ويعملون على **شل عدوهم استراتيجيا (سوقيا)** باستخدام القاذفات المنقضة والمظليين الذين زادوا الفوضى والاضطراب في مواصلات العدو . وكانت النتيجة التي حققتها هذه القوات مذهلة من كل النواحي .

وكان استخدام القوى النازية الهتلرية العسكرية للحرب الآلية وكل خصائصها يدعو الى الذهول . فكل المعارك التي خاضتها هذه القوى ضد جيوش الدول الغربية انتهت بهزيمة هذه الجيوش مع أن **الجبهات الحقيقية لهذه الدول بقيت سليمة تماما .**

ومع ذلك بقي النصر الاستراتيجي (السوقي) الحاسم في القارة الاوروبية

غير حاسم على مستوى « **الاستراتيجية الكبرى** »[1] لانه سمح للقوات البريطانية والفرنسية بالانسحاب من دنكرك ، مما أتاح لبريطانيا فرصة تقوية دفاعاتها عن الجزيرة بواسطة القوات المنسحبة .

وفي روسيا وفي شمال أفريقيا ، كانت هناك حركات استراتيجية غير مباشرة . ففي روسيا اصطدمت هذه الاستراتيجية ، في المجال الجغرافي ، باتساع الارض ، وباتساع الموارد . وبارادة شعب صمم على الدفاع حتى آخر قطرة من دمه ، متلاحم مع جيشه أشد التلاحم ، فما إن ينسحب الجيش من منطقة من المناطق حتى يتولى الانصار السوفييت ، بقيادة آلاف مؤلفة من أعضاء الحزب الشيوعي ، قرروا أن يدفعوا ثمن الدور الذي يقومون بـه « **كطليعة** » ثورية حاكمة ، بشن حرب غير مباشرة ضد مواصلات العدو وضد مواقعه ومراكزه الحيوية .

أما في شمال أفريقيا فقد برع روميل في الاستراتيجية غير المباشرة وفي الحرب الدفاعية - الهجومية فحصل على انتصارات باهرة .

وقد قال المارشال دو ساكس : « ينبغي أن نستنزف كل وسائل الانتصار كي نتوصل الى عمل ما . ان محاولات القادة المهرة لشن المعارك عندما يخشى الطرفان من المغامرة ، أقل من محاولات تدمير الخصم وتخريبه بطرق أخرى غير القتال » .

وفي التاريخ العربي أمثلة كثيرة على الاستراتيجية غير المباشرة ، وان كانوا في الماضي لا يفرقون كثيرا بين الاستراتيجية والتكتيك . فالاغارات العربية هي نوع من الكر والفر مشابه لغارات **أوكونور** في الحرب العالمية الثانية . وقد تمرس العرب في حرب العصابات ، وهم الذين صنعوا مجد لورانس في

---

(١) السوق الكبير .

حرب الصحراء الى جانب الحلفاء ، وهم أصحاب تلك التكتيكات ، وصانعو تلك الهجمات التي استنزفت الاتراك . وخالد بن الوليد كان من أعظم قادة الهجوم غير المباشر قبل الاسلام وبعده ، في معركة أحد وفي معركة مؤتة ، وفي معركة اليرموك .. وبعد وقعة أليس قام خالد بن الوليد بعملية أخطر بكثير من عملية احتلال جسور نهر الراين التي قام بها الحلفاء لتأمين عبورهم الى المانيا ، مع فارق في العصر ، وفي الوسائط . والتاريخ حافل بأمثلة من هذا النوع على مستوى الاستراتيجية غير المباشرة وعلى مستوى الاستراتيجية الكبرى (السوق الكبير) . فعمر بن الخطاب وصلاح الدين الايوبي من أشهر رواد الاستراتيجية الكبرى في تاريخنا ، فلو درسنا كل الاعمال التي قاموا بها ، وكل العمليات التي وجهوها أو قادوها بأنفسهم لوجدنا أمثلة نموذجية لطراز من القادة النادرين .

وقد استخدمت اسرائيل هذا النوع من الاستراتيجية غير المباشرة في هجماتها العسكرية والنفسية على الدول العربية . فالهجوم على منطقة الجليل في فلسطين في الحرب العربية الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ كان هجوما من نوع التقرب غير المباشر . فقد استخدمت اسرائيل مدرعاتها على محور « صفد — ميرون » في منطقة مليئة بالالغام ويصعب انفتاح المدرعات فيها ، وحققت أغراضها في منطقة غير متوقعة ، وأفادت اسرائيل أيضاً من موقعها المتوسط بالنسبة للجيوش العربية ، وعدم وحدة هذه الجيوش في المعركة لتقوم بالهجوم المباشر مع استخدام التقرب المباشر ضد جيش من الجيوش ، والهجوم غير المباشر على الجيوش الاخرى .

ان الاستراتيجية غير المباشرة استراتيجية بالغة التعقيد ورهيبة الفعالية ، وتتميز بصفات ماكرة مخادعة لانها أصلا غير مباشرة. وتكمن هذه الاستراتجية

في **حرية العمل**[1] التي تتيحها على حد تعبير الجنرال اندريه بوفر.

وفي العصر الذري تبدو الاستراتيجية غير المباشرة على أنها «فن معرفة أفضل استخدام لهامش **حرية العمل** الضيق الذي أفلت من الردع بالاسلحة الذرية والحصول بواسطته على نجاحات حاسمة رغم التحديد، والتحديد القاسي أحياناً للوسائط العسكرية التي يمكن استخدامها فيه». وترتبط حرية العمل في ظل «الردع الذري» والخوف من الدمار المتبادل ومن الانتحار بطريقـة «الهاراكيري» بالعوامل الآتية:

١ – **قيمة الردع الذري**.

٢ – **ردود الفعل الدولية**.

٣ – **الامكانات** المعنوية للخصم واحتمالات خضوعه للضغوط الدولية.

وهكذا نرى أن نجاح هذا العمل مرهون بما يسمى «**بالمناورة الخارجية**» أي مرهون بردود الفعل الدولية نظرا لتعقد الصراعات الدولية في عصر الراهن.

ومن نماذج الاستراتيجية غير المباشرة المناورة بالاجهاد والتي تتضمن ازعاج العدو بصورة متواصلة ومستمرة، وابقاءه في حالة نشاط متواصل بشكل نهدد فيه بصورة مستمرة أهدافه الحيوية ونقاطه الضعيفة. الا أن مثل هذه المناورة تحتاج الى قوى معنوية هائلة. فللقيم المعنوية في كل صراع أهمية أساسية. فهي تدخل فيه في كل لحظة و«تستطيع الهزيمة تحطيمها، كما يستطيع النصر رفعها ودفعها وزيادة حيويتها» كما قال كلاوزفيتز، وتلعب القوى المعنوية في مناورات الاستنزاف والاجهاد دورا أساسيا. فتقوية المعنويات

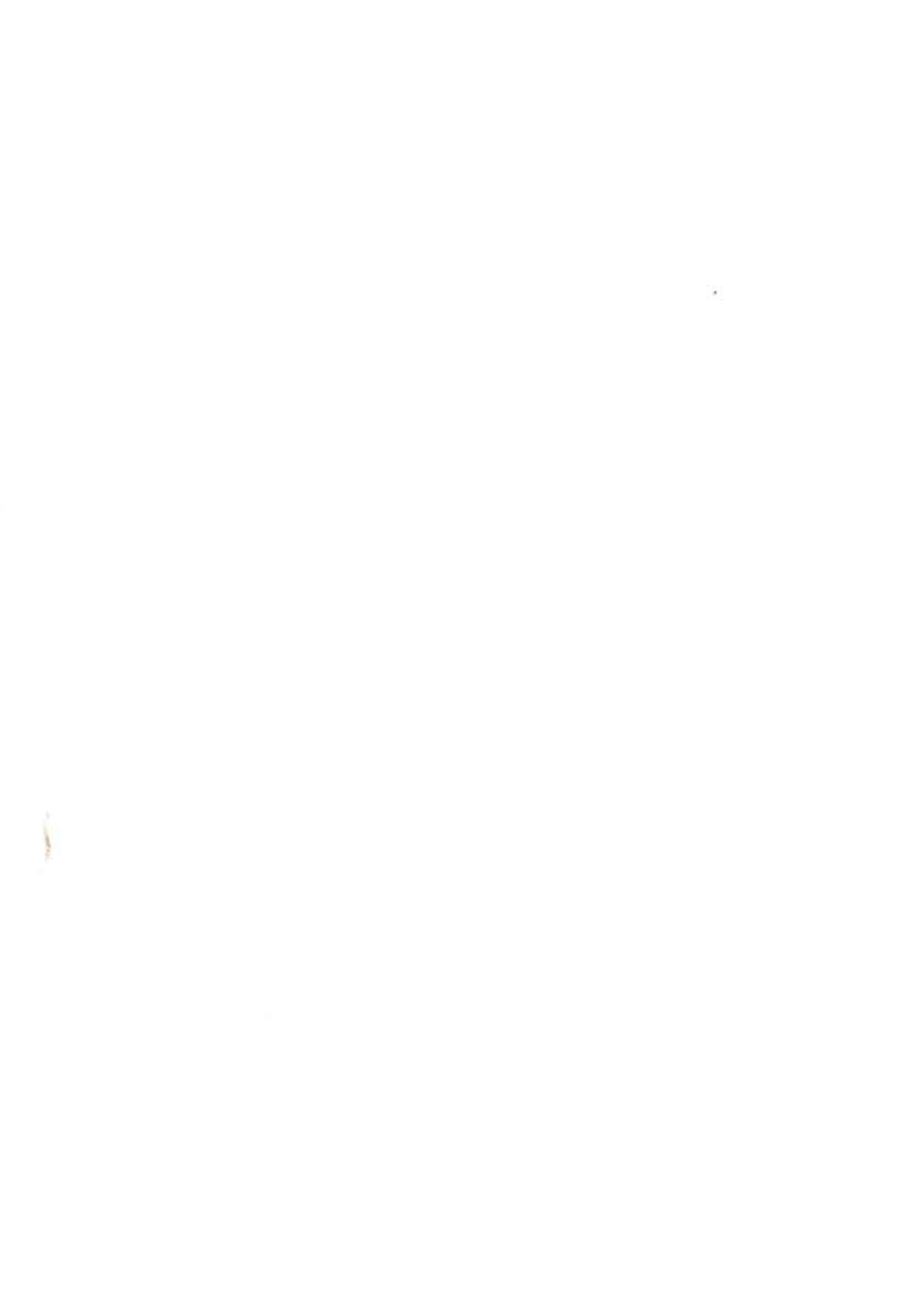
---

(١) Liberté d'Action في الفرنسية و Freedom of Action في الانكليزية.

ورعايتها مهمة من مهمات السياسة القومية العليا في كل بلد . ويمكن للقوى المعنوية . كالقوى المادية . أن تضمحل وتذوب مع الزمن . بسبب خطأ ترتكبه الحكومة أو خطأ ترتكبه القيادة بحق المواطنين . وترتبط المعنويات الى حد كبير بالجهد الذي تبذله الدولة في المجال الداخلي لبناء المجتمع . وبناء المواطن الحر الابي . وفي مجال تنمية فضائل الرجولة والشهامة لدى أبناء الامة .

وقد أثبتت الامة العربية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تفوقها المعنوي ، فمعنوياتها كانت العامل الوحيد والاساسي الذي رفض الهزيمة وقلب كل مخططات الخصم الامبريالي الصهيوني ، بالرغم من الهزيمة المادية .

وقد تحدث الجنرال مونتغمري في احدى المرات قائلا ما يلي : « اني اعتبر الروح المعنوية أعظم عامل بل هي العامل الوحيد في الحرب » . وبالرغم من عدم ايمان كثير من المدارس العسكرية بأنه العامل الوحيد . الا أن العامل المادي والمعنوي مترابطان ترابطا كاملا . فما قيمة سلاح حديث بيد جندي لا يؤمن بالقضية التي يحارب من أجلها ، أو لا يثق ثقة كاملة بالقيادة التي توجهه. واني شخصياً أؤيد وجهة النظر الروسية في العامل المعنوي الذي يسمونه **العامل المعنوي السياسي** . وهو يعني قدرة الشعب والقوات المسلحة على بذل كل الجهود المطلوبة ، بالاضافة الى قدرة الدولة على تنظيم التأمين المادي والسياسي للمحافظة على ارتفاع الروح المعنوية للجيش والشعب .



الفصل الثاني

الاستراتيجية والدبلوماسية والسياسة

أهمية وجود استراتيجية كبرى
عربية موحدة

قال كلاوزفيتز في كتابه « في الحرب » : **« ان الحرب عمل من أعمال العنف يستهدف اكراه الخصم على تنفيذ ارادتنا »** . فالحرب ، كعمل اجتماعي يفترض وجود ارادتين تتصارعان . أي ان الحرب تفترض وجود مجتمعين منظمين سياسيا ، يحاول كل منهما التفوق على الآخر وقهره . ويعني كلاوزفيتز هنا بالعنف ، العنف المادي ، لا العنف المعنوي ، أو الضغط المعنوي أو الدولي الذي نعرفه في عصرنا الحالي .

ويستنتج كلاوزفيتز من هذا التعريف الذي وضعه منذ أكثر من قرن من الزمان اتجاه الحرب وميلها الى التصعيد الى الحدود القصوى . ويعود السبب في ذلك الى ما يسميه بـ « ديالكتيك الصراع » اي جدلية الصراع وحتميته :

« ان الحرب عمل من أعمال العنف ، وليس هناك من حدود للتعبير عن هذا العنف ، فكل من الخصمين يصنع قانون الآخر . ومن هنا ينتج عمل متبادل ، يصعد الامور الى الحدود القصوى» .

« فاهمال عامل الشراسة — بسبب الاشمئزاز الذي قد يوحي به—هو تبديد للقوة ، ان لم نقل انه خطأ كبير » .

والشراسة في كل الحروب ناجمة عن النية بالعدوان لا عن الشعور بالعداء. فعندما يتحرك الشعور بالعداء لدى الطرفين ويتأجج فانه يحرك المقاتلين. وهناك حروب قامت دون حقد يغذيها، أو لعب فيها الذكاء دوراً أساسيا استخدمت فيه القوة بصورة فعالة متناقضة مع الاستخدام الغريزي للقوة. الا أن ارادة تدمير الخصم والقضاء على قواته المسلحة، يبقى جزءاً أساسيا من مفهوم الحرب. لم يستطع التقدم العلمي والحضاري أن يقضي عليه أو يبعده.

وهدف العمليات العسكرية بصورة عامة هو نزع سلاح الخصم نزعاً تاماً. « فلكي نخضع الخصم لارادتنا، ينبغي ان نضعه في وضع أسوأ بسبب التضحيات التي نطالبه بها. ومع ذلك ينبغي الا يكون هذا الوضع السيء وضعا مؤقتا، كما ينبغي ألا يبدو كذلك على الاقل. والا انتظر الخصم وقتا ملائماً بالنسبة اليه ليمتنع عن الخضوع ».

ولكن الخصم ليس « كتلة ميتة ». فالحرب صراع بين قوتين حيتين. « لذا فان عدم قضائي على الخصم يجعلني أخشى أن يقضي هو علي. فلست سيد نفسي ما دام بامكانه أن يملي ارادته علي. كما أملي عليه ارادتي ».

ولا يمكن ربح الحرب الا في اللحظة التي يخضع فيها الخصم لارادتنا.

وتحسب الدول الوسائل التي تملكها ماديا، وعليها تبني جهدها الخاص. الا أن قوة المقاومة لا يمكن حسابها. ويقوم خصمها بالشيء نفسه، ويزيد الطرفان من وسائلهما آخذين بعين الاعتبار الارادة العدائية للطرف الآخر. وبهذا يتصعد الموقف بين الطرفين، ويحدث سباق في التسلح والتحضير.

وقد عرف كلاوزفيتز الاستراتيجية بأنها: « استخدام الاشتباك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب ». الا أن عيب هذا التعريف أنه يخلط بين مسؤوليات السلطات العليا في الدولة وبين عمل القادة العسكريين، مع أن الاستراتيجية (السوق) عمل من أعمال الدولة. فالدولة هي التي ترسم الاستراتيجية

(السوق) في مختلف ميادينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية بشكل تؤلف فيه هذه الاستراتيجية كلا لا يتجزأ . ويرى الجنرال اندريه بوفر ان الاستراتيجية ليست عقيدة جامدة ولكنها « اسلوب في التفكير » يسمح بدراسة الاحداث وتصنيفها حسب أهميتها ، واختيار الوسائل الفعالة الملائمة لها . فلكل موقف استراتيجية (سوقية) تتلاءم معه ، فاذا ما طبقت استراتيجية موقف على موقف آخر غدت فاشلة وأدت الى كارثة . واستراتيجية كل دولة مرتبطة ارتباطا وثيقا بوضع هذه الدولة وقواها المادية والمعنوية بالنسبة لقوى عدوها .

وهكذا نرى أنه لا يمكن عزل الاستراتيجية عن مركباتها الاساسية . . فالاستراتيجية اليوم استراتيجية شاملة ، تتداخل فيها المواقف السياسية الى حد كبير ، أي أن الاستراتيجية هي توقع كامل للاحداث على ضوء افتراضات متعددة ، مع السلوك الواجب اتخاذه ازاء كل احتمال . ويدخل هنا الحل العسكري كاحتمال من الاحتمالات .

وقد عرف فون مولتكه **الاستراتيجية** « بأنها اجراء الملاءمة العملية للوسائط الموضوعة تحت تصرف القائد الى الحد المطلوب » . وفي هذا التعريف يبدو واضحاً أن الدولة التي تضع سياسة الحرب العليا تحدد للقائد هدفه السياسي . ويقتصر عمل هذا القائد على ملاءمة الوسائط العسكرية التي تضعها الدولة تحت تصرفه بما يحقق هذا الهدف .

فعندما تجد الدولة انها عاجزة عن تحقيق هدفها السياسي بالوسائط التي تملكها تلجأ الى وسائل أخرى ، أو الى استراتيجية أخرى ذات هدف محدود .

ويرى ليدل هارت أن **الاستراتيجية** هي « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » . وعندما تستخدم القوات المسلحة

كوسيلة لتحقيق هذا الهدف فان كل التحضيرات التي تسبق هذا العمل وتهيء له وتنفذه هي « **التكتيك** »[1] .

وقد وضع المفكرون تعاريف متعددة **للاستراتجية** :

– عرفها الجنرال بوفر بأنها **«فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السياسة»**

– وعرفها ريمون آرون : **« بأنها قيادة مجمل العمليات العسكرية »** .

أما **الاستراتيجية الكبرى** فهي السياسة التي توجه سير الحرب . ويقول ليدل هارت عنها : « ان على الاستراتيجية الكبرى أن تقدر وتضاعف الامكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة ، علاوة على دعم القوى المعنوية . لان أهمية تقوية ارادة الرجال وشخصيتهم تعادل أهمية الحصول على القدرة المادية . وتتولى الاستراتيجية العليا أيضا تنظيم وتوزيع الادوار والقوى بين مختلف المرافق . وعلينا أن ندرك أن القدرة الحربية عامل واحد من عوامل الاستراتيجية العليا التي يدخل في حسابها قوة الضغط المالي الدبلوماسي أو التجاري أو المعنوي ، وكلها عوامل هامة لاضعاف ارادة الخصم » .

ولا تعني الاستراتيجية الكبرى اذن مجموعة من التدابير فحسب ، بل انها نظرة شاملة لكل أوضاع البلد وتقييم لكل ردود فعل هذه الدولة ازاء كل المواقف والاخطار . ولا تكتفي الاستراتيجية الكبرى بتوجيه « استراتيجية موقف من المواقف خلال التنفيذ » بل تنظر أيضاً الى ما بعد تحقيق الهدف ، أي الى ما بعد الحرب ، والى السلم الذي سيعقبه .

وأفضل ما قيل عن الاستراتيجية هو ما قاله المارشال فوش من أن روح الاستراتيجية (السوق) « كامن في اللعبة المجردة الناجمة عن تعارض ارادتين ؛ انها الفن الذي يسمح ، بعيدا عن كل تقنية ، بالسيطرة على معضلات كل

---

(١) التعبئة – وهو الاصطلاح المستخدم في بعض الجيوش العربية .

صراع ، حتى يسمح باستخدام التقنية بأقصى فعالية ممكنة . انها اذن فن حوار القوى أو بالاحرى فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها » .

والآن اذا سمينا الاستراتيجية قيادة مجمل العمليات العسكرية ، وسمينا الدبلوماسية ادارة الحوار مع الدول الاخرى ، سواء أكانت دولا حليفة أو صديقة أو معادية ، فان الاستراتيجية والدبلوماسية تابعتان للسياسة ، أي تابعتان للتصميم السياسي العام الذي تضعه أمة من الامم ، أو جماعة من الجماعات بهدف الدفاع عن مصيرها ، وللحفاظ على مصلحتها القومية .

وعندما قرأ لينين ما كتبه كلاوزفيتز عن الاستراتيجية قال ما يلي : « ان السياسة هي الذكاء ، أما الحرب فهي وسيلتها فقط » .

وفي مجال آخر قال لينين ؛ « ان طبيعة الهدف السياسي تحدث تأثيراً حاسماً على ادارة الحرب . ذلك أن الهدف السياسي يحدد طبيعة الحرب وما اذا كانت مشروعة أو غير مشروعة . وهذا يؤثر تأثيراً جذريا على الاستراتيجية لانه في الحالة الاولى تعتمد الاستراتيجية على مساندة الشعب الكاملة لاهداف الحرب . وفي الحالة الثانية قد لا تروق هذه الاهداف للشعب ، وينخفض بالتالي مستوى اشتراكه في الحرب الى درجة كبيرة » .

وفي تقسيم فن الحرب الى استراتيجية وتكتيك (تعبئة) لا يعترف الروس بشيء اسمه « الاستراتيجية الكبرى » فهي السياسة العليا في نظرهم ، وهي ادارة الحرب التي تمارسها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . وينقسم فن الحرب السوفييتي الى استراتيجية (سوق) وعمليات ، وتعبئة (تكتيك) : ابتداء من الدفاع عن البلاد الذي تمارسه الاستراتيجية فتستخدم كل قوى الدولة ومواردها الحربية الى قتال الجبهات ، وقتال الوحدات الصغرى .

ان القيادة العسكرية ، في أيام التوتر والحرب ، تطالب السياسة بحلفاء جدد وبتحييد بعض القوى المعادية في النزاع ، وبخلق ظروف دولية ملائمة للانتصار على الخصم في الحرب . كما أن ميدان السياسة ميدان واسع اذ تطالب السياسة

الدبلوماسية في ظروف التوتر والحرب بتدعيم مركز الدولة في العالم الخارجي ، وشرح قضيتها العادلة . وابراز شرعية دفاعها عن نفسها ، وأبرز مثال على ما تستطيع الدبلوماسية الثورية أن تفعله هو هذا التضامن العالمي الرائع مع شعب فييتنام ضد العدوان الامريكي . وللحق وللحقيقة يمكننا ان نعترف بأن الدبلوماسية العربية نشطت نشاطا هائلا في هذا المجال بعد عدوان ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وحققت نجاحا يمكن أن يكون منطلقا لنجاحات أكبر في ابراز العدوان الاسرائيلي وفضحه وفضح أهداف الصهيونية العالمية ، كما لعبت المنظمات الفدائية دورا هاما في هذا المجال . والتاريخ مليء بأمثلة اكتساب الحلفاء وتحييد عدد من الدول .

ففي زمن السلم ، تستخدم السياسة وسائلها الدبلوماسية ، دون أن تستبعد الحل العسكري . كوسيلة من وسائل التهديد والتلويح بالقوة ، كما تستخدم السياسة الدبلوماسية في زمن الحرب لان مهمة الدبلوماسيين هي متابعة استمرار العلاقات والحوار مع الدول الحليفة ومع الدول الحيادية ، ومع الخصم ذاته بصورة غير مباشرة عن طريق تهديده بالدمار أو فتح آفاق سلم مشرف أمامه .

هنا نصل الى بيت القصيد لنتوصل الى أن « وحدة السياسة » ووحدانيتها بالنسبة للامة العربية هي الذكاء الوحيد الذي يستطيع انارة الطريق أمامها . فنظرا لان الدبلوماسية هي فن اقناع الآخرين دون استخدام القوة . وبما أن الاستراتيجية هي فن التغلب على الخصم بأقل التكاليف . ونظرا لاننا نتعرض لخصم واحد هو الامبريالية والصهيونية العالمية ، اذن لا بد لنا من وحدة في الخط السياسي . وبالتالي من وحدة في الاستراتيجية ، اذ لا استراتيجية بدون مضمون سياسي يشكل خطها الاساسي ومؤثرها الحقيقي .

ولا يجوز بأي حال من الاحوال التمييز بين الدبلوماسية العربية والاستراتيجية العربية (السوق العربي) لان الدبلوماسية والاستراتيجية تعبيران مكملان لفن السياسة . فكيف يمكن للامة العربية أن تقود معركتها المصيرية بوسائل دبلوماسية

مختلفة وباستراتيجيات متعددة ، مع أن وسائل الخصم الدبلوماسية والعسكرية قد تكون أقوى من كل دولة عربية على حدة ، وما دام المصير العربي هو ذاته سواء في الشمال ، أو في الجنوب . وفي الشرق ، وفي الغرب ، وما دام حوار الارادات ليس صراعا بين ارادة دولة من الدول لوحدها مع خصمها .

ولا بد من أن يكون المنطلق الرئيسي في معركتنا ضد اسرائيل هو السياسة الوحدوية ، التي تضم امكانات الدول العربية المواجهة لاسرائيل الدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية : ان لم تستطع وضع كل الامكانات العربية ، في خدمة الارادة العربية الواحدة . ومن السياسة الوحدوية الملتزمة تنبع الاستراتيجية العربية (السوق العربي) المتلائمة مع أوضاعنا وامكاناتنا طبقا لتقييمنا لكل ردود الفعل الدولية والمحلية ، وتبعا لفرضيات قائمة على التحليل والتقييم المتطور .

وفي الاستراتيجية ، يعتبر الصراع من أجل حرية العمل هو روح الاستراتيجية ، وذلك بالحفاظ على أمن عملنا وحريته ، وحرمان العدو من أمن عمله « بالمفاجأة والمبادأة » .

فعندما توجد القيادة السياسية الواحدة والاستراتيجية العربية الواحدة لا يهمنا أن نفقد حرية العمل على جبهة من الجبهات اذ قد نخطط لخسارة هذه الحرية على هذه الجبهة أو تلك لنربحها كاملة بالمفاجأة والمبادأة على جبهة أخرى ، ونتبع حرب الاستنزاف في جبهة من الجبهات ، على حين نحضر نموذجا استراتيجيا آخر على جبهة أخرى ، بشكل يؤمن التوافق والتنسيق فيما بينهما : فالحرب التي قامت بها المقاومة السرية في فرنسا ابان الحرب العالمية الثانية مثلا كانت بغرض تأمين التوافق والتنسيق مع عملية النزول في النورماندي التي قام بها الحلفاء والمشهورة بعملية « اوفر لورد » . كما استهدفت حرب العصابات التي قام بها السوفييت في المناطق المحتلة من الاتحاد السوفييتي ضد الالمان تأمين

التوافق والتنسيق مع جيوش الاتحاد السوفييتي النظامية التي كانت تستعد للهجوم المضاد .

ان الاستراتيجية (السوق) كما قال اندريه بوفر : « اختراع دائم وابدي » يستند الى افتراضات ينبغي أن توضع بتسلسل منطقي ، توضع وتدرس على ضوء امكانات العدو والاحتمالات المفتوحة أمامه، ويتحقق منها المسؤولون أثناء العمل . وأي خطأ في التقدير والتدبير يجعل الهزيمة غالية الثمن . فعصرنا اليوم مشحون بالتطورات السريعة . وفي كل يوم سلاح حديث أو آلة جديدة . ومن المستحيل في هذا العصر أن تبني الدول استراتيجيتها (سوقها) دون وجود أجهزة متخصصة في كل الميادين تقوم بعمليات التحليل والتقييم لكل الاوضاع ولكل الاحتمالات .

الفصل الثالث

الاستراتيجية (السوق) والهدف الحربي

عالجنا في الفصل الاول والثاني الاستراتيجية ومفاهيمها وتعاريفها المتعددة والعلاقة بينها وبين السياسة والدبلوماسية . ونعالج في هذا الفصل الاستراتيجية والهدف الحربي .

ان هناك صيغة مزدوجة تعبر عن العلاقة بين الاستراتيجية والسياسة ، فقد قال كلاوزفيتز في مؤلفه المشهور في الحرب : « ينبغي أن تتطابق الحرب تطابقا تاما مع النوايا السياسية ، وعلى السياسة أن تتلاءم أيضاً مع الوسائط الحربية الجاهزة »، وذلك في الكتاب الثامن الذي يبحث فيه خطة الحرب . وقد يبدو أن الجزئين اللذين تتضمنهما هذه الصيغة متناقضان ، لان الجزء الاول يجعل ادارة الحرب تابعة للنوايا السياسية ، على حين يربط الجزء الثاني النوايا السياسية بالوسائط الجاهزة والموجودة . غير أن فكر كلاوزفيتز ، ومنطق العمل العسكري ذاته لا يوحيان بأي شك حول هذا الموضوع ، فالسياسة لا تستطيع تحديد الاهداف للعمل العسكري دون أن تأخذ بعين الاعتبار الوسائل التي تملكها ، فقد أضاف كلاوزفيتز الى قوله السابق : « نحن لا نمركز الحراس ، ولا نرسل الدوريات لاسباب سياسية . ولكن أثر هؤلاء الحراس والدوريات حاسم على الخطة العامة لحرب أو حملة ، أو معركة من

المعارك أيضا » . وقد أعطى ريمون آرون أمثلة متعددة توضح مدى هـذه الاقتراحات التجريدية فقال :

ان قيادة الحرب تتطلب وضع خطة استراتيجية (سوقية) : « فكل حرب ينبغي أن تفهم قبل كل شيء تبعا لطابعها المحتمل ، وملامحها البارزة ، كما نستنتجها من المعطيات ومن الظروف السياسية » تبعا لاقوال كلاوزفيتز . ففي عام ١٩١٤ . انخدع كل المتحاربين في طبيعة الحرب التي سيخوضونها . فمن ناحية ، لم تصمم هيئات الاركان والوزارات ولم تطبق تعبئة الصناعات ، ولا نفير السكان . اذ أن كل الاطراف الداخلة في الصراع لم تتوقع صراعا طويل الامد ، يتقرر مصيره بالموارد المتفوقة لاحد المعسكرين . واندفع الجنرالات في حرب « طازجة وبهيجة » : هذا التعبير الذي أطلقه بعض المؤرخين مقتنعين بأن الاشتباكات الاولى ستكون حاسمة كما كانت في حرب السبعين . فقد تصوروا أن استراتيجية الافناء ستؤدي الى النصر ، وسيملي رجال الدولة في الطرف المنتصر أحكام السلم على عدوهم المغلوب .

وعندما بدد وهم الحرب القصيرة الانتصار الفرنسي على المارن ، واستقرار الجبهات بين الغرب والشرق ، كان في وسع السياسة أن تستعيد نشاطها لانها لا تختفي من المسرح الا في قمة القتال . وعندما ينطلق العنف من عقاله دون قيود ، ولا يفكر المتحاربون الا بالتفوق المادي . والواقع أن السياسة بقيت فعالة ونشيطة بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ . ولكنها لم تكن تستهدف في معسكر الحلفاء بصورة خاصة أي غرض الا تغذية الحرب ذاتها . فالنصر الذي حاول الحلفاء الحصول عليه بواسطة استراتيجية الابادة والافناء أولا ولم يتوصلوا الى تحقيقه . أصبح مستهدفا مرة ثانية بفضل استراتيجية الاستنزاف . ولكنهم لم يحددوا في أي وقت من الاوقات الهدف الذي يرغبون تحقيقه في أوروبا عندما يحصلون على النصر ضد الامبراطوريات المركزية : فقد كان نزع سلاح العدو وفرض السلم (لا المفاوضة) عليه هما هدف الحرب لديهم .

وقد تخذ هذا الموقف السياسي شكله المطلق . حتى أن رجال الدولة تنازلوا عن ادارتهم للحرب لقواد الجيوش ووضعوا مكان الاهداف السياسية التي كانوا عاجزين عن تحديدها هدفا عسكريا صرفا هو تدمير القوات المسلحة المعادية .

وقد يكون غياب السياسة هذه أمرا حتميا نظرا للظروف . ولكن هل كان من الممكن أن تتنازل المانيا عن الالزاس واللورين الا اذا اضطرتها الهزيمة الى ذلك ؟ وهل كان من الممكن أن يقبل الرأي العام الفرنسي سلما يتضمن حلا وسطا . دون أن تضم الى فرنسا بعض الاراضي . أو دون الحصول على تعويضات . بعد كثير من التضحيات التي فرضت على الشعوب وكثير من الوعود التي بذلها الحكام ذات اليمين وذات اليسار ؟ حتى أن المعاهدات السرية التي أبرمت بين الحلفاء . كرست بعض المطالب . وأكدت كثيرا من الوعود . وأخيرا فان النزاع ذاته خلق حدثا جديدا . لا يمكن أن يمحى . اذ قلب الاتفاق السابق : فقد كان يبدو أن وضع أوروبا قد أعيد النظر فيه . وأن رجال الدولة لم يكونوا يؤمنون بأن عودة الوضع السابق يتيح فرصة للاستقرار .

وربما كانت الحروب الكبرى هي الحروب التي تنتهي بالافلات من بين يدي الرجال الذين يتوهمون قيادتها ، بسبب الاهواء والانفعالات التي تطلقها . وعندما ينظر المراقب الى الماضي لا يلاحظ دوما المصالح التي بررت الانفعالات والاهواء واستبعدت الحلول الوسطى . ويتساءل ريمون آرون عن السبب فيقول : « ربما كان السبب طبيعة المعركة ذاتها التي تنتهي بأن تنقل بالعدوى الى الجماهير سخطا مشبعا بالحقد ، وتوحي لرجال الدولة بالرغبة في قلب خريطة القارة القديمة . وهذا ما أميل الى الاعتقاد به . والسبب هو أن الحرب الاولى لهذا القرن توضح الانزلاق الى الشكل المطلق لحرب يعجز المتصارعون عن تحديد هدفها السياسي » .

فحلول الهدف العسكري — وهو النصر — مكان أهداف سلمية يبدو أيضا

بشكل أوضح وأكثر بريقا في الحرب العالمية الثانية . فقد كان الجنرال جيرو . وهو أحد القادة الفرنسيين الذين لم يتأملوا كلاوزفيتز ولم يقرأوا له قراءة متأنية يردد في عام ١٩٤٢ : هناك هدف واحد هو النصر . ولكن ما هو أخطر هو أن الرئيس روزفلت ، الذي لم يلفظ كلمة الانتصار يعتبرها غاية حقيقية . فقد أصبح تدمير القوات المسلحة للعدو بالنسبة اليه هو القانون الالزامي الذي ربطت به ادارة العمليات . فعندما يطالب قائد سياسي للحرب باستسلام غير مشروط لخصمه يبرهن بكل سذاجة على عدم فهمه للروابط القائمة بين الاستراتيجية (السوق) والسياسة .

وان طلب الاستسلام غير المشروط لاي شعب من الشعوب تدفعه الى مقاومة يائسة ... وتثير فيه كل الحوافز لاستخدام كل الوسائل حتى آخرها دفاعا عن مصيره .

وقد قال فوللر في تحليله لادارة الحرب العالمية الاولى ما يلي : « لو أن حكام الدول المشتركة في الحرب العالمية الاولى درسوا كلاوزفيتز ، لفهموا أن الحرب ترتبط بالسياسة ، وأنها تستخلص طابعها منها وان « السياسة عندما تكون كبيرة وعظيمة ، تكون الحرب كذلك » .

ولقد كان في وسع بريطانيا وفرنسا منذ عام ١٩٠٤ أن تضعا سياسة مشتركة منصبة على هدف سياسي ايجابي هو : طبيعة السلم الذي تريدان اقامته في القارة الاوروبية ، وهو سلم أفضل لهما مما كان عليه الوضع في الماضي . لأن « السياسة هي الذكاء ، والحرب أداتها » كما قال كلاوزفيتز . ولكن الحلفاء في أغسطس (آب) عام ١٩١٤ ، لم يكونوا يملكون وجهة نظر سياسية مشتركة . وكانت وجهة النظر العسكرية بالتالي لاتعتمد على أي تصميم سياسي . **ولم يفهموا ان وحدة القيادة لا تتم الا بوحدة السياسة ، لانه بدون وحدة السياسة لا تقوم قيادة عسكرية حقيقية وعملية .**

وتؤثر طريقة الحصول على الانتصار العسكري على مجرى الاحداث . فمثلا تحررت أوروبا في عام ١٩٤٤ في الشرق ، والجنوب ، والغرب . فلو أن

أوروبا تحررت بنزول القوات الانكلو ـ امريكية في البلقان كما اقترح تشرشل ، لتغير مجرى الاحداث . ولكن هل كانت هذه الخطة ممكنة التحقيق؟ وماذا كان من الممكن أن يكون رد الاتحاد السوفييتي عليها ، هذا البلد الذي اكتوى بنار العسكرية الهتلرية الفاشية وفقد أكثر من عشرين مليونا مـــن المواطنين ؟ هل كان القرار الذي اتخذ بنزول القوات الامريكية في النورماندي مستمدا من تحليل عسكري صرف لمركز ثقل القوات الالمانية في أوروبا ؟ كلا ! لان القوات التي كانت موجودة في غرب القارة الاوروبية قوات ضئيلة جدا اذا ما قورنت بالقوات الالمانية الموجودة على الجبهة الشرقية في مواجهة الاتحاد السوفييتي وفي دول البلقان . فلو كان الذي أملى القرار هو الاعتبار العسكري الصرف لتم الانزال في البلقان . ولكن روزفلت اتخذ هذا القرار لاعتبارات سياسية بحتة ، لانه لم يكن يرغب بأن يعتبر ستالين هـــذا الانزال مؤامرة سياسية غير شرعية ، وتعديا سياسيا على الاستراتيجيـــة (السوق) [1] .

وأخيراً غالبا ما تفرق الدول في مجال ادارة الحرب بين الحلفاء الدائمين والحلفاء المرحليين . فالحلفاء الدائمون هم الدول التي لا يمكن في أي يوم من الأيام أن تنقلب الى صف العدو ، مهما كانت مصالحها . ويتهم المفكرون الغربيون روزفلت بأنه قوى في الحرب العالمية الثانية الحليف المؤقت الذي هو في الحقيقة عدو دائم للغرب (الدول غرب أوروبا)، وهو الاتحاد السوفييتي وتعطي الحرب الكورية نموذجا لحرب كانت تقاد في كل لحظة تبعا للنوايا السياسية ، لا تبعا لمطالب الانتصار العسكري وحده . فحينما أعلن الجنرال

---

(١) كان تشرشل ومعه عدد من كبار الاستراتيجيين الغربيين قد اقترحوا فكرة التقدم الى فيينا عن طريق ثغرة ليوبليانا او القيام بعمل عسكري في البلقان او من تركيا ولكن ستالين عارض هذه الافكار بقوة – راجع ادارة الحرب – الجنرال فوللر ص ٤٥٤ والصفحات التالية . ومن٤٢٢ الى ٤٨٤ بصورة خاصة – منشورات دار اليقظة .

ماك آرثر : « ليس هناك بديل للانتصار » . كان يتبنى مفهوم روزفلت أثناء الحرب العالمية الثانية الذي كان يستهدف تدمير القوات المسلحة للعدو وسلما مفروضا عليه بعد نزع سلاحه .

ويقول ريمون آرون ان الرئيس ترومان ومستشاريه ترددوا في رسم الاهداف السياسية للحرب الكورية . فهل ينبغي ان يكون الهدف بالنسبة اليهم صد العدوان الكوري — الشمالي واعادة الوضع القائم سابقا ، أي تقسيم كوريا حسب خط العرض ٣٨ ، أو توحيد الدولتين الكوريتين ، باشراف الامم المتحدة ؟ ويرى ريمون آرون في هذه الناحية أنهم لم ينطلقوا من منطق الحرب العالمية الثانية وهو منطق الانتصار ، لأنهم لو انطلقوا منه لكانت له نتائج كبيرة منها « النفير العام ، وايجاد حلفاء ، وقتال لا رحمة فيه ولا شفقة ...الخ » غير انهم انطلقوا من الالزام التالي : « عدم تحويل الحرب المحلية الى حرب عامة . ووضعوا أهدافهم ضمن الاطار الذي رسمه الخط السياسي المتضمن عدم توسيع النزاع . ونحن نتفق مع ريمون آرون في استراتيجية الحرب الكورية ، غير اننا نختلف معه في تحديد طبيعة المعتدي وتشخيصه فلم تكن قوات كوريا — الشمالية هي التي بدأت الهجوم — وانما هي قوات كوريا الجنوبية . فقد كانت هذه القوات تعد وتحضر للعدوان على كوريا — الشمالية.

وبعد الانزال الذي تم في انشون وارتداد جيوش كوريا — الشمالية اتخذ الرئيس ترومان قرار اجتياز خط العرض ٣٨ تبعا لنصيحة ماك آرثر الذي كان لا يؤمن باحتمال تدخل الصينيين . فتدخل المتطوعون الصينيون ، وكان تدخلهم نذيرا بتوسع الحرب . وأصبحت الصين طرفا غير رسمي في الصراع ، الا أن الطرفين حاولا تضييق الصراع . واكتفى الطرفان الرسميان ومن ورائهما الاطراف غير الرسمية في الصراع بسلم يعودون فيه الى تقسيم الدولتين .

ولو تساءلنا الآن من المنتصر في هذه الحرب ؟ والجواب عليه ان المنتصر هو كوريا الشمالية التي استطاعت الصمود أمام أقوى دولة استعمارية في العالم . والصينيون الذين أحبطوا محاولة تصفية الجمهورية الشعبية الكورية الشمالية . فقد انتصروا وحصلوا على سمعة دولية هائلة . كما أن الامريكيين انتصروا أيضا لأنهم حافظوا على التقسيم ، وأبقوا دولة كوريا الجنوبية ضمن منطقة نفوذهم في العالم .

وهكذا نرى أن هناك فرقا بين الحروب التي **تقاد طبقا للنوايا السياسية والحروب التي تقاد طبقا لاهداف الانتصار العسكري فقط .**

حقا . ان هدف الحرب هو هزيمة العدو . وتدمير قواته المسلحة ونزع سلاحها نزعا شاملا على حد تعبير كلاوزفيتز . غير أن كلاوزفيتز لم يكن يقصد بالهزيمة احتلال كل أرض العدو ... فعند تحليله للهدف الحربي ، ضرب كثيرا من الأمثلة التاريخية التي اعتمد عليها ، ثم دعى الى انتقاء مركز الثقل لدى العدو . فربما كان هذا المركز هو الجيش وربما كان الاقتصاد وربما كان مركز الثقل هو الحليف الاقوى ... وعلى كل حال فالانتصار بمفهومه العسكري . وتدمير جيش العدو يشكلان البداية الاكيدة في نظرة كلاوزفيتز للهزيمة .

وقد قال كلاوزفيتز : « اذا كان تحطيم جميع الاعداء يتم بتدمير عدو واحد منهم فان من الواجب اعتبار هزيمة هذا العدو هدفا للحرب » . وهذا هو ما فعلته اسرائيل . وتفعله دوما . فهي تعتبر جمهورية مصر العربية أقوى الخصوم في حلف دول المواجهة ، لذا فهي تركز عليها دوما الجهد الاكبر من مجهود قواتها المسلحة . ففي حرب عام ١٩٤٨ كان مركز الجهد الرئيسي للقوات المسلحة الاسرائيلية هو الجبهة المصرية ، وفي عام ١٩٦٧ كان الجهد الرئيسي الجوي والبري مركزا عليها أيضا .

ولو تساءلنا الآن عن موقف الاستراتيجية ، في المفهوم السوفييتي ، عن الهدف الحربي لوجدنا أن موقفها لا يختلف عن موقف المفاهيم الغربية ، فطبيعة الهدف السياسي تؤثر تأثيرا حاسما على ادارة الحرب . وتتميز الاستراتيجية السوفييتية بوضوح الهدف والحسم وتناسبهما مع الطبيعة الطبقية للحرب ، وطبيعة أهدافها السياسية . وتعني الاستراتيجية السوفييتية عناية بالغةبالعوامل الاقتصادية والسياسية والمعنوية . وتحدد أهدافها المتتالية مستنبطة ذلك من الهدف السياسي العام للحرب .. والهدف الحربي بمفهومه السوفييتي هو هزيمة القوات المسلحة للعدو ، وتدمير وسحق الاهداف الحيوية الداخلية أيضا ، وتفكيك عرى الدولة ودعائمها من الداخل .

وأخيرا لو أردنا أن نستنبط من كل هذا العرض موقفنا نحن أمام الخطر الصهيوني الرابض على أرضنا ، لوجدنا أن هناك تعارضا تاما بين الوجود العربي ، ووجود اسرائيل على أرضنا. ان اسرائيل تتطور ديموغرافيا بسبب الهجرة المتدفقة سنويا عليها ، وبسبب أعداد اليهود التي تنضم اليها تباعا . وهذا يعني أن هدفها لن يكون اقتصاديا فحسب ، بل ان التوسع والمجال الحيوي لسكانها سيبقى هدفا أساسيا في استراتيجيتها (سوقها) . لذا يترتب علينا أن نحدد طبيعة الوطن العربي الذي يتجاوب مع وجودنا ومصيرنا . وهل يمكن قبولنا بجسم غريب وسطه يعتدي عليه ويمتص طاقاته . ولا يكفي أن نحدد الهدف ، والحليف ، والعدو في هذه المرحلة ، بل ينبغي أن يتوصل الفكر السياسي العربي وهو الذكاء الى تحديد الاهداف المتتابعة بوضوح ، وأن يميز تمييزا واضحا بين الاعداء والحلفاء المرحليين والدائمين . فاذا لم نحدد كل هذا بدقة ، فقد ننتصر ولكن قد لا يكون انتصارنا انتصارا حقيقيا ، وبالتالي فقد يكون انتصارا سياسيا بالصدفة ، وهذا ما ينبغي أن نتجنبه .

الفصل الرابع

الاستراتيجية (السوق) والهدف الحربي

الربح في الحرب

يرتبط اختيار أية استراتيجية من الاستراتيجيات بأهداف الحرب التي نخوضها، وطبيعتها وما اذا كانت حربا قومية أو حربا استعمارية، كما يرتبط الاختيار أيضا بالوسائل التي نملكها لخوض الحرب. فاذا كانت الوسائل التي نملكها تسمح بحسم المعركة بسرعة. كان لنموذج الحرب استراتيجيتها المتفقة مع الوسائل المستخدمة. وقد رأينا في الفصل السابق أمثلة لحروب كان الانتصار العسكري هدفها، ورأينا أمثلة أخرى لحروب كان الهدف منها تجنب اتساع النزاع وشموله لدول أخرى، أو تحوله الى حرب عالمية ثالثة. ولكن هل كل الحروب حروب محدودة، أو حروب كونية شاملة؟ ان هناك حروبا حقيقية تتميز عن هاتين الحالتين المتطرفتين. وتنتقي استراتيجية هذه الحروب تبعا للامكانات العسكرية الموجودة، وطبقا للنوايا السياسية..

ويرى ريمون آرون أن الحل البديل لمثل هذه الحروب، المحدودة من جهة، أو الحروب الشاملة الكونية من جهة أخرى، على مستوى الاستراتيجية هو المبدأ التالي، الذي يتحاشى استمرار النزاع وامتداده في الوقت ذاته:

«ربح الحرب أو عدم خسارتها» . ونحن نعلم أن الاستراتيجية تستهدف بصورة عامة قهر القوات المسلحة المعادية بصورة حاسمة وقاطعة، كي نستطيع فيما بعد املاء سلم ظافر على خصمنا الذي نزعنا سلاحه نزعا تاما . ولكن قد لا يسمح ميزان القوى بيننا وبين الخصم بحسم النزاع حسما تاما ، فما هو الاحتمال المفتوح أمام الرجل الاستراتيجي الذي يخطط لمثل هذه الفرضية ؟ والجواب ، إن في وسع الاستراتيجي في هذه الحالة أن يخطط ويرسم على أساس عدم خسارة الحرب ، مع تثبيط ارادة الغلبة لدى خصمه .

ولقد أكد بعض المؤرخين أن أفضل مثل يمكن أن يعطى لمثل هذه الاستراتيجية، هو حرب السبع سنوات . فلم يكن فردريك الثاني في هذه الحرب يتابع وهم التغلب على الجيوش النمساوية - الروسية ، بل كان يعتمد على الصمود أطول وقت ممكن حتى يستنزف خصومه معنويا ، وكيما يتفكك الحلف الذي يحاربه .

ولقد أضاف ريمون آرون الى هذا المثال أمثلة أخرى تدل على ثبات هذه المعضلة واستمرارها . ففي رأيه أن الوضع في عام ١٩١٥ - ١٩١٦ كان يطرح سؤالا من هذا النوع على الجنرالات ورجال الدولة الالمان . فهل كان يترتب على الامبراطوريات المركزية أن تستهدف نصرا يسمح لها باملاء شروط السلم ؟ أم أنه كان يترتب على الامبراطوريات المركزية أن تمتنع عن استهداف النصر ، وان تقصر مطامحها على سلم وسط ، مستند الى اعتراف المعسكرين بعجزهم عن الانتصار بشكل حاسم ، نظرا لتفوق الحلفاء في القوات ، وميل ميزان القوى لصالحهم .

وخلافاً لما اعتقده معظم الفرنسيين ، كان هجوم فردان ، ضمن اطار استراتيجية (سوقية) الجنرال فون فالكنهايم ، يستهدف استنزاف الجيش الفرنسي لا هزيمته . فقد كانت القيادة الالمانية طيلة فترة ربيع وصيف عام ١٩١٦ تحاول اضعاف هذا الجيش حتى يصبح عاجزا عن القيام بأي هجوم على نطاق واسع . وبهذا الشكل يستطيع الجيش الالماني أن يستعيد مبادأة الهجوم في الشرق ، دون أن يزعجه في الغرب أي شيء ، وأن يحرز انتصارات تقنع الحلفاء بمفاوضته ، اذا لم يضطرهم هذا الهجوم اضطرارا الى ذلك .

ولكن مجموعة هندنبورغ ولودندورف التي تسلمت مقاليد القيادة العامة بعد فالكنهايم اختارت النهاية الاخرى للحل البديل ، اذ حاولت الجيوش الالمانية الحصول على الحسم النهائي للمعركة بالقوة حتى ربيع ١٩١٨. وخرجت روسيا من الحرب في عام ١٩١٧ . وأخذت القطعات الامريكية تنزل في القارة الاوروبية . وبهذا الشكل أصبح ميزان القوى الذي كان ملائماً جداً للالمان حتى عام ١٩١٨ ، غير ملائم ، بل أصبح هذا الميزان يهدد بالخطر مع ازدياد تدفق الاعداد الهائلة من القوات الامريكية . فوضعت القيادة العليا الالمانية استراتيجية تستهدف الانتصار على الحلفاء قبل دخول الجيش الامريكي المنتعش(١) الى جبهة القتال . وقد تساءل بعض المؤرخين وأصحاب النظريات ، وعلى رأسهم هـ. دلبروك ما اذا كانت استراتيجية الابادة والافناء هذه استراتيجية خاطئة منذ عام ١٩١٧ . أفلم يكن من واجب القواد الحربيين أن يقتصدوا بالوسائط . ويحددوا خسائر الجيوش الالمانية حتى يصمدوا أطول مدة ممكنة ، بأمل نفاد صبر الحلفاء واحتمال اكتفائهم بالتفاوض على السلم ؟ لقد كان في وسع الاستراتيجية الالمانية أن تسعى جهدها للحصول على نجاحات دفاعية ، وأن تقنع خصمها بألا أمل من الانتصار والغلبة .

---

(١) FRESH أو FRAICHE

وقد ضرب ريمون آرون في كتابه « الحرب والسلم بين الامم » مثلا آخر أروع في دلالته يبين جدلية النصر وعدم الهزيمة ، وهو المثل الذي ضربته اليابان في عام ١٩٤١ . كيف استطاعت الامبراطورية اليابانية ، المشتبكة في حرب لا نهاية لها ضد الصين ، كيف استطاعت الانقضاض على كل المواقع الاستعمارية الأوربية في جنوب شرقي آسيا ، وكيف تمكنت من تحدي بريطانيا والولايات المتحدة في آن واحد ، على حين لم تكن تنتج سوى ٧ ملايين طن من الصلب سنوياً ، بينما كانت الولايات المتحدة تنتج أكثر منها بعشر مرات ؟ وما هو الحساب الذي أعده القواد الحربيون لهذه المغامرة المجنونة ؟

ويرد ريمون آرون على هذا السؤال قائلا بأن حسابهم كان هو الحساب التالي : بفضل الهجوم المباغت على بيرل هاربور ، سيحصل الاسطول البحري الياباني ، لمدة عدة أشهر ، على السيطرة البحرية ، وتمتد سيطرته الى أوستراليا . وفي وسع الطيران والجيش اليابانيين احتلال الفيلبين وماليزيا ، واندونيسيا ، وربما يستطيعان احتلال القواعد الامريكية الامامية في المحيط الهادي (غيام) . وستصبح اليابان قادرة على اعداد دفاعها وتنظيمه ، لانها ستسود فوق منطقة واسعة ، غنية بالمناجم التي تحتوي على المواد الاولية الرئيسية . ولم يكن أي قائد أو اميرال ياباني يتخيل دخول القطعات اليابانية الى واشنطن لفرض السلم عليها ، بعد انتصار يتم فيه ابادة الولايات المتحدة أو افناء قواتها المسلحة . فقد كان القادة اليابانيون الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية شن الحرب يعتمدون على مقاومتهم للهجوم المضاد الامريكي أطول مدة ممكنة ، يمكن خلالها اضعاف ارادة العدو على الانتصار .

غير أن حسابهم هذا كان حسابا خاطئا ، فقد استطاعت الغواصات والطائرات الامريكية تدمير كل الاسطول التجاري الياباني خلال أربع سنوات . وهزمت اليابان قبل أن تقصف هيروشيما وناغازاكي بالقنابل الذرية . وهكذا نرى أن

الهجوم على بيرل هاربور لم يتح لليابانيين سوى سيطرة مؤقتة على المياه الآسيوية ، وجعل من المستحيل أن تمتنع الولايات المتحدة عن استهداف النصر بأي ثمن .

غير أن الأمل بالانتصار مع انهاك ارادة العدو واستنزافها يتخذ مدلولا آخر في الثورات وفي حروب التشتيت . اذ غالبا ما تبدأ الثورات بجماعات صغيرة لا تعبأ بميزان القوى لا من قريب ولا من بعيد . واذا ما أخذت السلطة الاستعمارية أو سلطة الاحتلال أو السلطة غير الشعبية ، تحسب احتمالات انتصار هذه الجماعات الصغيرة ، وجدت أن احتمال انتصارها معدوم من الناحية النظرية . ففي وسع السلطة الاستعمارية ، وسلطة الاحتلال استخدام قوات الجيش والشرطة لقمعها . فكيف يستطيع أمثال هؤلاء الثوار ، على قلتهم ، انتزاع النصر في معظم الاحيان ؟ لقد برهنت الثورات التي حدثت في الجزائر ، وفي التونكين ، وفي أنام ، وفي المغرب ، وفي كثير من الاقطار الاخرى أن في وسعها أن تنتصر لان هدفها هو : **الربح أو تحاشي الهزيمة** . فعلى حين نرى الحروب التقليدية الكلاسيكية تستهدف الحسم والانتصار بهجوم مباشر ، نجد مثل هذه الثورات والحروب غير المباشرة تستهدف الافلات من قبضة الخصم ومنعه من القضاء على قواها وتصفيتها . فالطرف الاستعماري يحاول أن يربح ، على حين يحاول الطرف الثائر أن لا يخسر . فاذا استطاع الثوار عدم خسارة المعركة من الناحية العسكرية ، أصبح امكان انتصارهم سياسيا احتمالا قويا . فهم متحمسون للمعركة ، ومستعدون للتضحية فيها نظرا لايمانهم بعدالة قضيتهم ، أكثر من خصومهم ، اذ أن خصومهم يشكون في عدالة سيطرتهم واحتلالهم .

وهكذا نرى أن « **تحضير النصر بأفضل شكل ممكن** » – وهو أمر صعب

المنال – « هو احدى الميزات السرية للاستراتيجية » كما قال كلاوزفيتز . الا أن هذه المزية غير قابلة للتحقيق في بعض الاحيان . لذا يترتب على الاستراتيجيين (رجال السوق) دوما أن يضعوا ميزان القوى نصب أعينهم باستمرار ، وان يقدروا الظروف الدولية المتعلقة بالصراع ، وأن يبدلوا هدفا بهدف ، وعندئذ يكون الحل البديل بين توسع النزاع وامتداده وبين استمرار هو استنزاف قوات الخصم واقناعه بعدم جدوى محاولاته الهجومية ، وعدم قدرته على خوض معركة كبرى يتم بواسطتها الحسم التام .

ادارة الاشتباكات وعلاقاتها بالاستراتيجية :

تحدد السياسة ، في بعض الحالات ، ادارة معركة من المعارك ، كما تحدد المخاطر التي ينبغي على قائد الجيش القبول بها . والحدود التي يترتب على الاستراتيجي (الخبير بسوق الجيش) أن يرسمها لمبادأة خبراء التعبئة (التكتيك) .

ولنأخذ مثلا على ذلك لتبيان هذه الصيغ ، رجلا يقود جيشا أو اسطولا حربيا . ان هذا الرجل لا يستطيع أن يرسم لنفسه « الانتصار كهدف له » ، كما يرسمه قائد مسرح العمليات ، أو قائد يقود على مستوى القوات المسلحة للدولة كلها . واذا كان القائد الحربي يتوخى المجد كهدف نهائي له ، فلا يحق للقائد العسكري الذي يعمل تحت قيادته أن يرسم لنفسه هدفا مغايرا للهدف الذي رسمته له خطة الحرب .

ففي هذه الحالة ، يعتبر عمل القائد العسكري عملا محليا تابعا في تخطيطه وتفاصيله للعمل العسكري الصرف الذي لا علاقة للسياسة به .

وقد عاصرنا في أول الخمسينات صراعا بين العسكرية الامريكية وسياستها ، اذ ان السياسة الامريكية حددت نطاق العمليات العسكرية في كوريا بناء على

ضرورات سياسية . وسمعنا وقرأنا ما حدث من خلافات بين القيادات العسكرية الامريكية في كوريا ، وبين القيادة الحربية في واشنطن . فقد كان للسياسة منطقها ، لأن قصف مطارات منشوريا الذي كان يطالب به ماك آرثر عام ١٩٥١ ، لم يكن ليبدل من مجرى هذه الحرب وحتمية انتصار الكوريين — الشماليين فيها ، مع أنه كان من الممكن لو قصفت هذه المطارات أن لا يتسع نطاق مسرح العمليات في عامي ١٩٥١ — ١٩٥٣ ، أو أن لا تدخل في النزاع دول جديدة . ولكن كان في وسع الصينيين أن يردوا على قصف هذه المطارات بقصف الموانيء الكورية الجنوبية أو القواعد الامريكية في اليابان . فقد كان الاتفاق السياسي الضمني بين الدول المشتركة في هذه الحرب المحدودة هو احترام « مناطق القواعد والملاجيء » للاطراف المشتبكة في النزاع .

وهكذا نرى من هذا التحليل ، ومن تحليلات أخرى يمكن القيام بها أنه نادرا ما تمتعت القيادات الحربية بحرية عمل كل شيء يبدو لها مفيدا وفعالا على المستوى العسكري الصرف . فقد أثبت تاريخ كل الحروب الحديثة والمعاصرة أن القيادات الحربية — السياسية تمتنع عن القيام بكثير من الاعمال خوفا من أن يتعقد الوضع الدولي للصراع . ففي كل نزاع من النزاعات ، نجد حججا سياسية جزئية تتعارض مع حجج عسكرية صرفة . ولكن هذا لا يعني أن هناك نزاعا بين الاستراتيجية (السوق) والدبلوماسية . لان هناك دوما حججا ومبررات ، في الامور العسكرية والسياسية لصالح اتخاذ قرار من القرارات أو ضده .

والخطأ الذي يمكن أن يرتكب هو أن نخلط بين الاسباب والدوافع الجزئية السياسية . وبين السياسة ذاتها ، التي تعتبر اللوحة الكاملة لذكاء الدولة وفكرها السياسي والاستراتيجي (السوقي) . فقد قال كلاوزفيتز : « ان السياسة توحد وتوفق ما بين مصالح الادارة الداخلية ، كما توحد ما بين المصالح البشرية ،

وكل ما يستطيع الفكر الفلسفي ادراكه وتصميمه ، لانها ليست الا ممثل هذه المصالح كلها ازاء الدول الاخرى . » . وقد قال كلاوزفيتز أيضاً : « اذا طلبت السياسة من الحرب ما لا تستطيع أن تعطيه ، فانها تعمل ضد مبادئها . فعليها أن تعرف الاداة التي ستستخدمها ، وأن تعرف بالتالي ما هو طبيعي وضروري . » .

وهكذا نرى أن استراتيجية الحرب التي تتبعها اسرائيل لاحتلال الارض العربية وتوسعها على مراحل ، كل مرحلة منها تشكل نطاق أمن وقاعدة انطلاق للمرحلة التي تليها ، لن تؤدي الى نتيجة في فرض السياسة التي تريدها في هذه المنطقة الحساسة من العالم . فارادة الحرب لديها ستصطدم بارادة الحرية والتحرر في المنطقة كلها ، ومهما طال النزاع ، ومهما أذكته الامبريالية الامريكية بكل ما تملك من وسائل الفتك الحديثة ، فان هذه الاستراتيجية القائمة على الانتصار العسكري ستستهلك ذاتها بذاتها ، وستستنزف كل وسائلها أمام عبقرية الشعب العربي وتصميم جماهيره على تطهير أرضها من الفاشية العسكرية العنصرية .

الباب الثاني

في الحزب



الفصل الخامس

الدولة الكبرى وعناصر القوة

كثيراً ما يسمع البعض تعبير الدولة القوية ، والدولة الاعظم دون أن يفهم معناهما أو المقصود منهما . وفي السنوات الاخيرة ترددت مصطلحات « سياسة القوة » و« تصرف الدولة الاقوى » و« غرور القوة وحماقتها» . فما هي العناصر التي تشكل القوة . وماذا يعني هذا التعبير في المفاهيم الاستراتيجية لهذا العصر .

ان الدولة القوية ، بالمعنى الشامل العام ، هي الدولة القادرة على الانتاج أو التدمير وعلى صنع أي شيء [1] .

ولكن القوة السياسية لدولة من الدول ليست شيئاً مطلقا ؛ بل أنها علاقة بشرية . وهناك قوة دفاعية ــ وهي القوة القادرة على منع فرض ارادة القوى الاخرى عليها . وقوة هجومية ــ وهي القوة القادرة على فرض ارادتها على القوى الاخرى .

---

(١) ريمون آرون ــ الحرب والسلم بين الامم ــ كالمان ــ ليفي ١٩٦٢ .

عناصر القوة :

عدد سبيكمان الجغرافي الامريكي العناصر المكونة لقوة دولة من الدول بما يلي :

١ ــ مساحة الأرض .

٢ ــ طبيعة حدود الدولة وشكلها .

٣ ــ حجم السكان .

٤ ــ وجود المواد الاولية فيها أو عدم وجوده .

٥ ــ التطور الاقتصادي والتكنولوجي .

٦ ــ القوة المالية .

٧ ــ التجانس البشري .

٨ ــ درجة التكامل الاجتماعي .

٩ ــ الاستقرار السياسي .

١٠ ــ الروح القومية .

وحددها الاستاذ هـ. ج. مورجنتهاو بثمانية عوامل . :

١ ــ الجغرافيا .

٢ ــ المواردالطبيعية .

٣ ــ الطاقة الصناعية .

٤ ــ درجة الاعداد العسكري .

٥ ــ حجم السكان .

٦ ــ الطابع القومي .

٧ ــ الاخلاق القومية .

٨ ــ طبيعة السياسة المتبعة .

أما رودولف شتاينميتز فحددها بثمانية عوامل :

١ ــ حجم السكان .

٢ ــ ابعاد المجال الارضي .

٣ ــ الثروات الطبيعية .

٤ ــ المؤسسات السياسية .

٥ ــ طبيعة القيادة .

٦ ــ الوحدة والتماسك القوميين .

٧ ــ احترام الدول الاخرى وصداقتها .

٨ ــ الصفات المعنوية .

ولكن المؤلف الالماني جيدوفيشر صنف العوامل التي تشكل قوة دولة من الدول بثلاثة أنواع من العوامل :

١ ــ **العوامل السياسية** : الوضع الجغرافي ، وأبعاد الدولة ، وعدد السكان وكثافتهم والقدرة على التنظيم ، والمستوى الثقافي ، وشكل الحدود ، ومواقف الدول المجاورة .

٢ ــ **العوامل النفسية ــ البشرية** : المرونة الاقتصادية ، والقدرة على الابداع والاختراع ، والصمود والقدرة على التلاؤم والتكيف .

٣ ــ **العوامل الاقتصادية** : خصوبة الارض والثروات المعدنية ، والتنظيم الصناعي والمستوى التقني ، وتطور التجارة والمبادلات ، والقوة المالية .

ويرى ريمون آرون أن كل محاولات التصنيف هذه ، باستثناء المحاولة الاخيرة متشابهة ، لانها تركز على المعطيات الجغرافية (الارض) والمعطيات المادية (المواد الاولية) ، والمعطيات الاقتصادية والتقنية ، والمعطيات البشرية كالتنظيم السياسي ووحدة الشعب المعنوية وطبيعة القيادة . ولما لا شك فيه أن هذه العناصر تؤثر بطريقة أو بأخرى على القوة الكامنة أو الحالية للوحدات

السياسية . ولكن هذا التعداد لا يتجاوب مع المتطلبات التي ينبغي أن تصوغها النظرية .

وينبغي أن تكون العناصر المتفق عليها متجانسة ، وأن تتمتع بدرجة واحدة من الشمول بالنسبة للتاريخ . فعدد السكان ، وخصائص الارض ومميزاتها ، ونوعية الأسلحة أو التنظيم تؤثر في كل العصور على قوة الامم . اما الموارد المالية فلم تكن تعني شيئاً بالنسبة للفاتحين المغول ، ولا بالنسبة للاسكندر .

وينبغي أن يكون جدول عناصر القوة كاملا ، وهذا يتضمن أن يعبر عن العناصر بمفاهيم تغطي كل الظواهر المتباينة . والمختلفة من عصر الى عصر ، وينبغي أن يسمح تصنيف هذه العوامل أخيراً بفهم السبب في عدم تماثل عوامل القوة من قرن الى قرن ، ولماذا كان قياس القوة في جوهره ، قياسا تقريبياً .

واذا ما اعتمدنا على كلاوزفيتز وجدنا أنه ليس هناك صاحب نظرية آخر عالج موضوع الصدفة في الحرب كما عالجه كلاوزفيتز . فقد قال ما يلي . « ان الحرب مجال واسع للصدفة . وليس هناك مجال من مجالات النشاط البشري يترك مكانا فسيحا لهذه الظاهرة الغريبة كالحرب . اذ أن المجالات الاخرى لا تحتك كالحرب مع الصدفة في كل لحظة . ومن المؤكد أن الصدفة تزيد ضباب الشك في جميع الظروف ، وتعرقل سير الاحداث » [1] . وقال كلاوزفيتز أيضا : « ان تعدد العلاقات وغموضها وعدم استقرارها في الحرب تدخل في الحساب عددا كبيرا من العوامل المتباينة ، التي لا يمكن تقديم معظمها الا بناء على قوانين الاحتمالات . فاذا لم يتمتع الشخص العامل بقوة البصيرة اللازمة

---

(١) راجع في الحرب – كارل فون كلاوزفيتز – الجزء الاول – ص ١١٩ – منشورات دار الكاتب العربي – القاهرة .

تكشف الحقيقة العامة نجم عن ذلك فوضى في الافكار والتقديرات لا حل لها .
وما إن يجد المرء نفسه وسط هذه الفوضى حتى يعجز عن ايجاد فكرة تساعده على تحديد موقفه وسط مجموع الافكار . ولقد قال بونابرت في هذا الصدد : « ان كثيراً من القرارات التي يطلب من القائد الحربي اتخاذها . لو تحولت الى مسائل رياضية لطرحت معضلات تستحق أن يدرسها نيوتون وأولر » [1] .
وأخيراً تشكل عدم صحة كل المعطيات صعوبة خاصة في الحرب . لان كل عمل يتم في جو من العتمة . يصبغ الاشياء غالبا بطابع غامض . ويعطيها حجما مبالغا فيه . ومسلكا غريبا . وينبغي أن تعوض موهبة التنبؤ . أو نزعة التسليم للأقدار . عن انعدام الرؤية التي تسببها هذه الانارة الضعيفة . وهنا ينبغي علينا أيضاً أن نعتمد على الموهبة الخلاقة . وعلى منحة الصدفة في غياب التعقل الموضوعي . » [2] . « ان لجوء السياسة الى الحرب يجعلها تتحاشى جميع الاستنتاجات المنطقية النابعة من طبيعتها . فهي لا تهتم بالاحتمالات النهائية الا اهتماما قليلا . وتحدد نفسها ضمن الاحتمالات المباشرة . ويدخل هذا العمل بلا ريب كثيراً من الشك في العملية كلها . فتصبح بذلك نوعا من المقامرة . ولكن جميع الحكومات تعتبر نفسها أمهر في هذه اللعبة من خصومها . وأشد منهم وعيا . وهذا ما يعطيها ثقة كبيرة في سياستها الخاصة » [3] . ولكن هذه الثقة بالسياسة لا تؤكدها الاحداث فيما بعد .

ولنتخيل الآن أن بوسع صاحب نظرة القوة وعناصرها الغاء الشك في الحرب . وعامل الصدفة فيها . وأنه جمع وزن العناصر المختلفة للقوة وأعلن نتيجة المعارك مسبقا ؟ بيد أن قوة أي مجتمع من المجتمعات أو قدرته على فرض

---

(١) المرجع المذكور سابقا – ص ١٣٤ – الجزء الاول – الكتاب الاول .
(٢) المرجع السابق – ص ١٦٨ – الجزء الاول – الكتاب الثاني .
(٣) المرجع السابق – الجزء الثالث – الكتاب الثامن – ص ١١٥ .

ارادته على مجتمع آخر لا تمتزج بالقدرة العسكرية . واذا كانت نتيجة المعارك ونهايتها مشكوكا فيها وليس هناك أي يقين حولها ، فذلك لانه لا يمكن قياس القوة العسكرية بصورة صحيحة ، كما لا يمكن قياس القوة الشاملة أيضا .

وقد اقترح ريمون آرون التمييز بين ثلاثة عناصر أساسية :

أولا ، **المساحة** التي تحتلها الوحدات السياسية ، **والمواد الجاهزة** ، **والمعرفة** التي تسمح بتحويلها الى أسلحة ، **وعدد السكان** ، والفن الذي يسمح بتحويلهم الى جنود (أو عدد الادوات والمقاتلين ونوعيتهم) ، وأخيراً **قدرة العمل الجماعي** الذي يتضمن أيضا الجيش وانضباط المقاتلين ، ونوعية القيادة المدنية والعسكرية ، في الحرب وفي السلم ، وتضامن المواطنين في مواجهة اختبار الحرب ، والظروف والاقدار السيئة والحسنة . وهكذا نرى أن البيئة الجغرافية ، والموارد ، والعمل الجماعي هي العناصر الحاسمة لقوة الدولة ، مهما كان العصر الذي نعيش فيه ، ومهما كانت طرق التنافس القائمة بين الدول أ الوحدات السياسية .

وتصلح هذه العناصر الثلاثة لتحليل القوة في كل المستويات بدءا مر المستويات التعبوية إلى الوحدات الكبرى وحتى المستوى الاستراتيجي (السوقي) الذي تصطدم فيه جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال ، وعلى المستوى الدبلوماسي الذي تتنافس فيه الدول باستمرار . فقوة سرية عربية من أحد الجيوش العربية النظامية في مواجهة سرية اسرائيلية تابعة للجيش الفاشي الاسرائيلي مرتبطة بأرض الاشتباك (البيئة) وبتعدادها وسلاحها (الموارد) ، وأخيراً بانضباط وقيادة القطعتين . وان القدرة على تنظيم الجيش ، وتعبئة المدنيين ، وتدريب الجنود ، على مستوى القيادة السوقية الكبرى أو في السياسة

قد دخل في مسؤولية القوات العسكرية ، ويبدو أنه يرتقي في الوقت الحاضر الى العنصر الثاني (الموارد) . أما سلوك قادة الحرب ، ومواهبهم الاستراتيجية والدبلوماسية ، وتصميم الشعب على القتال ، فتمثل العنصر الثالث (العمل الجماعي) .

وهناك أوضاع جغرافية ترجح القوة الدفاعية . وبعبارة أخرى . تقيم مثل هذه الاوضاع حواجز في طريق الغزاة كالجبال ، والانهار ، والمسافات الكبيرة ، والصحراء . وغالبا ما تحد الارض ذاتها التي تقدم حماية نسبية لمجتمع من المجتمعات من امكانات تدخل هذا المجتمع خارج حدوده .

وتعتبر الدول الصغيرة الحواجز الطبيعية منحة لها من الطبيعة نظرا لانها لا تطالب بأن تلعب الدور الأول ، ولا تهتم أبداً بالقوة الهجومية . مع أن القوة الدفاعية العسكرية لمجتمع من المجتمعات مرتبطة بميزات الارض التي تقيم عليها .

وتدين سويسرا بقدرتها الاستثنائية للدفاع عن نفسها الى التضاريس الموجودة في أرضها . ويعزى بقاء روسيا وعدم احتلال كل أرضها خلال الحملات التي شنت ضدها الى مساحات الارض الشاسعة التي تتمتع بها . ولم يتمكن نابليون ولا هتلر – بالرغم من نجاحات هتلر المدوية من قهر مقاومة القياصرة والفلاحين الصغار والدولة الشيوعية ، وشعوب الاتحاد السوفياتي . ان الاستيلاء على موسكو لم يقض على شجاعة الكسندر ، كما أن هتلر لم يتمكن من الاستيلاء على موسكو لان الروس حساسون جدا في الدفاع عن عاصمتهم ، ويعتبرونها مركزهم الروحي والحضاري ولا يسمحون لاي خبير عسكري بأن ينصحهم بالتراجع عنها . وفي عام ١٩٤١ – ١٩٤٢ كانت الجغرافيا قد وضعت شبكة الطرق الروسية الفقيرة والمتخلفة وعدم ارتفاعها الى مستوى شبكات الطرق

الحديثة ، ونقل المصانع الى الاورال أو بناءها أثناء الحرب في هذه المنطقة من الاسباب الرئيسية لخلاص الاتحاد السوفييتي وسلامته .

وهكذا نرى أن تقييم قوة الدولة ومنزلتها في ميزان القوى يستند الى سعة أرضها ونسبة تعدادها وأهمية ثرواتها والمنابع المفترضة لطاقتها العسكرية . وكانت القوة والامن مسألة حدود في الدرجة الاولى . ولكن عامل الحدود بدأ يفقد قيمته مع استعمال الصواريخ ذات المدى البعيد ، التي تزداد دقتها وسرعتها كل يوم . وان كسب الاراضي وتوسيع الحدود كان تجسيدا في الماضي لارادة القوة القومية ، وكان غرضا نهائيا ودائماً للدولة المعتدية (١) .

وقد بدل السلاح الذري هذا المفهوم ، وأصبح في وسع أي دولة عصرية الانتقال الى الهجوم وتوجيه ضربات مخيفة وساحقة لخصمها دون أن تجتاز حدوده بالسلاح . وتغيرت في عصرنا أيضا قيود المجال الجوي التي كانت تفرض على الاساطيل الجوية ، فبوسع الدول العظمى اليوم القيام بقصف جوي انطلاقا من الاقمار الصناعية . فالمساحات الشاسعة اليوم لاي بلد من البلدان لا تشكل حماية له .

وينبغي أن تكون الدولة ذات المطامع الخارجية مؤمنة داخل حدودها ، وضمن اطار حواجزها الجغرافية من أي غزو مع احتفاظها بامكانية التدخل في الخارج . وكانت انكلترا تشكل ، عبر تاريخها الاستعماري ، قاعدة أمينة محمية من الغزو ، وصالحة لتكون نقطة انطلاق الحملات البعيدة ، أو الحملات الى القارة الاوربية ، في حين نجد أن فرنسا تعاني من حساسية دفاعية خاصة لان عاصمتها قريبة جدا من حدودها الشمالية

---

(١) السلم المسلح – غاستون بوطول – المكتبة العصرية – بيروت – الفصل الحادي عشر – السلم النووي .

ولايفلت أي تعبير من هذه التعابير الثلاثة ، حتى الاول منها ، من التاريخ . فقد ثبت تاريخيا أن الارض التي يصعب النفاذ اليها تزيد من القدرة الدفاعية وتقلص القدرة الهجومية للوحدة السياسية التي تعيش فوقها . فقد كان الشعب الجزائري قادرا بمساعدة تضاريس أرضه على مقاومة عملية اخماد ثورته التي قام بها الفرنسيون – كما كان قادرا قبل ذلك بسبعة عشر قرنا ضد القوات الرومانية . ولكن حسب تقنية الحرب ، فان انكلترا سواء أكانت معرضة للاخطار أم غير معرضة . وسواء أشكلت المضائق عقدة طرق استراتيجية أو اختناقا وهميا بين بحرين مغلقين . فالارض والبحر يتيحان طرق مواصلات ميسورة بشكل آخر .

أما بالنسبة للتعبيرين الاخرين . فان أكثر الاقتراحات عمومية وشمولا ستكون قليلة الفائدة أو لا فائدة منها . فبوسعنا أن نقول إنه لو تساوت كل الاشياء . فالعدد هو الذي يتفوق في الساحة الدبلوماسية كما يتفوق في ساحة المعركة . ولكن اذا لم تكن الامور متساوية . فان هذا الاقتراح لا يعلمنا شيئا . ويمكن أن نتمسك بدلالة ومعنى التعابير الثلاثة : **فعالية الاسلحة . العمل الجماعي . وعدد الجنود**: فالانضباط وعدد الجنود لا يعوضان ميزان السلاح الذي مال الى جانب الخصم بصورة كبيرة . ولكن من المستحسن كما أنه من المستحيل – تحديد قياس عدم التساوي الذي لا يمكن تعويضه . وقد وجدت الشعوب المحرومة من الصناعة . وهي شعوب العالم الثالث : طريقة قتال في القرن العشرين هي **حرب العصابات** التي تسمح لها بالدفاع عن نفسها ضد الشعوب المجهزة بأكثر أدوات الحرب الحديثة فتكا وتدميرا . وأثبتت هذه الشعوب بحروبها التحررية والعادلة قدرتها على تغيير الميزان الاستراتيجي (السوقي) بينها وبين خصمها القوي . حتى عندما يملك هذا الخصم تفوقا تقنيا ساحقا . وهكذا فان المهارة والتصميم تهمسان للضعيف بسر المقاومة المستمرة والثابتة ، والصمود الرائع ، ان لم تهمس له بمقاومة ظافرة .

وقد حلل ريمون آرون الدراسة التاريخية والاجتماعية لعناصر القوة الشاملة ، فوجدها تتضمن مرحلتين أساسيتين : الاولى وتتضمن تحديد عناصر القوة العسكرية . ففي كل عصر أو عهد تتأكد فاعلية جهاز القتال بتضافر عمل بعض الأسلحة ، وبنوع معين من التنظيم ، وبعدد كافٍ من الاسلحة والمقاتلين .

وتركز المرحلة الثانية من التحليل على العلاقات بين القوة العسكرية والمجتمع ذاته . فالى أي حد من الحدود يعبر تفوق السلاح والتنظيم عن تفوق تقني واجتماعي (هذا اذا افترضنا أنه من الممكن تحديد هذين النوعين من التفوق بصورة موضوعية) ؟ إن أي جيش من الجيوش هو تنظيم اجتماعي ، وهو تعبير عن المجتمع بكامله . ان مُعامِل [1] النفير – أي نسبة الرجال الذين يمكن تعبئتهم للحرب ، مرتبط ببنية المجتمع ، وعدد المواطنين فيه بالنسبة لغير المواطنين ، وبعدد الافراد الذين يسمح لهم بحمل السلاح دفاعا عن الوطن كما يجري في بعض الدول التي يحكمها حزب أو طبقة . وكما جرى في الماضي عندما كان الاشتراك في القتال ممنوعا على عامة الشعب ، ومقتصرا على طبقة النبلاء .

وهناك نسبة لا يمكن لاية دولة أن تتجاوزها عند تعبئة أفرادها للقتال . وتستطيع اسرائيل أن تعبىء لصالح الحرب نسبة كبيرة من سكانها تبلغ حوالي ١٣ بالمئة وهي نسبة هامة اذا ما قيست بنسب التجنيد في الدول العربية. ويمكن لهذه النسبة أن ترتفع في اسرائيل لتصل الى ١٥ أو ١٨ بالمئة اذا حسبنا دور المرأة في المستعمرات وفي الخطوط الخلفية [2] . وقد عبأت اسرائيل في حربها

---

(١) Coefficient معامل والمقصود به نسبة تأثير العامل .

(٢) المذهب العسكري الاسرائيلي – هيثم الكيلاني – منشورات منظمة التحرير الفلسطينية مركز الابحاث – ص ١٨٠ .

العدوانية ضد الدول العربية في عام ١٩٦٧ (١٥ ٪) من قوتها البشرية . ومن المعروف ان الدول تستطيع تعبئة ١٠ بالمئة من قوتها البشرية بصورة عامة . على أن الدول العربية المواجهة لاسرائيل لم تعبىء في عام ١٩٦٧ ما يتعادل مع هذه النسبة أبدا لاسباب عديدة . والحقيقة نادرا ما وصلت نسبة التعبئة النظرية الى هذا المُعامل، ونادرا ما أقتربت منها لان الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وطريقة القتال التقليدية ، والخوف من تسليح مجموعة من المواطنين قد تكون معادية للنظام ، كل هذه الظروف تؤثر تأثيراً كبيراً على حجم التعبئة .

٢ ـ القوة في زمن السلم وفي زمن الحرب :

يمكن تحليل قوة دولة من الدول في زمن السلم استنادا للعناصر ذاتها : البيئة الجغرافية ، الموارد ، القدرة على العمل . ولكن في حين ترتبط قوة دولة في زمن الحرب بقوتها العسكرية ، وبمجال استخدامها ، ترتبط قوة الدولة في زمن السلم (كما ترتبط قدرتها على منع فرض ارادة الدول الاخرى عليها مع فرض ارادتها الخاصة) على الوسائل التي يعتبرها المجتمع الدولي وسائل شرعية . وتصبح القدرة على العمل الجماعي هي فن الاقناع أو القسر دون اللجوء الى القوة الهجومية ، والقدرة على عدم الانخداع ، وعدم الخوف والانفعال العاطفي أو التجزئة دفاعيا .

وقد أطلق اسم الدول العظمى على الدول التي تملك موارد ضخمة ، وأرضا واسعة ، وعددا كبيرا من السكان ، وقوة عسكرية هائلة . وقد قُبِلَتْ بروسيا في القرن الثامن عشر كما قبلت اليابان في القرن العشرين في عداد الدول الكبرى لأنهما أعطتا الدليل على قوتهما في ساحات المعارك .

واستخدمت الدول الكبرى وسائل الضغط الاقتصادي والحصار لفرض ارادتها على الدول الاخرى . ولكن وسائل الحصار والضغط لم تنجح ، لانها

تتطلب تحقيق فرضية عدم وجود حلفاء للدولة المعرضة للحصار والضغط ، الا أن هذه الفرضية لم تتحقق أبدا . ولكن المعونات الاقتصادية ليست عديمة الفاعلية .

فقد أدى مشروع مارشال الى انشاء حلف الاطلنطي . ولا تستطيع أية دولة من الدول المتخلفة في عصرنا الحالي بسط سيادتها على عدد كبير من السكان اذا كانت عاجزة عن تأمين الاستثمارات الضرورية لرفع مستوى حياة سكانها . ولكن الدولة المتخلفة قادرة على الصمود في الوقت نفسه في وجه أية ضغوط اقتصادية .

ان الدبلوماسية التي لا تملك وسائل الضغط السياسي أو الاقتصادي ، والتي لا تملك العنف الرمزي أو السري ، ونعني هنا بالعنف الرمزي أو السري ، الارهاب ، والحركة الثورية القادرة على استخدام العنف ، أو العملاء القادرين على تحقيق التغيير الداخلي بالنسبة للدول الاستعمارية ، أو القوة المسلحة القادرة على تحقيق أهداف الدولة ، ان هذه الدبلوماسية تتحول الى مجرد اقناع . فالدبلوماسية الحقيقية هي الدبلوماسية القادرة على زرع الخوف في صفوف الخصم عندما تقرر استخدام القوة .

بعد كل هذا العرض يحق لنا أن نتساءل عن دور القوة في العلاقات الدولية ؟ ان مفهوم القوة يعني الموارد ، والقوات العسكرية والطاقة . ويتحدد وزن أية دولة من الدول ، في المجال الدولي بحجم مواردها المادية أو البشرية التي تضعها في خدمة عملها الدبلوماسي – الاستراتيجي (السوقي) . واذا كانت الاحلاف تظهر تبعية الدول وأهمية الدولة الكبرى التي تسيطر على الحلف وتقوده ، الا أن هذا العصر عندما لا يسمح باستخدام القوة ، يضطر الدولة الكبرى الى استخدام وسائل الضغط والاقناع . ولكن الدول الصغيرة في الاحلاف تقود الدول الكبرى أحيانا في اتجاهات تتعارض مع مصلحتها . وتضطر الحليف

لاكبر الى الاختيار بين التنازل واستخدام القوة . وأمامنا تجربة واضحة في الحرب العالمية الثانية . فقد مارس الجنرال ديغول تكتيك الرفض أو التخريب ازاء أمريكا وبريطانيا عندما وجد أن مصالح بلاده في خطر بين عام ١٩٤٠ — ١٩٤٤ . وسمح له هذا التكتيك بفرض ارادته في كثيرمن الاحيان .

ان العلاقات بين الدول المتصارعة . لا تعبر أحيانا عن العلاقة بين ميزان القوى لدى حكومات الطرفين . ومن واجب الدول أن لا ترسم لنفسها أهدافاً لا تستطيع مواردها تحقيقها . وان الدول العاقلة هي التي تحد من مطامعها ولا تصعد قوتها الى أقصى حدودها . لان تصعيد القوة وزيادة المطامح والمطامع عن حدها يدفع الدول الاخرى الى التحالف ضدها ، والى خوض معركة ضارية معها . ولهذا كان بسمارك يخشى من تصاعد قوة الرايخ . ويرغب بأن لا تذل انتصاراته أو تقلق الدول الاوروبية . وخلال المرحلة الاولى بعد عام ١٨٧٠ . كانت فرنسا المغلوبة هي التي حصلت على كسب في الاراضي لا الرايخ الظافر . فاذا أراد المنتصر أن يعيش متمتعاً بالسيادة دوما وبالمكاسب فسيعيش وسط الاخطار . لأنه سيحتاج دوما الى انتصارات ، والى انتصارات ظافرة . وهذا نادرا ما يحدث [١] .

---

(١) الافكار الاساسية لهذا البحث مستقاة من كتاب : « الحرب والسلم بين الامم » لريمون آرون — المرجع المذكور سابقا .



الفصل السادس

التقنية العسكرية

بين حرب الأزرار والحرب التقليدية

كان المارشال الكونت موريس دو ساكس ، وهو جنرال فرنسي من قادة القرن السابع عشر يقول عن الحرب إنها فن مغلف بالظلمات ، وان هناك شبه استحالة في أن يضع القائد فوق ميادينها خطوة واثقة مضمونة . كما أن شارنهورست ، الجنرال البروسي المشهور الذي أعاد تنظيم الجيش البروسي بالتعاون مع كلاوزفيتز ، وكان من أبرز القادة الذين وقفوا في وجه نابليون ، كان شارنهورست يعتبر أن فن الحرب يكمن في تركيب عدة عناصر متباينة ، متناقضة أحيانا ، وفي مطابقتها مع الضرورات الطبيعية والبشرية للخطة الراهنة ، والتي يصعب في غالب الاحيان السيطرة على جريانها . وهناك أيضاً ما يسمى « **بعامل الصدفة** » ، هذا العامل الذي يأتي ليعقد كل الامور . فهناك كثير من القادة العسكريين الذين كان من الممكن أن يقودوا معاركهم الخاسرة بطريقة أخرى ، لو أنهم عرفوا ما تعلموه فيما بعد وهو « ما هو موجود في الجانب الآخر من التل » ، هذا التعبير الذي أطلقه ويلنغتون الانكليزي الذي قاد عام ١٨١٥ القوات الحليفة ضد نابليون بونابرت وربح معركة واترلو . وقد قصد بهذا التعبير معرفة نوايا العدو وترتيبه الحربي ، وما

يدور في ذهن القائد المعادي من أفكار وخطط . فالصدفة تلعب دورها في الحرب ، كما تلعب دورها في الحياة بالرغم من أن الحرب أصبحت تقاد بشكل جماعي ، وتتعاون لربحها وتقييم الاوضاع فيها كثير من الادارات .

ففي مجال الرياضيات ، تؤدي الحسابات التي تتم بنفس العناصر الى النتيجة نفسها حتما . ولكن في الاستراتيجية . من النادر أن نحصل عند جمع اثنين الى اثنين على رقم ٤ . ولهذا يحذر العقيد ميكشه (أحد أساتذة فن الحرب في كلية الحرب العليا في البرتغال ، وأحد النقاد العسكريين المشهورين في العالم) ، يحذر ميكشه من العسكري « الحديث » الذي يحاول حل المشكلات المعقدة للاستراتيجية (السوق) بوسائل تنقصها المرونة فقط – برغم قوتها ومداها وسرعتها أو بسبب هذه الصفات – للتلاؤم مع أوضاع مختلفة ومتبدلة في الحرب . فالرغبة في رفع مستوى الجيوش الى آخر مستوى وصلت اليه التقنية الحديثة يؤدي الى صيغ ميكانيكية ميتة ، قابلة للمناقشة بصورة عملية في ادارة العمليات ، وقابلة للمناقشة بصورة أكثر عندما يراد منها دعم سياسة من السياسات بالمعنى الدولي لهذه الكلمة . اذ تحاول الدول الكبرى التي حصلت اليوم على أكبر تقدم وضع قواعد ثابتة لاحوال غير ثابتة ، وتحاول الحصول على حرية العمل ضمن اطار حدود من « المعايير » . وهذا يقود الى وضع خطة قد تبدو منطقية لاول وهلة ، غير أنها **« تتناقض وتتعارض »** مع آلاف التجارب .

ويضيف العقيد ميكشه قائلا : « يبدو أنهم لم يفهموا حتى الآن ان التقنيه ليست هدفا في حد ذاتها ، بل انها وسيلة لتحقيق غرض من الاغراض . فهم يحاولون أن يردوا على القنابل ذات الطاقة التدميرية الكبيرة بقنابل أخرى أكثر طاقة منها ، وعلى الطائرات السريعة بطائرات أسرع ، وعلى الصواريخ الموجهة بأخرى قادرة على اعتراضها أو سبقها بمئات الكيلومترات . وهم ينسون أن **« الانسان هو معيار كل شيء »** . وقد غاب عن أذهانهم أن معظم الحروب

تنفجر مستقلة عن التقنية . وبالتالي فانهم لا يستطيعون حل كل المعضلات بالوسائل التقنية الحديثة فقط » . وبعد أن يستعرض ميكشه التطورات السياسية التي تظهر في العالم . يؤكد أن الدفاع الغربي أضحى غير ذي جدوى من الناحية السياسية . ولا يحتفظ بأية قيمة . رغم كل التحسينات التقنية التي طرأت عليه الا في حالة واحدة عندما يهجم الشرق على الغرب بصورة مباشرة .

فاذا كان من الطبيعي أن تطبق التقنية في كل نشاطات الحياة . فان تطبيقها في الميدان العسكري . مع المبالغة والتطرف . يؤدي بسهولة الى ارتكاب اخطاء مميتة . فانتصار المادة على الفكر قد انحط بفن الحرب الى المستوى « التقني » وهبط بالاستراتيجي الى مستوى آلي عادي . « فالروتين » التقني يحل الآن محل الذكاء الخلاق . ولم يعد الجنود مقاتلين ومحاربين . بل انهم أصبحوا اخصائيين في استخدام بعض الآلات والادوات .

وقد أصبحت الجيوش منظمات مماثلة للمصانع . تعمل تحت إشراف « مهندسين » . وتقاد القطعات الغربية اليوم « ببيروقراطية » عسكرية يتزايد عددها باستمرار . ويصدق اليوم في هذه الادارات وهيئات الاركان ما قاله المارشال البروسي مولتكه الذي قاد الجيش البروسي في عام ١٨٧٠ . من أن هيئات الاركان الضخمة دليل [illegible] على [illegible] سنة . وأكبر برهان على هذا الكلام أن هيئة اركان الجنرال ايزنهاور بلغ عددها في [illegible] . أثناء الحرب العالمية الثانية ٢٠,٠٠٠ شخص .

ان العقل الاليكتروني هو الذي يقود اليوم الجنرالات النوويين . الذين يتابعون معاركهم على شاشة صغيرة . المادة اللازمة لقراراتهم . ويرقب

« المقاتلون » الذين يتمتعون باختصاص رائع في استخدام الرادار ، ويرقبون السماء ، على حين يوجه جنود آخرون الصواريخ ضد المهاجمين . والقتال بالنسبة لهؤلاء الجنود عبارة عن مراقبة مصابيح متعددة الالوان ، وادارة الازرار أو الضغط عليها ... الخ . ولكن ماذا يحدث لهؤلاء المقاتلين لو أن بعض الجنود المعادين المسلحين بالسكاكين تسللوا الى مراكزهم ؟ ماذا تفيدهم عندئذ كل هذه التقنية ؟ لو حدث هذا لتبادر الى ذهننا فوراً وبصورة غريزية ما حدث لأخميدس ، عندما قتله أحد جنود « **الليجيون** » الرومانيين ، وهو منهمك في حل معضلة جبرية صعبة . فلم يلاحظ أرخميدس اقتراب القاتل . وعندما شاهد سكينه ، لم يجد من الوقت الا لحظة خاطفة قال خلالها للقاتل : « لا تمس دوائري » . وكانت هذه الكلمات هي آخر ما تفوه به .

ان ميكشه لا يقرر الاستغناء بالطبع عن الرادارات ، وعن الصواريخ الموجهة أو الطائرات ولكنه ينبه فقط الى أن « تقنية » الجيوش تخلق نموذجا من الجنود أقل مستوى من المقاتل الحقيقي . ومما لا شك فيه أن تزويد المحارب بآلات ملائمة تضاعف احتمالات نجاحه ، وتنمي بالتالي ثقة الجندي بأسلحته . غير أن معنوياته شيء آخر غير الشعور المبالغ بقيمته ، هذا الشعور الذي يتحول فورا الى عقدة نقص عندما يتعرض لاخفاق حتمي ومؤكد . فالمعنويات الحقيقية في نظر هذا الناقد الكبير لا « تشترى » بميزات العتاد والتحسينات الطارئة عليه . وكما أشار الى ذلك المارشال سوفاروف : « ان الرفاه يقلل الشجاعة » . فنادرا ما يكون الجنود الذين يتقاضون رواتب عالية مقاتلين اشداء . وفي الغالب لا تتناسب فعاليتهم مع ما تتكلفه قطعاتهم من أموال . فجنود المشاة الذين يتحولون الى ركاب في سيارات الجيب يصبحون كسالى ، وتتجه قيادتهم عند ذلك الى مطالبة الآليات بجهود أكبر من الجهود البدنية التي تطالب بها

جنودها . فمن السهل جداً نقل مشاة مدربين على المسير لمسافات طويلة على أقدامها في آليات . طالما كان ذلك ضرورياً . الا أن العكس صعب جداً

فلكي تحصل القيادات على مقاتل جيد تلجأ الى التربية والتدريب التقني والبدني . فالتحمل البدني والمعنوي . والقدرة على الصمود أمام كل الاختبارات . وفي خضم الاخطار أهم بكثير من تحقيق أرقام قياسية في القفز العالي والقفز العريض بالنسبة للجندي . ومن الطبيعي أن يحتاج تدريب الجنود في عصرنا الحالي الى وقت أقل من تدريبهم في العصور الماضية . الا أن هذا التدريب ينبغي أن يلاحظ أن هذا الجندي سيعمل في وحدة صغيرة . بابداعه الذاتي احيانا ضمن اطار التوجيهات العامة لوحدته . لذا ينبغي أن يربى بشكل نعتمد عليه في جو القتال الساخن .

ان الذين يشبهون الجندي الحديث بعامل متخصص . يبتعدون عن الحقائق . فاذا كان المطلوب من الاثنين هو اتقان استخدام الآلة . فالمردود المطلوب من كل منهما مرتبط بدرجة اعداده . غير أن الجندي يستخدم آلته وهو يعرض حياته للخطر . وعليه أن يستخدم سلاحه غريزيا ، دون تفكير . لان الخطر يلح عليه أحيانا ويمنعه من ذلك . فالجندي الذي يبدد وقته في التفكير . يفقد الفرصة الملائمة لاصابة خصمه .

وللتدليل على أهمية ما كتبه ميكشه يكفي أن نقرأ بعض الاحصاءات التي أوردها عدد من القادة السوفييت في كتاب « الاستراتيجية الحربية من وجهة النظر السوفييتية » . فقد ذكروا أن الوزن النوعي لعدد المهندسين في كل الجيوش يتزايد باستمرار . ففي نهاية الحرب العالمية الثانية كانت نسبة الفنيين والمهندسين في القوات المسلحة السوفييتية نسبة ١ الى ٤,٢ بالنسبة للقادة . أما

في القوات البرية فكانت ١ الى ٥,٧ بالنسبة للقادة . وفي سنوات ما بعد الحرب تغيرت هذه الصورة تغيراً تاماً وأصبحت نسبة المهندسين الى الفنيين ١ الى ١,٥ من قادة القوات المسلحة بصورة عامة ، و١ الى ٣ في القوات البرية . وفي مطلع عام ١٩٦٠ كان ٣٨ بالمئة من الضباط مهندسين فنيين . ومن الخواص المميزة أيضا في الوقت الحاضر أن قوات الصواريخ تحتوي على ٧٢ مهندسا وفنيا من بين كل ١٠٠ ضابط .

ويقارن ميكشه بين جنود الماضي وجنود الحاضر ، فيرى أن الجنود السابقين لم يكونوا يعتبرون أنفسهم بؤساء أبدا . فقد كانت روح القطعة تسود مكان الروح الفردية ، وكانت المصالح الذاتية تمحى وتضمحل أمام المصلحة الجماعية . فقد كان الجنود يربون على احترام التقاليد ، وعلى الاعتزاز بقطعاتهم ، الامر الذي جعلهم يتغلبون على كثير من الصعوبات النفسية . فالتقاليد لا تتعارض مع التقدم أبدا كما يدعي البعض . ولكي لا يتيه البعض ويغرقوا في الضلال ينبغي أن يرتبط التقدم بالتقاليد . فالجيوش التي تنكر ماضيها لتبني مستقبلها على أرض جديدة كل الجدة تصاب بمركب النقص .

ولا بد للجندي من أن يؤمن بفكرة توحي له بالاندفاع والاستبسال فالحرب هي متابعة السياسة بوسائل أخرى ، اذن فالحرب صراع في سبيل مصالح الجماعة التي ينتمي اليها الجندي . واننا كثيرا ما نجد أن الروح المقاتلة الحقيقية بشروط نفسانية غير شروط الشجاعة الوطنية .

وفي كل العصور ، وفي كل الحضارات ، تمتع المحاربون بوضع خاص . وكانوا في غالب الاحيان يشكلون طبقة مغلقة ، قامت بأعمال مؤسفة . ولكننا اذا كنا نرفض نموذج الضابط الذي كان سائدا قبل الحرب العالمية

الأولى . فاننا نرفض أيضا الوظيفي والتقني العسكريين في هذا القرن . وأكبر مثل يعطى للضابط في عصرنا . هو مثل الضابط في الاتحاد السوفييتي . في المجتمع « اللا طبقي » . اذ يربى الضابط هناك وفي كل البلدان الشيوعية ليكون نخبة « للبروليتاريا » .

ان الجندي الفني يختلف بطبيعته ذاتها عن المحارب الجيد . فالاول يعمل بتفكير وبأسلوب . على حين يعمل الثاني بالغريزة وبالحدس . ويرى الاول في ضابطه مهندسا يديره . على حين يحتاج الثاني الى قائد يقوده . ويدربه . ويثق به . ويكون بالنسبة اليه مثلا يحتذى . ان الضباط الفنيين يتسمون بنفسية سيئة . لذا فهم لا يمكن أن يكونوا قوادا لجنودهم . فالضابط القائد هو الضابط الذي يقود . لا الضابط الذي يشرف ويدير . ان عليه أن يكون أقرب الى مرؤوسيه مع محافظته على هيبته ونفوذه .

وبعد أن يفرق ميكشه بين تدريب الجنود الفنيين لحرب حديثة . وبين تدريب المقاتلين . يتوصل الى الاستنتاج بأن الوحدات الفنية لا تملك تماسكا والتحاما روحيين . بقدر تماسك والتحام الوحدات المقاتلة .

ويدعو ميكشه أخيرا الى المحافظة على التوازن بين المطالب التقنية للجيوش ، وبين ضرورة بقاء الجيوش جيوش محاربين ومقاتلين . فرغم كل التقدم التقني يبقى المقاتلون الاشداء نوعا بشريا خاصا . وتبقى الحاجة ماسة الى المقاتل الحقيقي .

ويصل ميكشه في نهاية مقاله الى موضوع « تسييس » الجيش ، والجيوش التي تنظم في ظل حكم الحزب الواحد أو الجيوش التي تشكل بصورة عامة اداة للسياسة العامة للشعب . والمهم في هذا المجال هو أن تكون تربية سياسية

في الجيش تغلّب مصالح الوطن العليا فوق كل مصلحة ، وأن توحد بين مشاعر كل الجنود في حب الوطن والدفاع عن حرماته .

ولا يستطيع الجندي ، في هذا العصر ، أن يعمل بدون الرجل السياسي . فهو يقاتل بالتعاون معه . والسياسيون مسؤولون دوما ، أمام الشعب : عن قيمة القوات المسلحة ، وقيمة التدريب الذي يشكل قاعدة السياسة القومية . ولكي تكون الاداة المسلحة قادرة وفعالة ، تحتاج الى عون معنوي تغذيها وتمدها به الجماعة ، التي بدونها لا تقوم قوات مسلحة على أساس سليم . واذا كان على العسكريين والسياسيين أن يتعاونوا معا لتحقيق أهداف الشعب ، يشترط ذلك أن يبقى الطرفان ضمن حدود صلاحياتهما . وفي النهاية يتوصل ميكشه الى حقيقة أساسية هي أن موقف الشعب كله نحو قواته المسلحة هو الذي يصنع أساسا العسكرية الصالحة أو السيئة . فالجيش يشكل اداة ضرورية للقوة ، قادرة على ممارسة الضغط على الخصم ، وتأمين الدفاع عن المصالح المهددة . وبالنسبة الينا نحن تبقى قواتنا المسلحة هي الاداة التي ينبغي أن تكون قادرة على فرض ارادتنا ، وانتزاع أرضنا السليبة وسط العواصف والاعاصير التي تهب على منطقتنا .

الفصل السابع

المناورة

تمهيد :

من واجب من يريد أن يصبح فنانا حقيقيا أن يدرس نظرية فنه . كي يفهم مطالبه واحتياجاته وامكاناته . وهكذا نرى أن فهم نظرية المناورة ضروري لمن لا يعرفون كيف يناورون بقطعاتهم ، وضروري أيضاً لمن يعرفون وتلقوا الحد الادنى من المعلومات ومارسوا بعض التجارب العملية . وذلك لان فهم نظرية المناورة يلقي أضواء ساطعة على المبادىء التي تطبق لاشعورياً . كما يسهل تجربة المستقبل .

والغرض من هذا البحث هو فهم بعض تعاريف المناورة ، وتحديد هدفها . وتحديد النقاط التالية ضمن اطار المناورة التعبوية (التكتيكية) ذاتها :

- ما هي الاسس العامة والخاصة التي تستند اليها المناورة مع اجراء التمييز بين الجزء شبه الثابت منها (القواعد والمبادىء) والجزء المتطور (أساليب المناورة) .
- عمليات التعاون المختلفة التي تتيحها عند التطبيق .
- شروط التنفيذ .

ولكي ننهي هذا البحث ، سنوضح امكانات المناورة والقيود الجديدة المفروضة عليها في ظروف الحرب الحديثة .

• • •

يقول النظام الذي يدرس في معظم الكليات العسكرية ومدارس الاركان ومدرسة الحرب العليا ما يلي : « **ان المناورة ضرورة مطلقة على كل المستويات** » .

ولكن ما هي المناورة ؟

نظرا لتعقد التعريف الواجب اعطاؤه ، نجد وفرة وتنوعا في الاجابة على هذا السؤال .

فبالنسبة للجنرال مودهيو تعتبر المناورة « فن استخدام وسائل معينة للحصول على هدف مرسوم » . ولا ينطبق هذا التعريف ، نظرا لطابعه الشمولي على المناورة العسكرية فحسب ، بل انه ينطبق أيضا على كل مناورات الصراع من أجل الحياة أيضاً .

ويعرف العقيد دانكور المناورة بما يلي : « **ان المناورة هي : « ترتيب الوسائل واعدادها ، وتحريكها بمزج تأثيراتها والعمل على تضافرها في الزمان والمكان ، بغية تحقيق هدف معين برغم العدو** » .

وهكذا نرى أن هذين التعريفين ينطبقان على التعريف التالي **للمناورة الاستراتيجية (السوقية)** : « ان المناورة هي ترتيب القوات وتحريكها بشكل تجابه العدو فيه بمعركة ظافرة » . وهنا نجد تأكيدا واضحا على مفهوم الحركة بالنسبة للمناورة .

وينطبق هذان التعريفان أيضا على المناورة (**التعبوية التكتيكية**) التي يعرفها

العقيد شتراوس بما يلي : « تتضمن المناورة تضافر الوسائل بغية تحقيق المهمة التي رسمتها القيادة » . ومعنى **تضافر الوسائل** هنا هو التوصل الى تأثير للقوة .

ويبدو أن من الأفضل ، بدلا من التيه وسط التعاريف المتعددة للمناورة أن نحلل الافكار التي يثيرها تعبير المناورة ذاته .

فكلمة مناورة كما تعرفها معظم المعاجم العسكرية العربية والاجنبية تعني مناورة وتعني العامل المبتدىء ، أي أنها تتضمن مفهوم الابداع الشخصي . هذه هي السمة الخاصة الاساسية والاولى للمناورة .

فالمناورة هي عمل القائد الذي يقود كل صنوف الاسلحة في مستوى محدد . ويعبر الجنرال دولاشابيل – مدير كلية الاركان ومدرسة الحرب العليا في فرنسا سابقا – عن هذا العمل بما يلي :

« يمكن أن ينجح القائد في المناورة اذا تمكن من الابداع ، والتجديد ، والخلق ... فقط ... وقد كان كل القادة المنتصرين خلاقين ومبدعين لعمل موحد ، وانجزوا عملا (محسوباً بدقة) » .

وهناك سمة خاصة ثانية : ان ناور فعل متعدد الفرقاء فنحن لا نناور لوحدنا فحسب ، بل نناور استنادا الى عدو وينبغي أن نحدث فيه أثرا معينا ، بقصد تحقيق هدف محدد . وذلك لمنعه من اعاقة مناورتنا الخاصة ، وشل مناورته من جهة ، ومن جهة أخرى لان الشرط الاول لوجود مناورة من المناورات هو وجود هدف ، وهدف محدد . فقد قال المارشال فوش ما يلي : « لكل عملية من العمليات مبرر وجودها ، أي أن لها هدفا . وبعد تحديد الهدف ، تثبت قيمة الوسائل الواجب استخدامها وطبيعتها ، واستخدام القوات بصورة عامة » .

والسمة الاخيرة هي أننا لا نناور على الورق : نظريا ، بل اننا نناور على أرض منتقاة حتى نحول الاثر المطلوب ضد خصمنا الى أثر فعال الى أقصى حد ممكن .

• • •

بعد أن تحدثنا بصورة أولية عن الدراسة النظرية للمناورة، نتساءل ما إذا كانت هناك قواعد ، ومبادىء ، تتحكم بها ؟

وللاجابة على هذا السؤال يبدو من الضروري توضيح الطبيعة الفكرية لادارة الحرب. هل الحرب فن أم علم ؟

هذه المناقشة قديمة ، وذات معين لا ينضب . والحقيقة أن الحرب فن وعلم . وقد عبر نابليون عن ذلك قائلا : « ان الحرب كأخيل الذي كان ابنا لفنان وإلاهة » . فالعلم هو الجزء الفاني من الحرب ، أما الفن فهو جزؤها الآلهي . وبعبارة أخرى ، الحرب فن يعتمد على علم ، على أن نتذكر أن علم الحرب ليس علما صحيحا - بل علم الملاحظة والتجربة ، ضمن الحد الضيق الذي يسمح بذلك » [١] .

فليس هناك في علم الحرب أشياء يقينية ، بل هناك معدلات وسطية واحتمالات ، ولا يمكننا تقدير قيمة المبادىء والاساليب التي تنتج عن هذ العلم اذا نسينا هذا الواقع .

وبما أن الحرب فن وعلم ، فانها تدار بالقوانين والمبادىء .

---

١ - راجع كلاوزفيتز : « في الحرب » - الجزء الاول ص ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ حيث يناقش هذا الموضوع الذي ما زال مثاراً للجدل والنقاش حتى الان . ويرى كلاوزفيتز أن مجال الابداع والانتاج هو مجال الفن ، أما عندما نستهدف البحث والمعرفة فيسود العلم وهو يرى أيضاً أن الحرب شكل من أشكال العلاقات البشرية ، تخص الوجود الاجتماعي ،

ولنعرف جيدا ماذا نقصد بالقواعد « القوانين » والمبادىء والاساليب . كي لا نقع في فخ الكلمات وفي مكائد علماء البيان . ان احسن تعريف للقواعد والمبادىء والطرق هو تعريف الجنرال دولاشابيل :

« ان الحرب هي القواعد التي سمحت التجربة الطويلة من الحروب بوضعها لاستخدام الوسائل العسكرية استخداما حسنا . اما قوانين الحرب فتقع في مستوى أعلى ، لانها تدير الحرب ذاتها...والمبادىء تقول لنا كيف نقاتل ، أما القوانين فانها تقودنا الى تحديد الهدف بصورة فعلية، والى القدرة على القتال »

والخلاصة فان القوانين تحدد شروط وجود كل عمل حربي . في حين تنطبق المبادىء على كيفية خوض الحرب بصورة جيدة . وتنفيذ مناورة ناجحة . وتتسم المبادىء والقوانين بالخلود أو بنوع معين من الثبات . خلافا للطابع المتطور الذي تتسم به الطرق .

أما القوانين ، فاننا لن نتحدث عنها في هذا البحث لان مجالها يتجاوز خطته واطاره .

أما المبادىء فهي مبادىء عمل صالحة لكل نشاط بشري ، اذا ما أخذت مجردة من طابعها العسكري . لانها مبادىء حس سليم تجد تطبيقها العفوي في الحياة اليومية أو في ادارة المشروعات على مختلف أنواعها . ويفسر طابعها اليقيني المنبثق عن الحقيقة عددها الصغير ويتطلب نوعاً من التسلسل المتسم بدرجة عموميتها .

وينجم في بادىء الامر عن المبدأ الذي يعتبر الاول صوابا أو خطأ مبادىء ثانوية تكون مبادىء مشتقة منه ، ومن ثم نجد قواعد وطرقا تشكل النتائج العملية ، وهو ما سماه جوميني : **« المبادىء التطبيقية »** أو حكم التطبيق .

وهكذا ننتقل من الامور المجردة الى الامور الواقعية ، ومن العموميات الى الخصوصيات . ومن القوانين والمبادىء الى الاساليب والطرق .

بيد أن هذه الطرق متبدلة ومتطورة بطبيعتها ، ترتبط بصورة وثيقة بالشروط العامة للزمان والمكان . كما ترتبط بالوسائط المستخدمة أيضا ، وهو ما عبر عنه المارشال فوش بوضوح في الصيغة البينة التالية : « **تتطور الاشكال ، أما المبادىء الاساسية فانها باقية** » . وهي حقا مبادىء عمل ومبادىء فلسفية بالتالي ، وليست لها أية قيمة الا في علاقتها بالتنفيذ والتطبيق .

° ° °

وقد اعتاد بوجو على ترداد القول التالي : « في الحرب ، هناك مبادىء قليلة ولكن المبادىء موجودة » — فكم هو عدد هذه المبادىء ، وما هي ؟

ودون أن ندخل في التفاصيل ، لنذكر فورا أن هناك نوعا من الالتباس السائد فيما يتعلق بعددها وتسلسلها في كل البلدان . ويشير فوش الى وجود ١١ مبدأ ، ، أما العقيد لاغارد فلا يقبل الا مبدأين . ويقول المنظرون في الولايات المتحدة الامريكية أنه هناك تسعة مبادىء ، أما البريطانيون فيقولون انها عشرة مبادىء . ويعود هذا الالتباس الى عدم وجود حدود فاصلة بين المبادىء الاساسية والمبادىء المتفرعة عنها .

ولكن اذا ما تمسكنا بالافكار الاساسية التي تحكم استخدام القوات البرية ، وجدنا أن من الممكن تلخيص هذه المبادىء في مبدأين أوليين وقاعدة استخدام واحدة ، حتى أن هذه القاعدة ، وهذين المبدأين لا تختص بالفن العسكري وحده . فاذا أخذت الحرب في شمولها ، وفي طابعها العسكري وجدنا انها تدار كما يدار مشروع كبير ، باستثناء الفنون الخاصة المستخدمة فيها .

ويحسد الفرنسيون هذين المبدأين وهذه القاعدة بما يلي :

- تحديد الهدف (الارادة) .
- القدرة على تحقيق الهدف (القدرة) .
- الادارة (التدبير) .

° ° °

أ - تحديد الهدف (الارادة)

ينبغي أن نحدد **ما نريد أن** نفعل ، وأن **نتمسك بهذا** الهدف . وان نفرض ارادتنا على العدو باستخدام كل قواتنا ، وهو ما اصطلح عليه في بعض الجيوش **انتقاء وتوخي الهدف**.

يغطي هذا التعريف مبدأ وحدة الارادة : الذي يتطلب تحقيق الشروط التالية ، لكي يكون هناك ارادة :

الشرط الاول : ضرورة وجود هدف محدد . فبدون هدف محدد : لن يكون هناك عمل ، بل هناك رد فعل على كل استفزازات العدو . وقد تبدو هذه الحقيقة بالنسبة للبعض حقيقة طبيعية ، ولكن كم قرأنا عن القادة الذين لم يبق الهدف المرسوم لهم هدفا ثابتا ودائماً . ذلك لان من الواجب أن لا نخلط بين الارادة والرغبة . فقد نرغب بتحقيق عدة أهداف ، في حين لا نستطيع أن نحدد الا شيئاً واحداً في كل مرة . ويتبغي علينا كذلك أن نتطلع الى هذا الشيء حتى نحصل عليه . والا فان الارادة تنقلب الى رغبة عارضة . والرغبة والنية تتعارضان مع الارادة .

وقد يبدو للبعض أن هذا المبدأ حقيقة أولية . ولكن كم أهمل هذا المبدأ

في كثير من المرات . وكم تجاهله البعض . واذا أردنا أن نضرب مثلاً على ذلك نجد أن أسهل مثال ينطبق على ما نقول هو مثل القائد الذي اختار محور جهده . إلا أنه لم يخصص له القسم الاعظم من قواته بعد اختياره . أو مثل القائد الذي ينحرف أثناء التنفيذ عن الهدف الذي رسمه بصورة أولية ليتابع هدفاً آخر . أو يفكك جهاز توزيع قواته المتطابق مع الهدف المحدد لمجابهة ضربات الخصم بصورة سريعة .

ولكن الارادة في تحديد الهدف لا تعني العناد . فمن الواجب أن نختار هدفاً من الممكن تحقيقه . ومن واجب الذكاء أن يحدد الامكانات . وفرص النجاح . وان معرفة الاختيار بين مختلف الاحتمالات ومحاذير كل منها دليل على ارادة القائد . وليس لهذه الارادة أي معنى عندما تقود الوسائط الموضوعة تحت تصرفها . لا عندما يتطابق الاستخدام مع الامكانات . فليس هناك أي معنى لارادة القائد عندما يأمر مشاته بالانقضاض على أسلاك شائكة لم تدمرها المدفعية .

فما هي الخصائص المميزة التي ينبغي أن تنسجم مع الهدف ؟

١ – لا يمكن فهم هذا الهدف الا بوضعه ضمن اطار **مناورة** مستوى القيادة الاعلى المباشر .

٢ – **ويعرف هذا الهدف** بالنتيجة التي نريد تحقيقها ضد العدو وبرغم ارادته . لان الخصم هو الهدف الذي ينبغي قهره .

٣ – **ويتجسد الهدف :**

– **في المجال الجغرافي** ، بمنطقة من المناطق أو عدة نقاط أرضية ينبغي احتلالها ، والدفاع عنها ، أو منافسة الخصم فيها .

– **في الزمان** ، بمهلة زمنية ينبغي تحقيق النتيجة عند انتهائها .

الشرط الثاني : والشرط الثاني الذي يتطلبه هذا المبدأ هو **وحدة** المناورة ، وحدتها بقائدها ، وبهدفها النهائي ، وفي تصميمها وفي اعدادها ، وفي تنفيذها ، وكما قال غالييني : « ان عددا من الرؤوس لا يعطي مزيدا من الضوء ، بل مزيدا من المتناقضات » .

• • •

ب – القدرة على تحقيق الهدف

ان تحديد الهدف لا يكفي ، اذ ينبغي أن نكون قادرين ، بعد الحصول على **درجة** معينة من حرية العمل الضرورية لتنفيذ المناورة المرسومة ، على المحافظة على هذه الحرية برغم مشروعات العدو .

وتشكل هذه الدرجة من حرية العمل معيار التقدم على طريق الانتصار أو الهزيمة . ولكنها في الحقيقة نتاج تحقيق مبدأ الامن الذي يتطلب من القائد امكانية استخدام الوسائط الضرورية لتحقيق هدفه من عملية معينة ، برغم العدو .

ينجم عن هذا الهدف المزدوج ، كمبدأ الامن أثران :

– **أثر سلبي** : وهو عدم الخضوع لارادة الخصم بمحاولة التخلص من قبضتها .

– **ايجابي** : وهو فرض ارادتنا عليه .

ان العناصر المركبة لهذا الهدف هي : الاستعلام والترتيب مضافاً اليهما السرعة في التنفيذ . وهي عامل أساسي ينبغي عدم اهماله أبدا .

أما عن الاستعلام والمعلومات فقد أثبتت معظم أحداث التاريخ أن أكثرية القادة المهزومين كانوا يملكون المعلومات الضرورية في الوقت الملائم ، غير أنهم أهملوها ، ذلك لان المعلومات هي العمل الشخصي للقائد .

أما فيما يتعلق بالترتيب أو ما اطلق عليه فوش « الاسلوب » Systeme فهو تركيب مؤلف من خاصتين للقطعة : القدرة على المقاومة ، وقوة الصدمة موزعة في الزمن والمكان بشكل تستطيع فيه كل القوات أن تعمل في النهاية بآن واحد لتحقيق هدف واحد .

وتكمن الصعوبة في الاستخدام المزدوج للمعلومات وللترتيب بآن واحد .

• • •

جـ – الادارة (التدبير)

ان مبدأ وحدة العمل ومبدأ الامن متعارضان : اذ يتطلب احدهما نشر القوات وبعثرتها ، على حين يتطلب الآخر تركيز الجهود وحصرها وتوجيهها لتنفيذ العمل الرئيسي ، ويمكن الفن في التوفيق ما بين المطلبين ، ويتجاوب مع فكرة التوازن هذه ، وفكرة الاقتصاد التي تعني هنا الادارة كالتعبير المستخدم في الاقتصاد السياسي . ويتجاوب مبدأ « الاقتصاد بالقوى » مع وحدة العمل . ان هذا الفن هو فن الصرف بصورة دقيقة ، والاقتصاد بالقوات ، في كل عمل عسكري ثانوي ، والتركيز بحشد القوات في كل عمل رئيسي . وقد قال فردريك الثاني : « **ينبغي أن نعرف كيف نخسر ، وكيف نضحي بمقاطعة من المقاطعات** وأن نسير لانتظار العدو بكل قوانا » . وهذا يعني أن من الواجب

تخصيص ما هو ضروري وكاف لأمننا ، ولا شيء أكثر من ذلك ، دون أن ننسى أن فشل القوات الثانوية قد يضع القوة الرئيسية في موقف سيء . وتتضمن المهارة العمل بشكل يكون فيه عدد المهمات الثانوية (الواجبات الثانوية) قليلا قدر الامكان . وهنا تكمن الصعوبة . فهناك اختيار لا بد من القيام به ، ومغامرة محسوبة ومسؤولية ينبغي تحملها .

ان مبدأ الاقتصاد بالقوى ومبدأ الحشد مبدآن لا ينفصلان . كل منهما تابع للآخر . وكثيرا ما نقبل الضعف في اتجاه ثانوي لنحشد قواتنا على الاتجاه الرئيسي . لكي نعمل منه من الاقوى الى الاضعف . ووسائلنا متجمعة ومحتشدة .

فاذا قررنا الالتفاف على العدو أو خرق موضعه في اتجاه من الاتجاهات ، علينا أن نطبق كل الوسائل الجاهزة عليه لا على غيره .

ولا يشكل تعاون صنوف الاسلحة المختلفة في آخر المطاف سوى تطبيق لهذا المبدأ . وهناك أمثلة كثيرة من المعارك التاريخية التي قاد نسيان هذا المبدأ فيها الى الهزيمة ، والى تبديد الجهود .

• • •

ولا تقودنا معرفة المبادىء اذا لم نكن على معرفة تامة بكيفية تطبيقها الى شيء : ففي الحرب نجد أن للحدث السبق على الفكرة، وللعمل الاولوية على الاقوال . وللتنفيذ الافضلية على النظرية .

فقد كانت المناورة التعبوية (التكتيكية) وما زالت تتضمن التوفيق بين استخدام الوسائط مع الامكانات الاضافية بغرض ضرب الخصم وتحطيمه .

وقد عالجنا العوامل الثابتة في المناورة– وتشكل الوسائط والأساليب العوامل

المتبدلة التي تؤدي . عندما تتطور . الى تعديلات في الشكل ، والاتساع ومدى العمل .

وبرغم تعدد هذه الوسائط وعدم امكان حصرها ، فانها ترتبط بالنتائج التي تسمح بالحصول عليها . والتي تتضمن عدة مجموعات يمكن تصنيفها على الشكل التالي :

- تناسق وتوفيق في الجهود .
- تناسق وتوفيق في الموقف .
- تناسق وتوفيق في الاتجاه .
- تناسق وتوفيق في الايقاع (شدة الزخم) .
- تناسق وتوفيق في تأثير الوسائط .

أ - تناسق الجهود وتوفيقها :

ينتج تناسق الجهود وتوفيقها من ضرورة حشد كل الجهود بأمان . ومن الممكن أن يتم حشد هذه الجهود على الشكل التالي :

- سواء خلال عمل قوي واحد أو سريع (أي بجهد موحد) .
- أو بصورة أعم بتضافر جهد رئيسي وجهود ثانوية وهو تضافر مخصص لتحقيق أفضل الشروط للحصول على الهدف وتحقيقه .

وتترجم هذه المناورة في نهاية الامر بجهد رئيسي ، سواء أكان هذا الجهد متوقعا في بداية الامر ، أو اذا أدى تطور الوضع في حرب ذرية الى انشاء عدة مراكز ثقل ، فان مراكز الثقل هذه ليست شيئاً آخر الا تأرجحاً لمحور الجهد الرئيسي أثناء المناورة ؛ ومن الممكن أن يقابل :

- اما بديلا لفرضيتين تبادليتين (بديلتين) أو لمناورة جديدة مستندة الى

تبديل الفرضيات أو تصنيفها المختلف ، ولكنها تؤدي الى الهدف ذاته بتبديل محور الجهد الاوّلي .

ـ أو لفرضية مفاجئة لم يخطط لها .

أما الجهود المساعدة فانها تخصص :

ـ اما لتسهيل شن الجهد الرئيسي (العمل الاولي) .

ـ أو لتسهيل تطور هذا الجهد (بالدعم) .

ـ أو للافادة من نجاحات الجهد الرئيسي بارتباطه مع جهود أخرى (ارتباط) .

ويتجسد هذا الاختلاف الدقيق في الجهود عمليا بتحديد مناطق عمل للوحدات المشتركة ، ويخصص للجهد الرئيسي منطقة عمل أضيق مع أخذ الوسائل الموضوعة تحت تصرفه بعين الاعتبار .

وهنا لا بد من التوضيح بأن حدود منطقة العمل التي لها طابعٌ الزامي داخل منطقة القتال ، لان غرضها هو اجراء توزيع دقيق في موارد شبكة الطرق ، والمعسكرات ، والمنشآت « اللوجيستية » الادارية أكثر من فكرة « منطقة ارتباط » في منطقة القتال .

ويعلق السوفييت أهمية خاصة على اختيار « خط الاندفاع » الرئيسي . اذ ينبغي أن يسمح هذا الخط بتدمير قلب القوات المعادية . ويطبق هذا الجهد بصورة عامة على أقل النقاط توقعا للخرق ؛ وضد جناح محمي بصورة سيئة . وفي الحد الفاصل بين منطقتي عمل ... أما الجهد الثانوي فيستخدم عنصر المفاجأة ويستهدف تعطيل حركة وحدات العدو الاحتياطية في الهجوم .

٢ – تناسق المواقف وتوفيقها :

ان تناسق المواقف هو محصلة تناسق الجهود ، والوسيلة الاساسية لاقتصاد سليم بالقوات ، وهو بالتالي عامل أساسي لتحقيق حشد الجهود وتركيزها .

وان الموقفين الاساسيين اللذين يتخذهما القائد هما **الهجوم والدفاع** ، وطبقا للوسائل المحدودة التي يملكها القائد ، لا تسمح له هذه الوسائل عادة ، بالقيام بجهد على نفس المستوى من القوة على عرض وعمق منطقة عمله . ولن يكون لهذين الموقفين دوما الطابع الاساسي للهجوم أو الدفاع الصرفين ، لكنهما يختلفان ويتباينان في الزمان وفي المجال (المدى) .

وهكذا نرى أنه على جبهة هجومية، تبعا لما اذا كان الجهد المطبق رئيسياً أو جهدا ثانويا ، أو تغطية ، أو جهد ارتباط واتصال ، نرى أن في وسعنا تنسيق العمل بالقوة مع العمل بالمرونة . ومع الدفاع بكثافة طبيعية ، أو الدفاع على منطقة عمل واسعة ، والمراقبة لبعض أجزاء الارض أحيانا .

وفي الدفاع : بوسعنا التنسيق بين دفاع الايقاف المتعلق « بمراكز المقاومة الحيوية » ، وبين العمل التأخيري ، والعمل بالقوة أيضا . حتى ولو استهدف هذا العمل تحقيق هدف محدود . ويجد تباين واختلاف هذه التناسقات التعبير عنه هنا في اختيار منطقة جهد الدفاع وفي تحديد نقاط التعليق الخ ...[١] .

ويسمح هذا التناسق في المواقف بالاقتصاد في الوسائل في بعض أجزاء الجبهة ، وحشدها في أجزاء أخرى . مع الاحتفاظ بوحدات احتياطية . أليس في هذا المبدأ تطبيقا لقاعدة الاقتصاد بالقوات ذاتها .

٣ – تناسق الاتجاهات وتوفيقها :

تتجسد الجهود وتتناسق المواقف الناجمة عنها باتجاهات ومحاور . ولنوضح

---

١ – *Points D'acc Rochage*

في بادىء الامر هذين المفهومين .

أ ـ الاتجاه : انه خط مثالي يتحدد فقط بمبدئه ونهايته، وينبغي حشدالقوات على مقربة منه . ويترك تحديد الاتجاه للقائد الذي يتلقاه هامش المبادأة . فبوسعه الابتعاد عن الخط مؤقتا ليستغل نقاطا ضعيفة لدى العدو أو ليستغل منطقة ضعفه بكاملها، بيد أن عليه أن يعود اليه متى استطاع ذلك، والوصول على كل حال الى النقطة النهائية المحددة في هذا الخط .

ب ـ محور الجهد : يختلف محور الجهد عن الاتجاه في أن هناك نقاطا أرضية تقع ما بين بدايته ونهايته تهم مناورة النسق الاعلى . فتحديد محور جهد لاحد المرؤوسين يقلل من المبادأة التي يتمتع بها . وعلى العكس فان تحديد الاتجاه لوحده فقط دون تحديد محور الجهد يسمح لهذا المرؤوس بأن يختار بنفسه المحاور المتتابعة التي سيطبق عليها قواته .

ومن الجدير بالذكر أنه عندما لا يكون هناك تماس مع العدو ، يتحول الاتجاه الى مسالك فقط .

وبعد أن ميزنا بين الاتجاه والمحور ، لندرس التنسيق والتوفيق فيما بينهما .

ان اختيار الاتجاه عمل أساسي للقائد في الوحدات الكبرى . وهو عمل كبير ، لان هذا الاختيار يحدد تمفصل وسائل ذات حجم كبير لا يمكن اجراء تبديلات على اتجاهها بصورة مفاجئة بعد ، لان ذلك سيصطدم بصعوبات كبيرة .

ويعني تصميم مناورة في الاتجاه استخدام الآثار والنتائج التي يسببها ترتيبها الهندسي الصرف ، أو رسمها بالنسبة لترتيب العدو .

وتتيح هذه التوفيقات مجالا للقيام بمناورات مركزية ، وجناحية ، على مواصلات العدو ، ومناورات تطويق يتجاوز بحثها حدود هذه الدراسة .

ففي الهجوم على مستوى الفرقة مثلا ، يمكن قيادة المجموعات التكتيكية على الاتجاهات المتوازية والمتلاقية أو المتباعدة .

وفي التوازي يكون الجهد ذا قوة متوسطة ضد ترتيب متخندق بصورة متينة . لكنه لا يتمتع بالعمق . ويتمتع الجهد عندئذ بأقصى حدته عند النفوذ من قاعدة الانطلاق . وهكذا تفتح ثغرة كبيرة ، وأكبر عدد من المسالك للقيام باستثمار سريع ، غير أن للترتيب عندئذ عدة أجنحة تتعرض الى مزيد من المخاطر كلما تباعدت الاتجاهات عن بعضها .

ولا يسمح **تلاقي** الاتجاهات بالقيام بأقصى حشد ممكن للوسائل على منطقة محددة من المناورة تنتقى داخل ترتيب العدو .

ويسمح هذا التلاقي أيضاً بتوسيع قاعدة الانطلاق وتحقيق ثغرة عميقة . غير أن له بالمقابل محذورا أساسيا الا وهو تعريض الاجنحة لهجمات العدو المضادة . ويتمثل هذا التلاقي بمظاهر النيران والحركات .

اما **تباعد** الاتجاهات فهو مستخدم دوماً عند استثمار النصر بعد الخرق، اذ يتيح للوحدات ساحة كبيرة للامتداد والتوسع تحتاج اليها في استغلال قدرتها على الحركة ، وتسمح بالقيام بعمليات التفاف على الاجنحة والمؤخرات .

وبلعبة الاتجاهات المتلاقية والمتباعدة بالتناوب في مناورة بالعمق ، يستطيع القائد الى حد كبير تحقيق القوة والمرونة في الوقت الملائم .

٤ ـ تناسق الايقاعات وتوفيقها :

يعني تنظيم ايقاع المناورة تقسيمها في المجال وفي الزمان الى أجزاء متتابعة أو مراحل (وهو مفهوم متحول حسب النسق المعتبر) . وينبغي معالجة هذا المفهوم وبشكل خاص في كل الاشكال المتحركة للقتال (هجوم ، هجوم مضاد ، عمل تأخيري) .

وتتجاوب **المرحلة** مع الميزات التالية :

– فهي تتجاوب مع هدف خاص وسط .

– وتتجسد بما يلي :

في المكان [1] بجزء من مجال المناورة الذي يتفق عمقه لفرقة مشاة بصورة عامة مع مدى نيران الدعم بدءا من الانتشار الاولي للوسائط ، ويعني ذلك تبديلا في الترتيب أو اعادة النظر فيه عند انتهاء هذه المرحلة .

في الزمان بمهلة زمنية لبلوغ الهدف النهائي ، وهي مدة زمنية الزامية تتحكم بتعاون الوسائل المستخدمة .

ويجزىء المرؤوس المرحلة التي حددها له النسق الاعلى على أشواط . والشوط هو بصورة عامة جزء تنفيذي من المرحلة .

وتصبح أشواط مناورة النسق الاعلى بصورة عامة مراحل مناورة النسق الادنى .

وفي كل المراحل والاشواط هناك أهداف ينبغي احتلالها .

وبعد أن أوضحنا هذه التعاريف ، يصبح تنظيم الايقاع اذن هو تقدير أو عيار سرعة عمل الوسائل ومداها بصورة حكيمة وأريبة ، أي عيار قابليتها للمناورة .

بيد أن السرعة لا تعني التعجل الذي يخرب الافراد والعتاد ، بل ان السرعة تعني البساطة في التصميم ، وتنظيم التحضير والتصميم في القيادة .

وترتب تركيبات الايقاع هذه بشكل يحقق في الزمان التقاءالجهودالضروري ، كما يؤمن تلاقي الاتجاهات تضافر الجهد الضروري في المجال .

---

١ – *Espace* أو المجال .

وهكذا فاننا نتجنب على سبيل المثال انفكاك المشاة والمدفعية بايقاعات مختلفة بتنظيم تقدم المشاة من أهداف الى أخرى بعدد معين من أشواط الايقاف التي تسمح للمدفعية باللحاق بمناورة المشاة خلافا لكل اعتبار آخر .

وينبغي أن نذكر أن التقدم الذي حققته التقنية الحديثة ، وبخاصة في مجال الوحدات المحمولة يزيد ساحة عمل هذه الوسائل باعطاء الجمهرات المحولة جوا والسريعة جدا مديات عمل أكبر دون امكان الغاء الاشواط الميتة الضرورية لاعادة توافق ايقاع الوسائل المختلفة بعضها مع بعض .

٥ – تناسق آثار الوسائط :

وتشمل هذه الوسائطُ الوسائطَ التي يعينها القائد لمرؤوسيه والوسائل التي يضعها كاحتياط لاستخدامها عند الضرورة ، وعندما يقرر العمل لصالح المناورة بمجموعها .

ويعني التنسيق بين آثار هذه الوسائط معرفة طبيعة التأثيرات التي تستطيع كل وسيلة منها احداثها ، والتنسيق بينها كماً ونوعاً للحصول على النتيجة النهائية المتوخاة منها مع أفضل مردود . وقد قال العقيد **دانكور** « ليس هناك اضافة في الوسائط ، وانما هناك تركيب فيها ، وليس هناك من مزج بينها وانما هناك تركيب منها بالمعنى الكيميائي لهذه الكلمة . وينبغي علينا أن نفكر بالتأثير الذي ينبغي تحقيقه ضد العدو ، ومن ثم ننظم ونرتب تناسق الوسائط التي تُحقق هذا التأثير بصورة أفضل مع استخدام الحد الادنى منها .

ومن هنا تأتي الاهمية الاساسية لمفهوم المعايرة [١] والتقدير كماً ونوعاً .

ويحقق القائد هذه المعايرة على مستوى الفرقة بالشكل التالي :

---

١ – *Dosage*

– بتشكيل مجموعات مؤلفة من كل صنوف الاسلحة .

– باستخدام وحداته الاحتياطية .

– بمناورة النيران (مدفعية وطيران) .

أما الطريقتان الاخيرتان فيمكن فهمهما بسهولة دون تفسير اضافي .

فلنعالج النقطة الاولى :

ان معايرة الوحدات اللازمة لجمهرة من الجمهرات المؤلفة من كل صنوف الاسلحة يعني افراز مختلف صنوف الاسلحة اليها كماً ونوعا . والتي يمكن أن تؤمن أكبر فاعلية عند تنفيذ المهمة الموكولة اليها . وتحدد هذه الوسائل بأخذ طبيعة الاثر المطلوب ضد العدو بعين الاعتبار : وتشتمل وسائل النيران، والصدمة ، والحركة . والموارد « اللوجستيه » الادارية الملائمة ، وعلى درجات مختلفة .

° ° °

شروط المناورة :

ليست المناورة الا استخداما للقوة . انها ليست قوة . ولا تستطيع المناورة وحدها أن تعوض أو تنوب عن عدم كفاية الوسائل الضرورية ، الجوية والارضية .

ومن هنا فان **الشرط الاساسي** ، لكي يكون هناك مناورة ، أن يكون هناك ميزان للقوى ملائم بين الخصمين .

ومن سوء الحظ أنه لم يعد كافيا في عصرنا أن نقارن تعداد قوات الطرفين المتقابلين لنحصل على ميزان القوى بينهما . فهناك اليوم عوامل متعددة تلعب دورها (نموذج الوحدات : مدرعات . قوات ميكانيكية ، مشاة ، التفوق

الجوي . المفاجآت التقنية المادية ، المفاجآت التقنية في استخدام الوسائط المعروفة الخ ....) . فمشكلة تعداد الوحدات لا يمكن عزلها أبدا عن الاطار العام وعن الظروف التي تعمل الوحدات في ظلها .

الشرط الثاني : وضع جهاز القوة في حالة التوازن .

« لنفترض أن قوة فرد ما تمثل عددا معينا من الوحدات . ولنضرب المثل التالي : ان عدوي يهاجمني بقوة عشر وحدات وأنا أملك سبعا منها . فاذا وجه اليّ الضربة بكل قوته . ، فانه سيقلبني أو يدحرني : حتى ولو قاومته بكل قوتي . ولكن لو انني بدلا من مقاومته ، تراجعت أمامه فورا ، في اللحظة التي حاول دفعي فيها ، وكنت ما ازال محافظا على توازني ، فانه سينحني الى أمام وسيفقد توازنه . وفي وضعه الجديد سيكون عدم حذقه كبيرا جدا ويجعله ضعيفا بحيث لن تتجاوز قوته عندئذ قوة ٣ وحدات بدلا من ١٠ وحدات أولية . فعندما أحافظ على توازني سأجد نفسي اذن وللحظة من الزمن في موقف ملائم ، وبوسعي أن أضرب الخصم بكل قوتي وبمعدل ٧ ضد ٣ ».

ولا تحافظ القوات على توازنها الا عندما تركب في جهاز تستطيع فيه تنفيذ المناورة المطلوبة من قبل القائد في كل لحظة ، وأن يكون قائدها قادرا بصورة دائمة على مواجهة كل حركة غير متوقعة قد يقوم بها الخصم . وهذا التوازن توازن مزعزع ، وبخاصة عندما تقوم القوات بالحركة . وبدءاً من اللحظة التي تتقرب فيها من العدو ، يوجه هذا التوازن ضده لكي نستطيع تطوير كل قوتنا وطاقتنا في مواجهته .

ومن الممكن أن نقبل خطر عدم التوازن الذي يمكن أن ينتج عند الهجوم اذا كان من شأن اندفاعنا تفكيك توازن خصمنا ، من ناحية ، وانتزاع جزء من حرية عمله بالتالي . ومن ناحية أخرى ، يمكن أن نقبل هذا الخطر شريطة

أن نتخذ الحد الادنى من الضمانات لمواجهة احتمال مناورات العدو المضادة . فإذا لم يتحقق هذان الشرطان تعرضت قواتنا للتفكك ، أي أن الروابط التكتيكية تتعرض للخرق . وتصبح غير قادرة على التعاون في المناورة نفسها . لأنها وقعت تحت رحمة الخصم الذي يستطيع ضربها وهي مجزأة .

وهذا هو الهدف الذي يتجه اليه كل عمل هجومي .

الشرط الثالث :

تتطلب المناورة لكي تركب وتتطور . ولكي تحقق هدفها بأمان . الاشراف على مجال محدد من الارض يسمى « **مجال المناورة** » .

ومن الواجب أن يكون نطاق هذا المجال :

أ) مشتملا على نقاط أرضية تجسد المدى الضروري لتركيب المناورة وتحقيقها .

ب) وأن يسمح هذا النطاق بالاشراف على المناطق الارضية التي يستطيع العدو منها شل المناورة .

وهكذا فان مفهوم « مجال المناورة » مستوحى من الاهتمام المزدوج الذي يتضمن تحقيق أقصى قدر من الفاعلية والامن الضروريين . وينبغي أن تسمح كل مرحلة من المراحل الوسيطة للمناورة بغزو مجال المناورة الضروري لتنفيذ المرحلة التالية . كما ينبغي أن يجسم تحديد الهدف هذه الشروط الالزامية .

ولا بد من أن نضيف الى هذه الشروط كلمة عن عامل يرفع من شأن المناورة كلما تحقق وجوده . وهذا العامل هو **المفاجأة** [1] سواء أكانت تكتيكية أو تقنية .

---

(١) راجع ما كتبه كلاوزفيتز – في الحرب – عن المفاجأة – الجزء الاول – الكتاب الثالث ص ٢٥١ – المرجع المذكور سابقا .

ولقد كان المارشال فوش يميز في الماضي بين : المفاجأة المادية التي تعني خسارة الامن المادي ، أي الحيطة ، والمفاجأة التكتيكية التي تعني خسارة الامن التكتيكي ، أي انها تعني استحالة عمل القائد بصورة يتوفر فيها الامن . أما الاولى فتنتج عن ظهور وسيلة عمل جديدة ، في حين تعتمد الثانية على موهبة القائد الذي صمم المناورة .

ومن المعروف أن القائد على مستوى الفيلق لا يتخذ قرارا كل اثني عشرة ساعة ، لان القرار الذي يتخذه القائد على هذا المستوى يشغله لعدة أيام . وقد علمتنا الحرب العالمية الثانية أن اتخاذ القرارات على مثل هذه المستويات يبقى قائما لعدة أيام ، ولا يبدل خلال ٤٨ ساعة على الاقل الا اذا دارت العمليات على عكس ما كان يتوقع قائدها . ويتميز القرار في هذه الحالات بما يلي :

أ) تناسق الاتجاهات والتوفيق فيما بينها لتحقيق الحشد اللازم والضروري والحصول على الآثار المطلوبة باتخاذ اتجاهات متقاربة ومتلاقية ، وذلك بقصد تدمير العدو .

ب) تحديدا واضحا للهدف الواجب بلوغه وهو العدو . فالهدف ليس منطقة من الارض ، وا نما الهدف هو العدو الذي يتمركز فيها .

ج) بتناسق المواقف . فتارة تتخذ الوحدة الكبرى موقف الدفاع أو يقف جزء منها موقف التغطية لحشد القوة الرئيسية ضد الهدف الاساسي .

د) تقدير ومعايرة القوات اللازمة .

تحسب قوات التعزيز اللازمة لتغطية أي عمل من الاعمال بشكل لا تؤثر فيه على العمل الرئيسي لهذه القوات .

هـ) مجال المناورة :

وهنا تبرز كفاءة القائد عندما يحتل المناطق الهامة التي تؤمن انتشار قواته ، ويتجه الى المنطقة التي تسمح له بالاشراف على كل خطوط تراجع العدو طبقا للمهمة التي تلقاها .

وهناك أمثلة تاريخية عديدة على هذا حدثت في الحرب العالمية الثانية وأبرزت المهارة في المناورة لكل هذه التناسقات التي لا تستهدف سوى هدف واحد : القوة في النقطة الحاسمة .

• • •

ان التطور المستمر لوسائط القتال وشروط الحرب الحديثة يتيح للمناورة امكانات ، ويفرض عليها قيودا جديدة ، ويعقدها أيضا الى حد كبير .

ولنعالج أهم الميزات التي تتسم بها الحرب الحديثة :

١ – تكمن الميزة الاولى للمناورة الحديثة في ارتباط وسائل العمل وتداخلها. فليس هناك الآن تناسق بين الصنوف ، بل تناسق بين الجيوش . وتعتبر هذه الخطوة خطوة الى أمام في مجال حشد الجهود وتركيزها ، ذلك لان المعركة اليوم معركة جوية – برية . وينتج عن هذا أن الحصول على درجة كافية من الامن الجوي يتحكم بكل مناورة برية ، وان حجم وطبيعة الاسناد الجوي هي أيضا عناصر في تصميم العمل البري . وبالمقابل فان المنشآت الجوية [1] تفرض قيودا جديدة على القوات البرية .

٢ – الميزة الثانية : يتيح التقدم التقني ، الذ-

---

١ – *Infrastructure*

والعتاد ، للمناورة امكانات هائلة (دخول العامل الذري ، قدرة الوحدات الكبرى على الحركة ، وحدات برية متحركة ، وحدات محمولة جوا او منقولة جوا ، قدرة ومدى متزايد للاسلحة ، تحسن الاتصالات اللاسلكية الخ ...) وينتج عن ذلك ان الحروب تدور فوق صفحة البلاد كلها ، وان مناخ عدم الامن يسود المؤخرات . وترتدي هذه الاعمال أهمية خاصة اذا أخذنا بعين الاعتبار أنها ستكون جزءا من المناورة المعادية .

ولكن رغم كل هذا لم تفقد المبادىء الموجهة التي تستند اليها المناورة قيمتها. فلا يجوز تجاوز هذه المبادىء أو خرقها،لان خرقها يشكل تهديدا خطيراً للمناورة . وعلى القائد أكثر من أي وقت مضى :

– أن يحدد هدفه وأن لا يحيد عنه .

– أن يعرف كيف يوفق بين حشد الجهود ، وانتشار وسائط قتاله ، وتماسك ترتيبه القتالي .

– أن يسهر على أمن وحدته في الابعاد الثلاثة وفي كل الاتجاهات .

وأخيرا فان المناورة جزء لا ينفصل عن الارض ، وعن القائد الذي يصممها ويقودها ، ومعنويات الذين ينفذونها وسط أزيز الرصاص وانفجار القنابل ، بالرغم من مظاهرها النظرية .

الفصل الثامن

الوحدات المنقولة جواً
واستخداماتها في الحرب الميكانيكية
وفي الحروب المحدودة

عناصر الحرب :

عندما يتقاتل رجلان لاي سبب من الأسباب يحاول كل واحد منهما أن يحافظ على نفسه وأن يضرب ويتحرك . ويقوم كل منهما بهذه الاعمال . سواء أكان مسلحا أم أعزل ، راجلا أم راكبا على حصان أو داخل عربة قتال . ولو تقاتل عدة رجال اذن لكانت النتيجة واحدة . وهكذا نرى أن الحماية والسلاح والحركة هي العناصر المادية للحرب . وفي حكايات بلزاك نقرأ على لسان النقيب كوشيجرو ما يلي : « انه كان يحاول في المعارك الكبيرة أن يضرب دون أن يتلقى ضربات ، وهذه هي المشكلة الوحيدة الدائمة التي يجب حلها في زمن الحرب » لان حلها يؤدي الى حرية الحركة [1] .

وقد كتب الجنرال فوللر يقول : « ان عناصر الحرب الثلاثة متصلة لدرجة يتعذر معها فصل أحدها عن الآخر . ولهذا تتعلق الاسلحة والحماية بالحركة . وللحركة في الحرب عادة هدف هجومي ، ويجب أن تتم تحت الحماية بغية الاقتصاد بالقوى .

---

(١) الحرب الميكانيكية – فوللر – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر – ص ٧٨ ، ٧٩

وهناك ثلاثة أنواع من الحركة : على الاقدام ، وعلى ظهور الخيل ، وفوق وسائل النقل الآلية .. ووسائل النقل الآلية مقسمة الى ثلاثة أشكال : برية وبحرية و جوية . وللحركة ثلاثة أبعاد :

أ) حركة ببعد واحد : كالحركة على طريق أو سكة حديدية وهو ما يسمى بالعمق .

ب) حركة ببعدين : كالحركة على الارض أو فوق سطح الماء وهذا هو العمق والجبهة .

جـ) حركة بثلاثة أبعاد : كالغواصة في المحيط أو الطائرة في الجو [1] وهذا هو العمق العمودي .

وكان التقدم في حقل قدرة العناصر المادية للحرب بطيئا الى أن جاء القرن العشرون ، وانتشرت القوة المحركة على نطاق واسع ، فأعطت للمعركة العسكرية أبعادا جديدة ، وولدت الحرب الآلية فالحرب الجوية . وسمحت الطائرة للجندي بأن يرتفع داخل البعد الثالث وأن ينتقل وسطه هنا وهناك . وسمحت الدبابة بسرعة الحركة مع الحماية وقوة الضرب . ومنذ ظهور الطائرة تنبأ بعض كبار العسكريين « بأن يصبح هدف الهجوم مؤخرات جيوش العدو ، وأن تتكون جبهة القتال في أي مكان ، وأن يتجه الهجوم الى تدمير معنويات العدو ، وقيادته ، والمراكز العصبية الحساسة في جيشه، وأن يستهدف العمل الحاسم كبح جماح حركة الجزء الاكبر من قوات جيش العدو بدلاً من تدمير تشكيلاته ماديا . وما إن يتم تثبيت العدو وانعدام قدرته الحربية حتى تبدأ عملية الابادة نفسها » .

وهكذا نجد أن الحرب الآلية بكل مُركباتها اتجهت الى مفهوم الشلل الاستراتيجي (السوقي) باعتباره هدفا للمعركة الحاسمة . وتطورت

---

(١) المرجع المذكور ، ص ٧٩ .

الحرب فيما بعد ، واستخدمت السرعة كسلاح نفساني لا للقتل ، ولكن للتنقل . لا بهدف القتل ، بل بهدف تعريض الخصم لشلل الارادة وبغرض التضليل ونشر الفوضى والشك والغموض في مؤخرات الخصم بشكل تضخمه الاشاعة العامة حتى يصبح الارجاف عظيما وكبيرا [١] .

أساس فكرة الوحدات المنقولة جوا :

وقبل أن أنتقل الى الوحدات المنقولة جوا ودورها في المعارك لا بد من التعرض بعد هذه اللمحة السريعة الى تطور النظرية التكتيكية (التعبوية) للهجوم الآلي ، وأخذ فكرة عن أسلوبه في الحرب العالمية الاولى والثانية ، وفي عصرنا الحاضر .

يتألف تكتيك القتال الهجومي من ٤ عمليات مختلفة [٢] :

١) الهجوم الجبهوي (او خرق الجبهة) .

٢) الهجوم مع حركة تطويق من جانب واحد (تثبيت الجبهة والالتفاف بالجناح) .

٣) الهجوم مع تطويق مضاعف من جانبين (كماشة) (تثبيت الجبهة والتطويق) .

٤) الهجوم على المؤخرات (عملية الإحاطة) .

وهدف النوع الاول تحقيق الخرق ، وهدف النوعين الثاني والثالث تحقيق تطويق العدو . أما هدف النوع الرابع فهو ضربه من الظهر [٣] . وكان الهجوم

---

(١) ادارة الحرب – الجنرال فولر – منشورات دار اليقظة العربية للطباعة والنشر .

(٢) او ما يسمى في بعض الجيوش : انواع المناورة في مستوى العمليات .

(٣) الحرب الميكانيكية – فولر – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر – ص ١١٧ .

الجبهوي هو الشائع في الحرب العالمية الاولى نظرا لعدم وجود (أجنحة مجنبات) مكشوفة وتعذر تطويق الجبهة المتخندقة . وبسبب الافتقار الى وجود الدبابات في بداية هذه الحرب كانت عمليات الخرق ذاتها عميقة ومنهكة .

وكان الخرق يتم بالمشاة المسندة والمدفعية في بداية الحرب . وكانت المشكلة الرئيسية هي استمرار القصف المدفعي مدة طويلة ، بشكل تتحول فيه أرض المعركة بعد القصف الى أرض مليئة بالحفر التي تحدثها قنابل المدفعية . وعندما ظهرت الدبابة واستخدمت في عملية خرق الجبهة ، كان عليها أن تجتاز الاسلاك الشائكة والارض المملوءة بالحفر ، وكان عليها أن تقابل تبدل معالم الارض تبدلا تاما . وهكذا اختفت بعض الصعوبات وظهرت صعوبات أخرى . وبقيت المشكلة الأساسية هي الوصول الى مؤخرات الجبهة . وعندما ظهرت الطائرات وتطور استخدامها في الحرب العالمية الأولى وما بعدها ظهرت فكرة الاقتحام الرأسي (أو الصولة العمودية) ، التي ليست سوى عملية التفاف تم بواسطة البعد الثالث .

تطور وسائل الانزال :

غير أنهم وجدوا أن الطائرات تحتاج لنقل قوات في البعد الثالث الى مطارات خاصة لا يمكن توفرها في كل الظروف . فاتجهوا الى استخدام المظلات والطائرات الشراعية . وكان السبق في هذا المجال للاتحاد السوفييتي .

ففي عام ١٩٣٠ ، ظهر المظليون لاول مرة في مناورات الجيش الاحمر التي أجريت بالقرب من فرنزا وموسكو في الاتحاد السوفييتي . وانتشرت رياضة القفز بالمظلات في جميع أنحاء روسيا حتى أنها كانت تملك مليونين من السوفييت

مدربين على القفز عندما بدأت الحرب [1] .

وهكذا نشأت وحدات صغيرة من المظليين، كانت صغيرة في بادىء الامر مهمتها العمل على مؤخرات العدو . وازعاجه ومضايقته . ومهاجمة نقاطه الحساسة . وما إن حل عام ١٩٣٤ حتى كان لدى السوفييت فرقة كاملة . فقاموا بمناورة نقلها جوا من موسكو الى فلاديفوستوك . وفي عام ١٩٣٦ قام السوفييت أيضا بعملية اسقاط كتيبتين من المظليين . في مناورة حضرها الاجانب في كييف . وقد أسقطت الكتيبتان ومعهما ١٦ مدفع ميدان خفيف في ثمانية دقائق واحتلتا هدفا حدد لهما [2] .

وكانت مهمات المظليين في ذلك الوقت تأمين رأس جسر على نهر. واحتلال المضائق الجبلية ومنعها على الخصم . ومنع تحرك القوات الاحتياطية الى الجبهة .

واهتم الالمان بفكرة استخدام المظليين والوحدات المنقولة جوا فبدأ هتلر بانشاء وحدات من المظليين في عام ١٩٣٦ . وفي عام ١٩٣٨ كانت لديه فرقة مظلات خفيفة . وفي أوائل عام ١٩٣٩ كانت لدى القوات الفاشية الهتلرية الفرقة السابعة . وفي فبراير (شباط) ١٩٤١ كان لديها الفيلق ١١ مظليين ، وقوات منقولة جوا بالطائرات الشراعية مع القوة الجوية الخاصة بها . وطور الالمان مهمات هذه القوات لتتفق مع مفهومهم للحرب الخاطفة ، التي كانت تستهدف تحقيق الشلل الاستراتيجي (السوقي) للخصم ، وبث الرعب . وتحقيق أهداف الحرب النفسانية . وشلل القيادة . وتحقيق الحسم بصورة غير مباشرة .

---

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو – الفريق الاول الركن عبد المحسن كامل مرتجى لواءالركن المظلي د. محمود خيري بنونه–منشورات المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر – ص ٧ .

(٢) المرجع المذكور – ص ٧ .

وتمت أول عملية نفذها المظليون الالمان في يوم ١٢ من مارس (آذار) ١٩٣٨ اذ كلفوا بالاستيلاء على مطار «واجرام» أثناء غزو النمسا باحتلال نطاق حوله ، لتأمين نزول كتيبة مشاة محملة في طائرات النقل الجوي ، يتبعها انزال المعدات الثقيلة [١] .

وفي الاول من سبتمبر (ايلول) ١٩٣٩ انقضت الجيوش الالمانية الآلية على بولونيا بقيادة فون بوك ورونشتدت . وخلال ثمانية عشر يوما استسلمت بولونيا ، اذ هاجمت الطائرات الالمانية الطائرات المقاتلة البولونية ، وهي في مطاراتها ، وقصفت طرق المواصلات ، وشلت القيادة العليا البولونية . وفي هذا الهجوم استخدم المظليون للقيام بأعمال خلف المؤخرات وبأعمال الرتل الخامس . وفي عام ١٩٤٠ ، في ٩ ، ١٠ من أبريل (نيسان) احتل الالمان الدانمرك والنرويج . وحققوا في ٤٨ ساعة على حد تعبير الجنرال فوللر «ما يشبه الاعجاز والسحر [٢] » . وفي هذا الهجوم انزل الالمان سرية من المظليين على محطة السكة الحديد عند دومبوس في وسط النرويج بهدف منع تحرك القوات الانكليزية عبر هذه المنطقة . وقد قاومت هذه السرية خمسة أيام خسرت فيها مائة فرد . واشتركت قوات محمولة جوا في عمليات أخرى في نارفيك وأوسلو [٣] .

غير أن الحلفاء ، والفرنسيين بصورة خاصة ، لم يستفيدوا من هذه الدروس . اذ كان المفروض بعد هذه العمليات أن يعيدوا النظر في أوضاعهم العسكرية وأن يفهموا أهداف الهجوم الآلي الخاطف الذي يتناول أبعاد

---

(١) المرجع المذكور سابقا ، ص ٨ .
(٢) ادارة الحرب – المرجع المذكور سابقا .
(٣) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود العدو – المرجع المذكور سابقا – ص ٩ .

ثلاثة ، لأن أول واجبات القيادات السياسية والعسكرية هي دراسة المستقبل وتوقعه والتنبؤ بشكل المعارك القادمة ، على أن تكون الدراسة دراسة واقعية منطقية ، تتفق حدودها وأبعادها مع قدراتها وقدرات عدوها .

وكان الخطأ الذي ارتكبته القيادات العسكرية الفرنسية ، وهي تراقب عمليات الآلة الحربية النازية أنها لم تستطع أن تفهم – على حد تعبير فوللر في كتابه « **الحرب الميكانيكية** » – انه تم نقل وتموين آلاف من الرجال جوا خلال أول هجوم من الهجمات الجوية التي تمت في القارة الاوروبية . ولم تفهم أيضا أن أي خط دفاعي يمكن عزله تماما اذا ما نفذ ضده هجوم ذو أبعاد ثلاثة .

وأخيرا أخطأت هـــذه القيادة في **عدم ادراك أن احتلال القواعد البرية هو الهدف الأساسي لاي هجوم آلي :**

وهكذا في ١٠ من مايو (أيار) احتل الالمان بلجيكا وهولندا ، وكانت أهدافهم الاساسية الاولى هي القواعد الجوية البلجيكية والهولندية . وللاستيلاء على مطار روتردام في هولندا قامت في الساعة الخامسة من صباح يوم الهجوم اعداد من الطائرات الشراعية تنقل القطعات المحمولة جوا وحطت في منطقة نهر الماس في مركز المدينة . وبسرعة خاطفة احتل الالمان جسور الطرق وجسور السكك الحديدية دون مقاومة . وفي الوقت ذاته « كانت القطعات المنقولة جوا تحط في « مطار والهافن [1] » . وقد قال أحد مؤرخي هذه الحرب : « كانوا يهبطون في ذلك الوقت بمعدل ٥٠٠ رجل في الساعة موزعين في الحقول خارج المدينة » .

ويذكر مؤرخو هذه الحرب كيف احتل الالمان جسر مايستريشت بين بلجيكا وهولندا عن يوميات أحد ضباط الاركان ، فقد كان احتلاله من

---

(١) الحرب الميكانيكية – المرجع المذكور سابقا .

قصص السحر التي تذهل بجرأتها : «لقد تقدم رجل يلبس بزة مدنية نحو حارس الجسر على الضفة الشرقية ، وطلب اليه باسم الصداقة أن يودع صديقا موجودا على الضفة الغربية للجسر . فسمح له ، فاجتاز الجسر . وعاد متنزها عليه مع صديقه نحو الحارس . وكان مظهر هذا الشخص الثاني كمظهر رجل من رجال العصابات . فقتل الحارس وفر نحو الضفة المقابلة ، وقام بقطع الخطوط الكهربائية للمتفجرات المحضرة لنسف الجسر . وفي هذا الوقت ، استولى الرجل الاول على بندقية الحارس ووقف يواجه أي تدخل . ولقد نظم عملهما وأحكم بدقة . وخلال دقائق كان المظليون الالمان يهبطون على قمة التحصينات الهولندية والمواقع المحصنة البلجيكية في غرب الجسر الواقع في الارض الهولندية . وانتشر الالمان وهم يركضون حول المنعات المحصنة يقذفون القنابل اليدوية في مزاغل القلاع ، وألقوا بقنابل في متاريس الرشاشات وفي المعامل الاسمنتية ، محولين هذه النقاط الى جحيم قبل أن ينتبه أي انسان الى أن هجوما سيحدث . بهذا الشكل تمكن الالمان وبخسائر طفيفة من اقامة رقبة جسر على جسر مايستريشت .

وبمثل هذا الهجوم- ويجسد الهجوم الآلي ذا الابعاد الثلاثة- يبرز ضعف الدفاع مهما كان حصينا وقوياً ، اذا لم يكن الدفاع السطحي عن البلاد كلها مؤمنا ومصانا ، سواء بوحدات عسكرية سريعة التدخل ، أو بوحدات شعبية محلية دفاعية وهجومية .

الحلفاء يستخدمون الوحدات المنقولة جوا :

في أوائل سبتمبر (ايلول) ١٩٤١ تم تشكيل أول لواء مظلي بريطاني ، ثم أنشئت الفرقة الاولى المحمولة جوا ، والفرقة السادسة . وتتكون كل فرقة من لوائين من المظليين وقطعات أخرى منقولة بالطائرات [١] .

---

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو ، المرجع المذكور سابقا ، ص ٩ .

وهكذا نرى خصوم الالمان في الحرب العالمية الثانية يستخدمون البعد الثالث في الهجوم الميكانيكي الصاعق . غير أن السوفييت ، الذين كانوا يملكون عددا كبيرا من الوحدات المنقولة جوا احجموا عن استخدامها واستخدام وحدات المظلات لسببين أساسيين :

١ – كانوا في البدء في مرحلة الدفاع ، وكانوا يستخدمون الانصار السوفييت في الهجوم على مؤخرات الالمان ، وضرب عقد المواصلات ، والمراكز الحيوية . وكان استخدام الانصار السوفييت الذي كلف الالمان تجميد ما يعادل خمس عشرة فرقة المانية وسيلة اقتصادية أكثر من وسيلة استخدام مثل هذه الوحدات الكثيرة التكاليف .

٢ – في مرحلة الهجوم المضاد (المقابل) كانوا دوما في أعقاب خصمهم يلاحقونه من مكان إلى آخر ، وهم في تماس دائم معه . لذا لم تكن هناك أية حاجة ملحة للتضحية بقوات المظلات ، أو قذف وحدات منقولة جوا خلف خطوط الالمان ، لانهم كانوا يتراجعون أمام القوة السوفييتية الجبارة .

ونجد أن أول غارة محمولة جوا قامت بها قوات المظليين التابعة للحلفاء هي غارة تراجينو في جنوب إيطاليا في فبراير (شباط) ١٩٤١ ، وتلاها عملية برينفال حيث قامت سرية محمولة جوا ليلة ٢٧ – ٢٨ فبراير (شباط) بالاغارة على محطة رادار في بلدة برينفال بشمال فرنسا ، وكان هدفها الاستيلاء على أجزاء من أجهزتها . ثم اشترك فيما بعد اللواء الأول المظلي البريطاني في عمليات شمال أفريقيا . وتعاقبت فيما بعد عمليات المظليين في الحرب العالمية الثانية [١] .

---

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو – ص ١٠ – المرجع المذكور سابقا .

وتعتبر العمليات المحمولة جوا التي رافقت عملية اقتحام شاطىء النورماندي في شمال فرنسا ، والانزال على سواحله من أهم العمليات التي تمت في الحرب العالمية الثانية .

وطبقا لخطة الانزال ، اشتركت ثلاث فرق منقولة جوا هي ٦ بريطانية ، ٨٢ ، ١٠١ الامريكية . وكانت مهمتها : ١ - مهاجمة الدفاعات الالمانية الساحلية من المؤخرة . ٢ - منع القوات الالمانية الاحتياطية من القيام بهجمات [١] .

وتم التمهيد لهذه العملية الكبرى بقصف خطوط المواصلات ، والسكك الحديدية ، والقاطرات والجسور بعد أن ثبت اخفاق عملية القصف الاستراتيجي التي استهدفت المصانع وبعد أن اجتمعت لجنة من الخبراء الاقتصاديين في كازابلانكا لدراسة الاهداف الحيوية ، فوجدت أن ضرب مصادر الطاقة الكهربائية ، والصناعات الكيميائية ، وخطوط المواصلات أجدى وأنفع [٢] . وهكذا دمرت كل بطاريات الدفاع الساحلي في منطقة الغزو ، ودمرت المطارات ومحطات الرادار .

وفي يوم ٦ من يونيو (حزيران) عام ١٩٤٤ وفي الساعة الثانية صباحا قبل أن يبدأ القصف الجوي بساعة و ١٤ دقيقة ، تحركت ٢٣٥٩ طائرة و٨٦٧ طائرة شراعية تنقل ثلاث فرق منقولة جوا ، أسقطت في برينفيل ، وسانت - مير - أكليز ، وسان مارتان دوفارفيل .

وقد نجحت هذه الفرق في أداء مهامها بالرغم من الخسائر الهائلة التي تعرضت لها ، وبالرغم من تشتتها أثناء الهبوط نظرا لضعف تدريب الطيارين ، ولان الالمان أقاموا موانع كثيرة مضادة للمظليين . وكان شتودنت ، الجنرال الالماني

---

(١) المرجع المذكور في الملحوظة (٢) ص ١٢٤ .

(٢) ادارة الحرب - فولر - المرجع المذكور سابقا .

المشهور قد حاول اقناع هتلر باستخدام الوحدات الالمانية المحمولة جوا ضد عمليات الحلفاء المحمولة جوا . ولكن هتلر لم يوافق في البدء . غير أنه عندما صدم بنجاح الانزال على الساحل ، وبنجاح وحدات الحلفاء المنقولة جوا ، وافق على رأي شتودنت ، غير أنه كان يفتقر الى الوسائل [١] .

أهمية اختيار أماكن الانزال :

ولا يتسع المجال هنا لشرح سير هذه العمليات ، كما أن هذا الغرض ليس هدفنا ، انما الغرض هو الدروس المستفادة منها على صعيد اختيار مناطق الانزال ، وعلى صعيد الدفاع ضدها . فالحقيقة الاساسية التي ينبغي أن لا تغيب عن ناظرنا هي أن هدف الاعمال المحمولة والمنقولة جوا بصورة عامة هو الحصول على نتائج يستحيل الحصول عليها بوسائل أخرى ، أو أن استخدام الوسائل الاخرى سيكبد خسائر لا يمكن تحملها . كما أن نجاح العمليات المحمولة جوا ، لا يمكن أن ينتج الا عن المفاجأة (المباغتة) في انزال الوحدات على الارض أو هبوطها ومن أثر صدمة تدخلها الاول ، إذا لم تعتمد على التفوق في الوسائل .

ولاهمية الهدف أثر كبير على أهمية الوسائل أو قلتها ، لان نسب الخسائر المقبولة في مثل هذه العمليات نسب عالية نسبيا . ولهذه الخسائر منبعان متميزان: فمن جهة ، هناك الحوادث التي تتعرض لها الطائرات أثناء الهبوط والوصول الى الارض . وهذه الحوادث تسبب ما يسمى « بالخسائر التقنية » . ومن جهة أخرى ، هناك الخسائر من جراء القتال لتنفيذ المهمة الاولية . ويرتبط هذان النوعان من الخسائر بصورة وثيقة ويتداخلان لان التفتيش عن المفاجأة(المباغتة) الذي يتطلب هبوطا جريئا على الارض يزيد احتمالات الخسائر ، ولكنه يقلل

---

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو – ص ١٤٥ – نقلا عن
« *Major Général James Gavin (Airborne Warfare)* »

الى حد كبير من نسب الخسائر في القتال ، اذا ساهم في احداث الصدمة للخصم . ومن الواجب أيضا أن لا تكون الخسائر الاولية كبيرة جدا لان الاعداد الجاهزة للقتال ، عند الهبوط الى الارض ، عامل هام في الصدمة وأثرها [١] .

ويدرس كل قائد يكلف بالهبوط في أرض أعدائه الارض التي سيهبط فيها ويحسب كل المخاطر . وتتعلق نسبة الخسائر التقنية الى حد كبير ، بطبيعة أرض الهبوط . وقد أثبتت الحرب العالمية الثانية أن كل التقديرات كانت بصورة عامة أعلى مما كانت عليه في الحقيقة ، وأن الاراضي الصالحة للهبوط أكثر بكثير مما كانوا يتوقعون حتى أن التحضير الخاص أو التجهيز الملائم أثبت إمكان استخدام مناطق كانت تبدو غير ملائمة بصورة أولية : كالمناطق المغمورة بالمياه ، والمناطق المشجرة ، وأعالي الجبال مثلا [٢] .

ومن أهم الأمثلة على أهمية اختيار مناطق الانزال ، وضرورة القفز على مقربة من الهدف عملية « ماركيت جاردن » . فقد تمت هذه العملية بعد احتلال قوات الحلفاء لباريس وبروكسل وتقدمها عبر أوروبا . وتعتبر هذه العملية من أهم العمليات في الحرب العالمية الثانية وتعطي مثلا على أهمية انتقاء الارض والمهمة وارتباط مرحلة الهبوط بمرحلة القتال ، لانها استهدفت فتح ثغرة في الخطوط الالمانية التي كان الالمان يستعدون للمقاومة فيها في هولندا أثناء شتاء ١٩٤٤ — ١٩٤٥ . وكان من الضروري أن تقوم ثلاث فرق منقولة جوا بفتح الطريق ، وذلك باسقاطها على مقربة من ثلاثة أقنية مائية متتابعة كانت تشكل الحاجز الرئيسي أمام وحدات الحلفاء المدرعة ، المكلفة بالخرق باتجاه الشمال الشرقي . واذا جردنا العوامل التي تدخلت أثناء سير العملية ، واقتصرنا بحثنا

---

(١) مجلة الدفاع الوطني الفرنسي — ابريل — ١٩٧٠ / ص ٥٩٨ .
(٢) مجلة الدفاع الوطني الفرنسية — ابريل — ١٩٧٠ — ص ٥٩٨ .

على دراسة المهمة الاولية ، التي تشتمل ، لكل من هذه الفرق على الاستيلاء على عدد من نقاط العبور ، وجدنا أن في وسعنا أن نستنتج الملاحظات التالية :

١ ـ استولت الفرقة ١٠١ الامريكية (المنقولة جوا) والتي هبطت على مقربة من هدفها على جسور (كباري) ايندهوفن . ونظرا لان الارض كانت غير ملائمة . وكانت المدفعية المضادة للطائرات قوية جدا لا تسمح باسقاط الفرقة ٨٢ الامريكية المنقولة جوا على مقربة من هدفها ، فان هذه الفرقة تعرضت لكثير من المشاق ، وتعرضت لخسائر كبيرة الى أن استولت على المرتفع المتحكم بنيميغ ، ثم استولت على المدينة ذاتها قبل احتلال الجسر (الكباري) .

٢ ـ لم تنجح الفرقة البريطانية الاولى المنقولة جوا ، والتي اسقطت على بعد ٤ كم من هدفها من دفع أكثر من فوج واحد الى جسر أرنهايم . أما بقية الفرقة ، فقد صدمتها المدرعات الالمانية والحقت بها خسائر فادحة [١] .

فما هي الدروس المستفادة من هذه العمليات :

لقد أخفقت هذه العملية لعدة أسباب ، أولها وأهمها ، هو أن مثل هذه القوات لا يمكن أن تبقى لمدة طويلة دون دعم من الخارج واتصال بوحدات خارجية أخرى . فقد قرر لكل القوات المنقولة في تلك العملية أن تبقى يومين بليلتين كأطول فترة يمكنها خلال القتال معتمدة على امكانياتها . ودون معونة من المدفعية والمدرعات وباقي الاسلحة الأخرى[٢] .

وقد لخص الجنرال مونتغومري أسباب هزيمتها بما يأتي :

أ) لم تنظر القيادة العليا لقوات الحلفاء الى هذه العملية على أنها رأس حربة

---

(١) مجلة الدفاع الوطني الفرنسية ـ المرجع المذكور سابقا ـ ص ٦٠١ .
(٢) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

لتقدم كبير على الجناح الشمالي بغرض عزل واحتلال الرور .

ب) كان انزال المظليين والطائرات الشراعية بعيدا عن الهدف الحيوي ذاته . وهنا تبرز أهمية اسقاط المظليين على مقربة من الهدف .

جـ) سوء الأحوال الجوية .

د) وجود الفيلق البانزر الثاني الالماني في المنطقة ، وسوء تقدير الحلفاء لفاعليته وقدرته على الدفاع ضد الجنود المنقولين جوا . وانتهت هذه العملية باخفاق الحلفاء في ارنهايم ، ولم يتمكنوا من تأمين محور التقدم من ايندهوفن الى أرنهايم . ولكن الفرقتين الامريكيتين حققتا المهام المخصصة لهما[1] .

وكان أهم درس من دروس هذه العملية هو ضرورة انتقاء الارض تبعا للمهمة المرسومة ، لان ذلك يتطلب من القائد تكوين فكرة عامة عن العملية المنقولة جوا في المدى والزمن ، وفي كل فرضية من الفرضيات الموضوعة . ويأخذ القائد بعين الاعتبار آثار وانعكاسات الاسقاط على سير العملية مستقبلا ، وينبغي عليه أن يتخذ موقفا محددا من نسبة الحد الاقصى للخسائر التقنية المقبولة ، لكي تنفذ المهمة على أكمل وجه . فالهبوط والقتال يشكلان مرحلتين مرتبطتين بالاقتحام الجوي .

وفي مجال الدفاع الارضي ، أظهرت هذه العملية ضرورة القيام بعزل جوي لمنطقة الانزال ، وضرورة تفادي المدفعية المضادة للطائرات أو اسكاتها قبل الهبوط .

وتفضل بعض الجيوش القيام بمثل هذه العمليات ليلا للافادة من عامل المفاجأة (المباغتة) على أن يتم في الوقت ذاته انزال أجسام هيكلية في مناطق

---

(١) مجلة الدفاع الوطني ، المرجع المذكور سابقا ص ٦٠١ .

متفرقة لخداع العدو واستدراجه بعيدا عن المناطق الاصلية للهبوط [1] .

واتضح من هذه العمليات أهمية عامل الزمن . على أن الفرقة ١٠١ الامريكية حققت معظم مهامها ، وكان من الممكن أن تهبط وحداتها في المرحلة الاولى قريبا من بعض الجسور (الكباري) لاحتلالها بغية الافادة من عامل الزمن . وتمكنت الفرقة ٨٢ من النزول نهارا في منطقة المدفعية المضادة للطائرات ، وأعطت المثل على كيفية احتلال هذه المواقع بالنزول فوقها أو على مقربة منها . وفي عمليات احتلال الجسور ، تأكدت ضرورة مهاجمة الجسر من اتجاهين في وقت واحد لاحتلاله سليما قبل أن يتمكن العدو من تدميره [2] .

٤ ـ أما فيما يتعلق بالدفاع ضد القوات المحمولة جوا فقد كان أهم الدروس وهو عدم مباغتة القيادة بمثل هذا النوع من العمليات وضرورة تقدير الموقف بصورة جيدة ، وعدم اعتبار عدم صلاح الارض عاملا من عوامل استبعاد الانزال ، وتطوير التدابير الدفاعية ، واقامة نطاق دفاعي معزز يحيط بمنطقة الاقتحام الجوي (الصولة الجوية) ، واختراقها بأسرع ما يمكن وتفتيتها الى جيوب صغيرة .

وهنا نتساءل هل استفاد الحلفاء من هذه الدروس :

ونجد الجواب على ذلك في عمليات الاقتحام الجوي (الصولة الجوية) في عبور الرين التي اشتركت فيها قوات الفيلق ١٨ المحمول جوا المؤلف من الفرقة ١٧ الامريكية ــ والفرقة ٦ البريطانية . وقـد هبطت قوات الفرقتين فوق أهدافها مباشرة وأفادت من درس سابق كان الالمان قد اعطوه في بدء الحرب

---

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو ــ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) المرجع السابق (٢) .

العالمية الثانية عندما نزلوا فوق قلعة ايبن عمانويل ودمروها وأسكتوا كل أسلحتها . ومن أهم دروس هذه العملية عدم انزال المظليين والطائرات الشراعية من ارتفاعات عالية حتى لا يتعرض المظليون مدة طويلة لنيران الدفاع ، وحتى لا يقل أثر المفاجأة (المباغتة) ويصبح في وسع المدافعين التحرك الى أماكن النزول ومهاجمة القوات في فترة الوصول الى الارض ، والتخلص من المظلات والتجمع واعادة التنظيم .

ولنختم هذا العرض التاريخي مع الدروس المستفادة ببعض العمليات التي حدثت في جنوب شرقي آسيا .

في عام ١٩٤٥ تلقت الفرقة ١١ الامريكية المحمولة جوا واجب تحرير (مهمة تحرير) معسكر الاسرى الامريكيين في جزيرة لوزون . وكانت المشكلة بالنسبة للفرقة هي انتقاء أرض صالحة للانزال ، أو الهبوط على مقربة من الهدف بالرغم من مخاطر هذه العملية . وأخيرا أسقطت سرية من اللواء ٥١١ على مقربة من المعسكر ، واحتلته بعد (١٥) دقيقة من الانزال ، وأخلت كل الاسرى وحررتهم بواسطة عنصر برمائي ، كانت العملية قد أعدته لهذ الغرض [١] .

وهكذا نرى أن مناطق هبوط المظليين ، التي تعتبر أحسن المناطق من الناحية الفنية هي المناطق التي يسهل على المدافع التعرف عليها . ويسمح له هذا التعرف بتحديد محور جهد دفاعه ، سواء كان سلبيا أم ايجابيا ضد أي احتمال للانزال عليها .

ولهذا فان الخصم لا يلجأ الى استخدام أفضل المناطق الصالحة للانزال من

---

(١) مجلة الدفاع الوطني الفرنسية ، المرجع المذكور سابقا ، ص ٦٠٢ .

وجهة النظر التقنية اذا كان يعرف حق المعرفة أن خصمه سيتعرف عليها وسيتخذ كل التدابير الدفاعية لمنعها ، خوفا من خسارته عامل المفاجأة (المباغتة) . ومثالنا على ذلك أنه في ماوس (آذار) ١٩٤٤ حاول العقيد وينغيت القيام بمشروع اقتحام جوي (صولة جوية) يستهدف اسقاط قوات كبيرة في وادي « ايراوادي » ، على بعد ٥٠٠ كم أمام الخطوط البريطانية ، وراء سلسلة شندفين الجبلية في بورما . وانتقى ثغرتين في الغابات اطلق عليهما اسم « برودواي » و« بيكاديللي » وقرر انزال ٥٤ طائرة شراعية فوقهما ، تنقل ٥٠٠ جندي في الموجة الاولى . وفي ليلة العملية اكتشف الاستطلاع الجوي أن أرض « بيكاديللي » سدت بجذوع الاشجار ، وأحدثت فيها حفر فجرت بالديناميت . فاضطر الى الاقتصار على الهبوط في منطقة واحدة ، وتعرضت قواته لخسائر تقنية عالية .

كما أن الالمان أنفسهم قد اتخذوا تدابير أمن هائلة للاحتراز ضد العمليات المنقولة جوا في عام ١٩٤٤ . لقد زرعت كثير من الاراضي بأوتاد مضادة للمظليين كانوا يسمونها « هليونات روميل » . ولاحظ المظليون التابعون للحلفاء اتخاذ الالمان لكثير من تدابير الامن في المناطق الملائمة للانزال ، وبصورة خاصة في النورماندي . فقد كانت بعض المناطق التي نزلوا فيها معرضة لنيران الاسلحة الرشاشة والهاونات . وأفادوا فيما بعد من هذه الدروس ، لان مباغتة الخصم على أرض الهبوط ليست كافية ، اذ لا بد من مباغتته في نقطة لا يتوقعها ، وفي شروط لا يملك فيها الوقت الكافي للرد بصورة فعالة . اذن ينبغي أن يقفز المظليون فوق هدفهم مباشرة اذا أمكن .

وقد فهم اليابانيون هذه الدروس فهما جيدا ، ونفذوا غارة محمولة جوا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ في جزيرة لايت . وكان قرار القيام بهذه

الغارة يستهدف توجيه ضربة الى قاعدة سان بابلو التي تعتمد عليها كل القطعات الامريكية ، المشتبكة في جبال هذه الجزيرة . وحصلوا على أقصى فاعلية بانزال قطعاتهم المحمولة جوا فوق المطار مباشرة ، وفوق منشآته بعد أن استنفدوا كل ذخيرة المدفعية المعادية المضادة للطائرات بخدعة قامت بها بعض القاذفات . اذ حلقت هذه القاذفات عدة مرات خارج مرمى المدفعية المضادة . وقبل أن يتمكن دفاع المطار من القيام بواجبه قفز ٣٠٠ مظلي ياباني وأحرقوا (٣٥) طائرة كما نسفوا المستودعات ، ودمروا منشآت المعسكر . ولم يتمكن الامريكيون من استعادة زمام الدفاع عن القاعدة الا بعد وصول نجدات أمريكية من الخارج .

وأخيرا نختم هذا العرض التاريخي بعملية كورجيدور في الشرق الاقصى التي تمت في ١٦ من يناير (كانون الثاني) ١٩٤٥ . وجزيرة كورجيدور جزيرة صخرية تقع في جنوب شرقي آسيا وتسيطر على خليج مانيلا . وهو فرفأ ضيق تتحكم فيه هذه الجزيرة . وهي كتلة صخرية ضيقة ترتفع الى ما يزيد عن ٥٠٠ قدم في الداخل . ويصل اتساعها الى ٢٥٠٠ ياردة وطولها ٥٠٠٠ ياردة . هذه الجزيرة هي قلعة مـــانيلا المنيعة التي تعتبر موقعا مثاليا للدفاع . وقد قرر الامريكيون احتلال مرفأ مانيلا . فأوكلوا مهمة القفز على الجزيرة الى المجموعة (الجمهرة) ٥٠٣ مظليين بحارة ، واحتلال هذا الموقع الحيوي الممسوك دفاعيا بصورة جيدة . وكانت كورجيدور تشكل محورا للمناورة الدفاعية اليابانية في مواجهة الفيلق ١١ الامريكي الذي كان يعاني صعوبات أمـــام مانيلا . وكان نجاح الانقضاض والاستيلاء على الجزيرة يسمح بوصول النجدات والعتاد والتموين وانزالها في المرفأ . وبدون عون القوات البرية الامريكية ، المشتبكة بعيدا عن قاعدتها لوزون ، تصبح عاجزة عن القضاء على دفـــاع

اليابانيين بدءا من شبه جزيرة باتان في الشمال . الى مرفأ كافيت . في جنوب الجزيرة [1] .

وكان الامريكيون يعرفون صعوبة المهمة لان الهدف الذي اختاروه هو من أصعب الاهداف ومن أكثرها تحصينا . ولكنهم كانوا يعلمون تمام العلم في الوقت نفسه أن الخسائر التي سيتعرض لها ٣٠٠٠ مظلي أوكلت اليهم مهمة القيام بهذه العملية أقل بكثير من الخسائر التي سيتعرضون لها لو قاموا بانزال بالقوة ، تحت تهديد رمي المدفعية اليابانية المتمركزة في كورجيدور .

وبعد دراسة طوبوغرافية للجزيرة وجدوا أن هناك أرضا وحيدة تملك كل خصائص أرض الانزال المقبولة ، وهي مهبط الطائرات الواقع الى الشرق من الجزيرة . بيد أنه من غير الممكن القيام بالانزال فوق هذه الارض لانها مراقبة بصورة مستمرة . وتحرسها أبراج أسمنتية ، يصعب على الطيران ابطالها وشلها . كما أن اسقاطاً ناجحاً يتم على جزء من هذه الجزيرة سيصطدم بتلول مالنتا حيث يتحصن ٣٠٠٠ مقاتل ياباني . وكان من الضروري التفتيش عن حل من الحلول يحقق المفاجأة (المباغتة) في الزمان والمكان .

وفي الزمان : مع أن القوة الهائلة للطيران الامريكي قادرة على اسكات المدفعية المضادة للطائرات واجبار المدافعين على الاختفاء ، الا أن اليابانيين قد بنوا ملاجىء تقاوم أي قصف ، وكانوا قادرين على العودة الى مخافرهم بعد القصف الجوي . وكان على المظليين اذن أن يصلوا الى الارض أقرب ما يمكن من الهدف كي لا يضيعوا الوقت الثمين . وينبغي أن يتم انزالهم اما في مرتفع

---

(١) مجلة الدفاع الوطني الفرنسية ، المرجع المذكور سابقا ، ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

« مالنتو » أو المرتفع الواقع الى الغرب والمتحكم في الجزيرة والذي كـان يسمى (توب سايد) .

وكان الجزء الغربي من الجزيرة صخريا ، وذا انحدارات قوية ، تقطعه وديان صخرية تنتهي بجروف صخرية على البحر . والمنطقة المسطحة الوحيدة في الغرب هي ساحة العرض ، ومساحتها ٢٢٧ م طول ، ١٣٦ م عرض ، وملعب الغولف (٢٩٥م × ٢١٣ م) . ولكن ما هو مصير مثل هذه الارض بعد أن تتعرض للقصف الجوي ؟ انها ستصبح أرضا حرثتها القنابل !! اما الجزء الشرقي من الجزيرة ، فلا يمكن النزول فيه لان تل مالنتو يتحكم فيه . وأخيرا قبلوا نسبة تعادل ٢٠ بالمئة في الانزال ، وتوصل الرماة البحارة الجويون الى الهبوط في ملعب الغولف ، وساحة العرض . وحلقوا فوق المنطقتين لمدة (٧) ثوان على ارتفاع ١٤٠ م . وفور هبوطهم الى الارض ، توجه السالمون منهم الى مركز القيادة ودمروا المقاسم الهاتفية فورا ، واستولوا على المواقع الهامة . وتبع ذلك انزال برمائي على خليج سان جوزي . وكانت الخسائر الناتجة عن الحوادث الفنية تبلغ ١٠,٧ بالمئة بدلا من ٢٠ بالمئة .

ان العامل الاساسي في مثل هذه العمليات هو المفاجأة (المباغتة) ، ومن الضرو ري أن يلعب الخيال والتجديد دورا أساسيا في تصميمها ، لذا ينبغي أن لا نستبعد في مثل هذه العمليات أكثرها جنونا واغراقا في المغامرة والخيال

تطور قوات المظلات واستخدام الطائرات العمودية :

وتطورت قوات المظلات في العالم كله ، بعد الحرب العالمية الاخيرة ، وبعد اختراع الطائرات العمودية . بعد أن وجد معظم الخبراء العسكريين أن قوات المظلات معرضة لكثير من المخاطر ، وخاصة ضد البلدان التي تملك دفاعا جويا قويا . كما يلعب ارتباط الجيوش الحديثة بجهاز اداري ضخم ، تؤثر عليه طرق المواصلات دورا أساسيا يتحكم بعمل الجيش ويملي عليه عملياته ، ان هذا الارتباط فتح العيون للحصول على التفوق في قدرة الجيوش على الحركة ، لان الجيش الذي يستهدف الانتصار على خصمه ، لا بد له من أن يتفوق عليه في حركة قواته .

وكانت الحركية التكتيكية للامريكيين أثناء الحرب الكورية حركة غير كافية . وكانت قطعاتهم عاجزة عن الحركة خارج الطرق . ولم تستفد قطعاتهم من آلياتها ومكننتها الا في استخدام طيرانها الكثيف ، وفي استغلال تفوقها الجوي الساحق . ولكي يتخلص الجيش الامريكي من هذه السلسلة الطويلة التي لا نهاية لها من الآليات التي تسير على الطرق ، تحمل القطعات أو تنقل التموين والعتاد بدأ يضاعف من الطائرات العمودية لاجراء التنقلات والقيام بالتموين . وظهر له فورا أن هذه الاداة الجديدة هي من أكثر العناصر تحقيقا للحركة ومن أكثرها مرونة . وبهذا الشكل بدأ استخدام الطائرات العمودية يعم في كل أنحاء العالم في أعمال النقل العسكرية .

وكان لتصور الحرب القادمة ونموذجها في المستقبل أثر كبير على اتساع هذا الاستخدام . فالصفة البارزة لاي حرب نووية في المستقبل هي الانتشار

الاستراتيجي والتكتيكي (السوقي والتعبزي) حتى لا يتعرض للقصف النووي الا الحد الادنى من الوحدات المقاتلة بقنبلة ذرية واحدة . وبما أن التقدم الذي تحقق في مجال الاسلحة الذرية التكتيكية (التعبوية) لن يسمح بحشد هائل في الرجال والعتاد ، هذا الحشد الهائل الذي تم في الحرب العالمية الاخيرة ، فان أول هدف في الحرب النووية لكل طرف من الاطراف هو قصف التنظيم الاداري للطرف الآخر . كما أن قوات العصابات تشكل تهديدا جديا يضطر الطرف المهدد الى اقامة قواعد صلبة ومتينة للتموين والعمليات . وبما أن من الممكن قطع بعض هذه القواعد وعزلها عن بعضها الآخر ، اذن ينبغي أن تشكل كل منطقة من المناطق حصنا قائما بذاته مرتبطا بالطيران لتأمين خطوط مواصلاتها. وبالاضافة الى ذلك ، فان المسافات والجبهات ستكون أكبر مما كانت عليه في الحرب العالمية الثانية ، حتى في حرب تقليدية . وسيشكل تحريك الاحتياط بسرعة ، وتسيير التموين بالسرعة نفسها مشكلة من المشاكل الضخمة التي ستعانيها الجيوش . غير أنهم وجدوا أن معدل سرعة الحركة على الطرق يتناقص نظرا لان حركة الجيوش تم بصورة آلية وستستخدم طرق المواصلات ، اذن فلا بد للقوات البرية من التنقل جوا حتى تبقى لقدرتها على الحركة المرونة الكافية . بهذا الشكل دخلت الطائرة العمودية (الهيليوكوبتر) ساحة القتال لتكون بمثابة آلية من آليات النقل الاساسية .

خصائص الطائرات العمودية :

وقبل أن نعالج استخدام « الهيليكوبتر » من الضروري أن نستعرض خصائصها الرئيسية . فهي قادرة على الاقلاع والهبوط في أي أرض تقريبا ، وهذا ما يجعلها مستقلة عن المطارات وأراضي الهبوط ، والمطارات الميدانية . وفي وسع الطائرة العمودية أن تتجمد في الجو إذا لم تجد أرضا صالحه ..

لموضها . ويمكن تحميلها وتفريغها بواسطة أدوات بسيطة تحملها كسلم من الحبال الخ .. وهي مرنة جدا ، اذ أن خصائصها تسمح لها بالطيران المنخفض، وعلى طول الوديان ، أو على سفوح الجبال كي تتجنب الكشف الجوي . أو لتحاشي أي هجوم جوي معاد . ولا تحل الهيليكوبتر محل الطائرات ذات الاجنحة الثابتة . الا أنها تستطيع أن تفعل الكثير مما تعجز عنه مثل هـــذه الطائرات الاخيرة .

وتمت أول تجربة لوحدات الهيليكوبتر في القتال ضد العصابات في ماليزيا، اذ استطاعت عشر طائرات عمودية من نوع ٥٥ القيام بمهمات مختلفة . ففي خلال عشرة أشهر من العمليات قام هذا السرب من الطائرات بـ ٣٥٠٠ ساعة طيران . ونقل ١١,٠٠٠ جندي الى الغابات . ونفذ اخلاء ٢٥٧ جريحا. وتم تنفيذ هذه المهمات بفضل توسع استخدام الطائرات العمودية على نطاق واسع .

مهمات الطائرات العمودية :

يشتمل الاستخدام العسكري لهذه الطائرات على أربعة أدوار رئيسية : دور تكتيكي (تعبوي) . ودور في مجال العمليات المحمولة جوا ، ودور اداري، ومهمات مختلفة أخرى .

الدور التكتيكي (التعبوي) :

إن في وسع القائد الذي تضع قيادته العليا تحت تصرفه طائرات عمودية أن ينشر قواته الاحتياطية ويوزعها خلف مواقعه الدفاعية أو الهجومية ، ويبقى قادرا على حشد قوات متفوقة في اللحظة الحاسمة . مع ميزة مباغتة خصمه .

وفي وسع القائد الميداني أن يستخدم هذه الطائرات لقفز الحواجز المائية وعبورها واجتياز الجبال . ويستطيع القائد الميداني المتمركز للهجوم على ضفة

نهر ، أن يؤمن عبور القسم الاكبر من قواته الى الضفة المقابلة بواسطة الطائرات العمودية ، وبذلك يتفادى القيام بحشد في مواقع تمركزه ، ويحتفظ بعامل المفاجأة (المباغتة) ، هذا العامل الذي قد يختفي ويتوارى لو أنه قام بحشد كبير من مواقع خصمه ، ويتفادى بهذا الشكل الخسائر الجسيمة التي يتعرض اليها بسبب قصف الطيران الاستراتيجي (السوقي) من الخلف الى ساحة عمله مباشرة . وفي وسع القوات المحمولة بالهيليكوبتر أن تقوم باستثمار النصر بعد نزولها الى ساحة المعركة مباشرة، دون تبديد بالوقت لانه عامل مهم.

وعندما تقوم القوات المدرعة أخيرا بعملية المطاردة واستثمار النصر ، يستطيع القائد الميداني زيادة سرعة تقدمه بالاستيلاء على الجسور والمضائق والممرات الاجبارية في منطقة عمله ، قبل أن تصل اليها أرتاله المدرعة ، أو قبل أن يجتازها العدو ، وعندئذ يقطع عليه طريق الانسحاب . واذا ما وجد خصمه منسحبا منها أخذ يطارده بأقصى سرعة .

ان مدى القوات المدرعة في المسير مدى محدود بما تحمله من محروقات وذخيرة ، تضطر للتوقف بين حين وآخر لاعادة املاء آلياتها بالمحروقات ، ولتموين قواتها بكل ما تحتاج اليه . ولكي تحافظ على سرعتها يدفع القائد الميداني بتموينها منقولا في الطائرات العمودية . وقد استخدمت اسرائيل في حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ هذه الطريقة لتموين وحداتها المدرعة في سيناء .

وأخيرا يمكن للقائد الميداني أن يؤخر تقدم الوحدات المعادية ، عندما يتراجع طبقا لخطة مرسومة ، وذلك بأن يسحب الجزء الاكبر من قواته بعد التماس مع العدو ، ويترك مؤخراته في مواقعها لتؤخر تقدمه أطول وقت ممكن وبواسطة الطائرات العمودية يمكن انسحاب هذه المؤخرات دون أن يخشى قطع العدو لطريق انسحابها .

٢ ـ دورها في مجال العمليات المحمولة جوا :

تضخمت القوات المحمولة جوا كما رأينا في الحرب العالمية الثانية . واستخدمتها كل الاطراف . وتطورت قوات المظلات في العالم كله بعد اختراع الطائرة العمودية . فنتيجة للمخاطر التي تتعرض لها قطعات المظليين . ولكثرة تكاليفها ، واحتياجها الى مدة تدريب طويلة وشاقة ، اتجهت معظم الدول الى الاحتفاظ بالمظليين للقيام ببعض المهمات ، على حين شكلت فرق فرسان الجو المحمولة بالهيليكوبتر لتلافي معظم الصعوبات التي تعترض المظليين اذ كان انزال العتاد الثقيل ، وانزال أسلحة الدعم ، والتموين من المشاكل الصعبة جدا . وكانت الطائرات الشراعية هي التي تقوم بهذا العمل . وعندما استخدمت الطائرات العمودية لنقل القطعات المحمولة ، لم يكن في وسعها الوصول الى هدفها فحسب ، بل كان وصولها يسمح أيضا باقامة منطقة انزال بسرعة . وقد ذكرنا في مطلع هذه الدراسة عملية أرنهايم التي قام بها الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وفقدوا فيها فرقة بريطانية محمولة جوا . كان من الممكن لهذه العملية أن تحقق النجاح لو أنها استخدمت الطائرات العمودية في هبوطها وبخسائر أقل .

٣ ـ الدور الاداري والمهام الاخرى :

وبالاضافة الى كل هذا أصبحت الطائرة العمودية وسيلة من وسائل المواصلات . وتستخدم اليوم لنقل قادة الوحدات الكبرى والمدرعة ، وتستخدم لاقامة الاتصال والقيام بالاستطلاع ، وقيادة المعارك ، وتصحيح رمي المدفعية وادارة نيرانها ، ولتدمير الغواصات بواسطة قذائف الاعماق والصواريخ ، والقيام بالحراسات ، واعتراض مثيلاتها من الطائرات العمودية بتزويدها بصواريخ جو ـ جو أو جو ـ أرض ، ولاخلاء الجرحى ، ولعبور الانهار ، ومكافحة العصابات الثورية الخ .

وفي وسع الطائرات العمودية أن تعمل كأجهزة مرسلة للتلفزيون ، وأن تكون فعالة في نصب الجسور ، أو القيام باغارات عميقة على مؤخرات الخصم البعيدة . وفي بعض الحالات تلح الحاجة اليها أكثر من سيارة جيب . ويعتبر استخدامها في المناطق الامامية لاخلاء الجرحى وسيلة لتوفير الحياة لالوف العسكريين . وقد تمكنت أمريكا في الحرب الكورية من نقل ٥٠٠٠ جريح بواسطة الطائرات العمودية خلال عام واحد ، من المناطق الامامية الى المستشفيات الميدانية في المؤخرات . . وفي حرب يونيو (حزيران) استخدمت اسرائيل طائرات الهيليكوبتر على نطاق واسع . اذن استخدمتها لانزال المظليين خلف الخطوط الدفاعية ، وبخاصة خلف مرابض المدفعية ، واستخدمتها في الجولان أثناء تقدمها في عدة مناطق . وكانت تملك ٥٥ طائرة مختلفة الانواع من بينها الطائرات العمودية التي تستعمل في كشف مواقع الغواصات .

استخدام الوحدات المحمولة جوا في فيتنام :

أدركت الولايات المتحدة الامريكية في تصعيدها للحرب في فيتنام الشمالية أهمية العمليات الخاصة ضد حرب التحرير الوطنية الفيتنامية ، فلجأت الى استخدام الطائرات العمودية التي تنقل « فرسان الجو » . وكانت هذه المعدات في بدء استخدامها ذات قدرة حركية كبيرة ، تسمح بتحقيق المفاجأة (المباغتة) التي تعتبر عاملا رئيسيا في أية حرب من الحروب ، وعاملا من العوامل الذي يسمح بتأمين حرية المواصلات . وقد حلل (نغوين فان فينه) معاون قائد الجيش الشعبي في فيتنام استخدام الامريكيين لهذا السلاح قائلا : « ان استخدام العدو لهذا السلاح اعتراف منه بضعفه وعجزه عن السيطرة على خطوط المواصلات في المناطق المحتلة . وكثيرا ما تناقص محيط الارض الامينة المحيطة بأراضي هبوط الطائرات العمودية لدرجة جعلت الامريكيين يتقاتلون فيما بينهم عند ركوب الطائرات . اذ ان كل واحد منهم يود أن لا يكون آخر الراحلين ، حتى لا يتعرض لهجوم «فاجيء يكنسه » . وتساءل فينه فيما بعد

قائلا : « والآن ما هي النتيجة التي توصلت اليها الفرقة الشهيرة الاولى لفرسان الجو والمزودة بحوالي ٥٠٠ طائرة عمودية ؟ انها لا تزال تحاول حماية منطقة لا تتجاوز مساحتها عدة كيلومترات مربعة تحيط بقاعدتها في (آن خي) . ويقتل رماة الفيتكونغ المهرة ضباط هذه الفرقة وجنودها واحدا تلو الآخر » .

وقد انتبه الفييتناميون الى أهمية مؤخراتهم ، لان مثل هذه القوات لا تستطيع أن تعمل الا ضد مؤخرات ضعيفة وحساسة . وهكذا كان الامريكيون يلاقون في كل شبر من الارض الفييتنامية عددا يقظا من رجال العصابات ، وأفخاخها ، وقطعات نظامية تضربها بقوة بغية ابادتها ، قبل أن يتوفر لرجالها الوقت الكافي ليتعرفوا على أماكنهم ويتشبثوا بالارض عندما تسقطهم القيادة الامريكية الامبريالية . ولم يعد الامريكيون يستخدمون الاقتحام الجوي (الصولة الجوية) في فييتنام – الجنوبية الا نادرا . ان تنظيم المؤخرات الفييتنامية كان عاملا أساسيا في اخفاق الفرقة الاولى من فرسان الجو الامريكية . وفشلت المشاة البحرية لانها تصدت لعدو قوي وشجاع ، كان يوجه اليها دوما ضربات متتالية مستفيدا من طبيعة الارض وتضاريسها الى حد كبير . ورد المغاوير الفييتناميون بآلاف العمليات ضد القواعد الجوية والمطارات الامريكية . هاجموا دانانغ ، وشولي ، وبيان هوا ، ونهاترانغ ، وفاندانغ ، وبليكو ، وسوك ترانغ ، ودوتيكانغ ، وتان سون نهات وترافينه الخ ... وجرحوا مئات من الرجال ودمروا عددا كبيرا من الطائرات العمودية وقواعد الصواريخ ، ومستودعات المحروقات ، والمؤن ...

ومن أهم الاشتباكات التي حدثت في الحرب الفييتنامية هجوم نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ الذي اشتبك فيه المظليون الامريكيون مع جيش فييتنام النظامي ، للسيطرة على المرتفع ٨٧٥ في منطقة داك تو . وقد استطاع

الفييتناميون الشماليون في هذا الهجوم بمدفعية وهاونات ورشاشات ثقيلة فقط تعطيل استخدام مهبط الطائرات الامريكي ، ودمروا ٣ طائرات نقل من طراز (سي - ١٣٠) و ٥ طائرات عمودية ، ومنعوا تقدم أية طائرة عمودية مدة ٤ أيام ، انتظر خلالها ٢٠٠ جريح ، منهم ١٦ ضابطا و١١ طبيبا (من أصل ٩٨٨ جريحا و٢٥٨ قتيلا ، و١٨ مفقودا من الامريكيين) الى أن تمكنت طائرة عمودية من الهبوط بجوارهم حاملة لهم الاسعافات اللازمة [١] .

ونرى في الحرب الفييتنامية أن القوات الامريكية الخاصة (مغاوير - محمولة جوا - منقولة جوا - برمائية) التي كانت مهماتها : البحث عن الثوار الفييتناميين وتدميرهم ومطاردتهم بالدبابات والوحدات الثقيلة مع استخدام الطائرات العمودية والطيران بشكل كثيف ، مع دعم أفضل شؤون ادراية في العالم ، أقول نرى أن هذه القوات لم تنجح في زعزعة ارادة الصمود لدى الشعب الفييتنامي ولدى جيشه الذي تفهم طبيعة عمل هذه الوحدات المحمولة جوا . وتنفذ الطائرات العمودية الامريكية ثلاث مهمات تكتيكية واجبات (تعبوية) رئيسية :

الاستطلاع والحركة والنار : فقد ذكر بونيه في كتابه « الحرب الثورية في فيتنام » أن هذه الطائرات تجمع المعلومات بفضل آلات تصوير وأجهزة تليفزيونية . وتهاجم جزر المقاومة بالصواريخ والمدافع والرشاشات ، وتشارك في عمليات المطاردة والتطويق وزرع الالغام وتغطي انسحاب القطعات بستارة دخان كثيفة . وينبغي أن نعترف أن هذه الطائرات استطاعت انقـاذ الامريكيين من كثير من المآزق . ففي منطقة داك تو في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ استطاع الامريكيون بفضلها أن يتخلصوا من حصار الفيتكونغ ، وذلك باستخدام اسلوب جديد وجريء ، اذ أنزلوا بطاريات مدفعية في العراء

---

(١) الحرب الثورية في فيتنام - جبريل بونيه - منشورات دار الطليعة - بيروت .

بعية دعم قطعات المشاة التي هبطت على مؤخرات الفيتناميين ، وعلى طرق المواصلات . وبهذا الشكل فكوا الحصار . ولولا هذه الطائرات ، والجرأة في استخدامها للاقوا نفس المصير الذي لاقاه الفرنسيون في ديان بيان فو .
وينبغي أن نتذكر أن وجود القطعات المحمولة جوا في فيتنام وفر على القوات الامريكية ما يعادل نصف مليون جندي لمكافحة الثوار ومقاومتهم . وبذلك حققوا مبدأ هاما من مبادىء الحرب وهو مبدأ الاقتصاد بالقوى .

ولكي يكوّن القارىء العربي فكرة عن الفرقة الاولى من فرسان الجـو الامريكيين التي استخدمت في فيتنام نقدم له المعلومات التالية : تعداد هذه الفرقة ١٥٨٠٠ رجل . وتملك ١٩ طائرة عضوية . و٤٨٠ طائرة عمودية . و١٢٠ مدفعا عيار ١٠٥ مم . وفوج دبابات يضم خمس سرايا دبابات (١٨٠ دبابة مزودة بمدفع و٦٠ دبابة باصقة لهب) وكتيبة هندسة و٥٠ قاحط مدرع . وسيارات جيب كاسحة الغام . وعربات برمائية وعبارات وجسور قابلة للفك . ووحدات للمصالح .

الاستنتاجات — والتطور المقبل للوحدات المحمولة جوا

١ — المبادىء العامة لاستخدام القوات المحمولة جوا [١] :

أ — التفوق الجوي المطلق .

ب — القيام بعمليات ليلية عندما لا يكون التفوق الجوي مضمونا .

جـ — الاقتصاد بهذه القوات نظرا لاهميتها ، وعدم تكليفها الا بمهمات (بواجبات) حيوية وأساسية .

د — تنسيق عمليات الانقضاض الجوي مع العمليات الارضية .

هـ — المباغتة في الاسقاط والتجمع .

(١) العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو — المرجع المذكور سابقا .

و – تلاؤم المهمة مع الوسائل .

ز – بساطة الخطة وسهولة تنفيذها .

٢ – المبادىء العامة للدفاع المضاد للانقضاض الجوي [١] :

١ – الدفاع السطحي عن كل البلاد ، وذلك باقامة مراكز للمراقبة والانذار وبوجود وحدات محلية من الميليشيا أو المقاومة الشعبية للتحرك فورا والاشتباك.

٢ – تغطية المناطق المحتلة للانزال بالموانع والاوتاد القائمة ، والمتفجرات الوثابة ، والاسلاك الشائكة العنكبوتية ، أو المخلفات الصلبة ، أو الحجارة الكبيرة الحجم ، واغراق المناطق بالمياه ، وتغطيتها بالحفر .

٣ – ضرورة وجود قوات للتدخل السريع ، سريعة الحركة للعمل بأقصى سرعة .

٤ – ضرب مناطق تحشد الوحدات المحمولة جوا قبل ركوبها .

٥ – اشتراك الخطة النارية الدفاعية للجبهة في ضرب أماكن الانزال .

٦ – عدم المبالغة في أهمية القوات ، وخاصة عندما يتم الانزال ليلا .

٣ – التطور المتوقع :

مهما كان التفوق الجوي مطلقا ، فان حسم المعركة لا يتم الا بالمعركة البرية وقد أثبت القصف الاستراتيجي (السوقي) الذي تم في الحرب العالمية الثانية أن تدمير المصانع والمباني السكنية لن يؤدي الى خضوع الخصم . كما أثبتت الحرب الفيتنامية أن قصف المدن والجسور ، ومحطات السكك الحديدية لا يؤدي الى أية نتيجة ، اذ أن الشعب الفيتنامي استطاع اعادة تنظيم اقتصاده وأصبح مستعدا لتحمل أسوأ العواقب .

---

(١) العمليات الحاسمة ...... – المرجع السابق – الانقضاض الجوي او (الصولة الجوية) .

وتتوفر في القوات المحمولة جوا كل مزايا وخصائص المرونة والسرعة في الانتشار والتوزيع اللذين تتطلبها المعركة النووية في المستقبل . وبحسب تطور مدى الطائرات واتساع مجال عملها ، أصبح من الممكن نقل القوات المحمولة ، سواء أكانت مظلية أم محمولة بالهيليكوبتر الى أية منطقة في العالم . ومنذ عام ١٩٦١ ومعظم الخبراء العسكريين في العالم يطالبون بزيادة تعداد القوى المحمولة جوا ، والقوى البرمائية لتكون قادرة على القيام بالحرب المحدودة في كل مكان من الكرة الارضية . وفي عام ١٩٦١ كتب ليدل هارت المعلق العسكري البريطاني المشهور الذي توفي منذ أكثر من عام يقول : « ان لدى السوفييت أقوى قوة منقولة جوا في العالم ، أي نحو عشر فرق وأسطول نقل جوي كاف احتمالاً لنقل فرقتين منها الى أحد بلدان الشرق الاوسط بناء على دعوة من حكومته ، يضع الدول الغربية أمام وضع في منتهى الخطورة » . وأثبتت أحداث تشيكوسلوفاكيا صحة هذا القول فيما يتعلق بامكانات الاتحاد السوفييتي ، إذ نُقل جوا جيش بكامله دون أن تتمكن أجهزة الكشف الغربية من تحديد وقت النزول الا بعد وصول القوات السوفييتية الى أهدافها .

ومن المنتظر أن تستخدم طائرات تهبط وتقلع عموديا ، وتتمتع بنفس قدرة الطائرات النفاثة على الطيران الافقي . وعندئذ ، يتسع مدى العمل المحمول جوا الى أبعد مدى ، ويقل استخدام المظليين الى أدنى حد ممكن . وتستطيع مثل هذه الطائرات عندئذ الاستغناء عن مطارات الاقلاع والهبوط .

وأخيرا ، ما هي أهم الدروس التي نستطيع استخلاصها ؟

تملك اسرائيل في الوقت الحاضر حوالي ١٥٠ طائرة عمودية من مختلف الانواع ، تستخدمها في شتى المجالات . فاذا اضفنا الى هذا ما نشرته الصحف في عام ١٩٦٩ من أن أمريكا قد تزود اسرائيل بـ١٣٠ طائرة هيليكوبتر ، وما قرأناه في الصحف في عام ١٩٦٨ من أنها تحاول شراء ٩٠ طائرة عمودية

من دول أوروبا الغربية ، واذا تذكرنا كل هذا ، اذن لادركنا أن الحرب الصاعقة الاسرائيلية التي تعرضنا لها في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ستتخذ شكلا آخر .

إن أهم درس يمكن أن نستخلصه من كل هذا ، ومن كل الاشتباكات التي وقعت خلال الاعوام الثلاثة المنصرمة على قبول وقف اطلاق النار أن الخصم الصهيوني ، المدعم بالامبريالية الامريكية يحاول أن يقلد سيده في عمليات فيتنام الجنوبية أو الشمالية . ويدرك خصمنا أن خطوط مواصلاته قد طالت الى حد كبير ، بين مناطقه الحيوية والداخلية وخطوط وقف اطلاق النار .

حقا ! ان هذه المواقع تتيح له قطاق أمن هائل . وبواسطتها ينقل الحرب دوما الى داخل أراضي الدول العربية المجاورة . غير أنه كان يحارب دوما على الخطوط الداخلية ، ويعتمد على السرعة في حركة قواته ، أكثر من صدمه هذه القوات متنقلا في سرعة حركته من جبهة الى أخرى . اذن فالطائرات العمودية تتيح له زيادة قدرة قواته على الحركة . وفي وسعه أن يقفز الحواجز المائية ويعبرها بواسطة هذه الطائرات وأن يجتاز الجبال . وفي وسعه أيضا بواسطتها أن يجهض أي حشد لاي هجوم يتم في أية جبهة من الجبهات ، وأن ينقل قطعاته الاحتياطية الاستراتيجية (السوقية) من مكان الى آخر ، وأن يتصدى لاحتياطينا الاستراتيجي (السوقي) ليعطله . وفي وسعه بواسطتها أيضا ، بالتوافق مع عمليات برية ، التصدي لقواعد المقاومة الفلسطينية ، هذه المقاومة التي تنمو وتتطور ، وفي نموها وتطورها تستقطب الرأي العام العالمي الذي بدأ يفتح عينيه على قضية شعب شرد من أرضه وطرد منها ، وأقام فيها شعب دخيل فاتح وغاصب ومستورد . وتوجه المقاومة الفلسطينية ضده مزيدا من ضربات الانتقام والردع ، وتتعرض لخطوط مواصلاته

ولمؤخرة قواته ، ولمستعمراته . وربما تصبح في وقت قريب حقيقة أساسية على مؤخراته ، وفي كل شيء من أرض فلسطين المحتلة . واذا نمت هذه المقاومة وتطورت وتوقف أساليب القمع أدى البعض عن متابعة مخطط تصفيتها ، وصلب عودها ، وتمرس أفرادها على القتال بمختلف أشكاله ، مزودين بأحدث وسائل المقاومة ضده ، وباستراتيجية (سوقية) موحدة لكل فصائل المقاومة تتفق مع الظروف الموضوعية والجغرافية للقضية الفلسطينية ، فستكون مصدر ازعاج مستمر متواصل . فقبل أن تنتقل الى مرحلة القدرة على تحرير جزء من الارض ، قد يحاول خصمنا ، كما حاول مرارا توجيه ضربة خاطفة ومفاجئة ، يمهد لها بقصف جوي مستمر عدة ساعات في منطقة تخلو من الدفاع الجوي الفعال ، ومن المقاتلات الاعتراضية التي تطارد طائراته ، ان توجيه مثل هذه الضربة قد يضعف المقاومة ، في نظره ، لفترة لا تقل عن ستة أشهر ، لانه يدرك تمام الادراك استحالة تصفيتها بعد المعارك البطولية التي خاضتها ضده . ان التركيب الدفاعي الاسرائيلي لا يتحمل عمليات استنزاف مستمرة حقيقية ، واسرائيل مضطرة بين آن وآخر لايقاف هذا النزيف بتوجيه ضربات متتالية ومحدودة تعبر فيها خط وقف اطلاق النار ، لاشغالنا وتحويلنا عن عمليات الهجوم والازعاج الى عمليات الدفاع عن أنفسنا . وبمثل هذه العمليات تتصور أنها ستوقف المد التحرري العسكري في المنطقة . غير أن أخطر وأقوى احتمال لاستخدام قواتها المحمولة جوا أو المحمولة بالطائرات العمودية اذا ما تمكنت من تحقيق التفوق الجوي الكامل أو النسبي في منطقة من المناطق القيام بمغامرة جنونية للقفز والوثوب على بعض القواعد الجوية ، والصاروخية في جمهورية مصر العربية وسورية للاسباب التالية :

١ ـ ان هذا الدرس هو أهم درس حصلت عليه في العدوان الثلاثي على

مصر عام ١٩٥٦ ، الا أنها تمكنت من تطبيقه بشكل آخر في عدوان ١٩٦٧ .

٢ – إن أهم درس خرجت به من عدوان ١٩٦٧ هو أهمية السيطرة الجوية والمباغتة الجوية . اذ كانت المفاجأة الجوية للقوات العربية هي العامل الحاسم في المعركة .

٣ – ان أهم درس قديم لقنته لها البعثة العسكرية الفرنسية عندما جاءت الى اسرائيل برئاسة الجنرال كاربنتيه ، والذي كان أحد الأعمدة الرئيسية لحلف الاطلنطي ، ان أية قوات عسكرية تعبر قناة السويس باتجاه سيناء ، أو أية قوات عسكرية تعبر النقب باتجاه سيناء : ولا تملك السيادة الجوية الكاملة معرضة للاخفاق . لذا فان المفاجأة الجوية (المباغتة الجوية) وضرب الطائرات وهي في مدارجها أمر مهم لتحقيق أي تفوق في المستقبل .

غير أن اسرائيل تدرك تمام الادراك أن مفاجأة جوية من نوع مفاجأة عام ١٩٦٧ قد غدت أمرا مستحيلا لعدة أسباب منها : اليقظة الدائمة للقوات الجوية العربية ، ومنها اعداد المطارات بشكل يختلف عما كانت عليه في عام ١٩٦٧ ، وهو أمر لم يعد سرا من الاسرار أدركته القيادة العسكرية الاسرائيلية وتوقعته. وكتب عن استحالته في المستقبل عدد من القادة الاسرائيليين . لذا نرى اسرائيل تحاول أن تتفوق دوما بتحويل ميزان القوى الجوية ، وذلك بقلبه الى صالحها ، وبالحصول على طائرات تتفوق في مزاياها التقنية . فاذا لم تحصل على التفوق الجوي بالمفاجأة والخدعة ، فستحاول الحصول عليه بالقتال .

أمام كل هذه الصعوبات ليس من المستبعد أن تفكر اسرائيل كما قلت في تهيئة قوة خاصة كبيرة ، تدرب لفترة طويلة تكون مهمتها القفز والوثوب فوق أهم المطارات العسكرية المصرية والسورية لاخراج أكبر قوة جوية –

خارج القتال – ويسبق هذا القفز قصف جوي عنيف . وتفوق جوي محلي ، يليه استخدام غازات مسيلة للدموع ، أو أية غازات أخرى من النوع الذي يتم اختباره في معامل الولايات المتحدة الامريكية . وهناك حاليا دراسات قامت بها معظم الدول الكبرى لاستخدام الغازات كبديل للقنابل الذرية . فهناك غازات مسيلة للدموع ، وغازات تخدر الخصم مؤقتا دون أن تقتله ، وتنزع منه كل ارادة وكل روح قتالية . وقد كان الغاز الخردلي أكثر الاسلحة الكيمياثية فاعلية أثناء الحرب العالمية الأولى . اذ أخرج من المعركة جنودا باعداد لم يستطع أي سلاح آخر تحقيقه ، ولكنه قتل منهم عددا أقل من العدد الذي يمكن أن تقتله الأسلحة الأخرى . والغازات التي توصل اليها الغرب والشرق على السواء أسلحة مضادة للهجوم ، اذ أنها تحصل على اثر ابطال وشلل . ومعظمها يجعل « القطة خائفة أمام الفأر » [١] .

ان علينا أن لا نستبعد شيئا ، وأن نضع أمام أعيننا أسوأ الاحتمالات لنعدلها ، ولنتهيأ للحيلولة دون وقوعها ، وأن نتوقع الاسوأ دوماً وأن لا يركبنا الغرور من بضع عمليات تكتيكية ناجحة قامت بها القوات المسلحة العربية أو وحدات المقاومة .

وأخيرا حبذا لو تلجأ منظمات المقاومة متحدة أو جيش التحرير الفلسطيني الى تحضير قوة خاصة للعمل في داخل الاراضي المحتلة ، مدربة على القفز بالمظلات وعلى ركوب الطائرات العمودية ، وعلى العمل كمفارز منعزلة ومستقلة ، تتقن اللغة العبرية ، وتعرف الارض الفلسطينية حق المعرفة . على أن لا تستخدم عناصرها في الداخل أو في الخارج الا عندما يعلن نفير التحرير

---

(١) الاختيار الصعب بين الهجوم والدفاع – تأليف ليدل هارت – منشورات دار الطليعة – بيروت .

وتشترك الجيوش العربية النظامية في المعركة ، لتقوم بعمليات فردية خاصة ، ضد المطارات ، وضد القيادات .

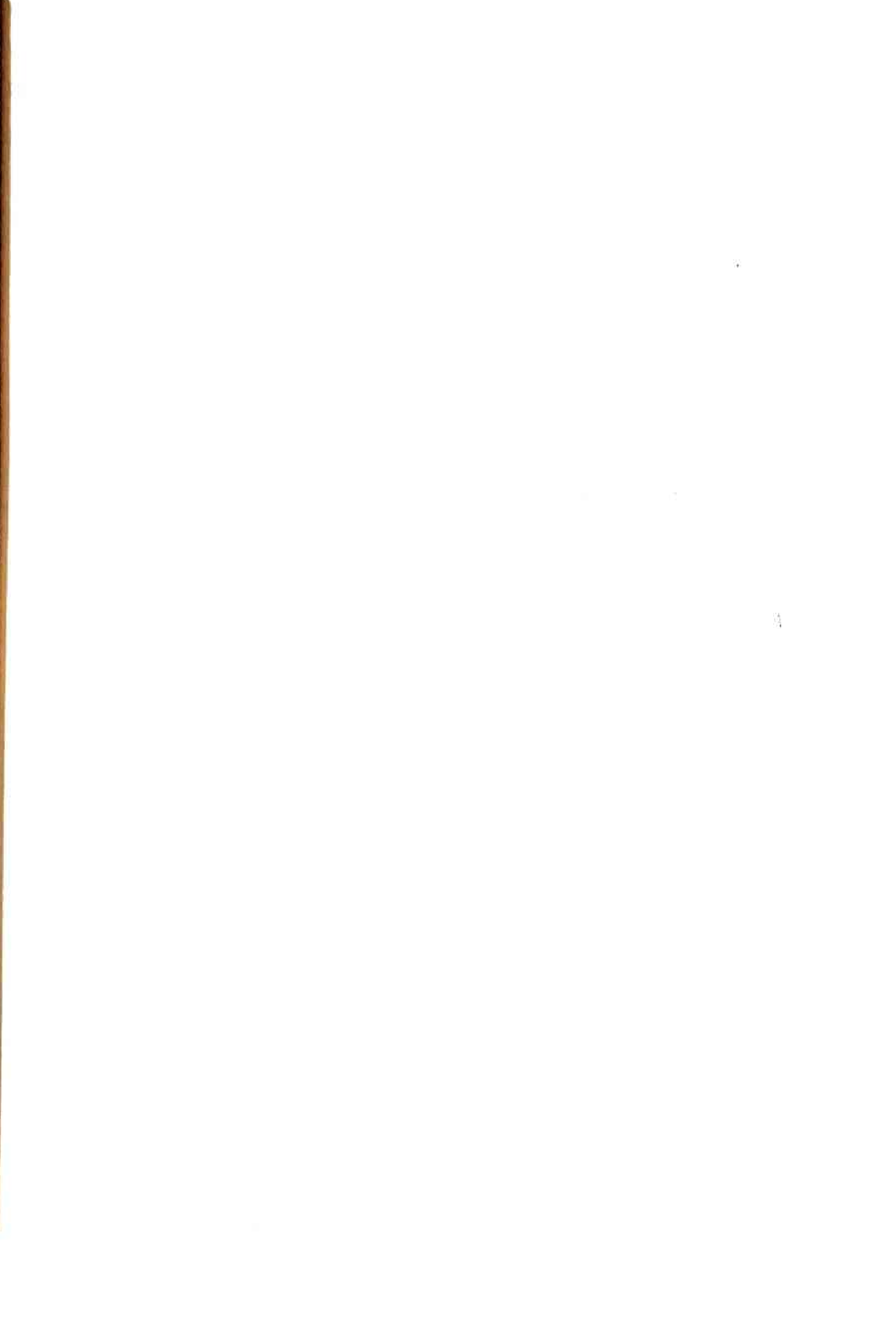
ان السبيل الوحيد أمامنا هو التخطيط العلمي الدقيق ، الذي يعد لسنوات قادمة . فقد قامت اسرائيل ، وقام بناؤها العسكري العدواني على تخطيط دقيق . وبرمجة كاملة للمراحل ، وعلى استراتيجية (سوقية) واضحة كل الوضوح .

وحتى لا يرسخ في أذهان البعض أن كل الاحتمالات مفتوحة أمام اسرائيل على حين لا يوجد أي توقع لما يمكن أن يقوم به العرب ، نقول : ان علينا أن نتوقع ونصنف كل احتمالات عمل الخصم . غير أن هذا لا يعني أننا مكبلو الايدي . اذ لا بد من الاعتراف بأن بعض دول المواجهة ، وبالاخص جمهورية مصر العربية ، حققت خطوات هائلة وجبارة في طريق اعادة بنائها العسكري . وقد بدأ هذا البناء يعطي ثمراته ، وكما يملك خصمنا قوات محمولة جوا ، تملك جيوشنا العربية قوات مماثلة . وقد أثبتت القوات المسلحة المصرية أنها قادرة على أن تكيل لخصمها الصاع صاعين . وهي قادرة ، بفضل الجهود التي بذلتها ، وبفضل طاقتها الاقتصادية والعسكرية الكبيرة ، من هضم وتمثل أسلحة جديدة ، ومنع العدو من استخدام أي سلاح جديد يشكل مفاجأة تكتيكية أو استراتيجية (مباغتة سوقية او تعبوية) . وتمكنت القوات المسلحة المصرية من القيام بعمليات رائعة بدءا من ضرب المدمرة ايلات الى عملية مصفق التي تمت بواسطة الطائرات العمودية ، الى عملية ضرب مركبين حربيين في ايلات قامت بها الضفادع البشرية المحمولة بالطائرات العمودية ، والتي تعتبر من أروع العمليات العسكرية التي تمت في هذه الفترة ، هذا عدا عن عمليات العبور المتتالية ، وعمليات القصف الجوي ، وعمليات أخرى ناجحة . وتمكنت القوات السورية أيضا من خوض عدة معارك دفاعية جوية وبرية

ناجحة . وكانت القوات العراقية المتمركزة في الاردن أول قوات عربية حطمت اسطورة التفوق الجوي ، واثبتت أن أية وحدة تصمد قادرة على صد الهجوم الجوي بكل أسلحتها . واستطاعت قوات المقاومة أيضا خوض معارك ناجحة أثبتت قدرة المقاتل العربي وكفاءته ، وكل هذا يثبت أن في وسعنا مع مزيد من الجرأة والتصميم والمغامرة ، أن تستخدم نفس التكتيكات ونفس الاساليب .

ولكن قبل كل شيء ، ونظرا لما يتمتع به التركيب الاستراتيجي (السوقي) الاسرائيلي في فلسطين المحتلة من دفاع اصطناعي قوي ، ولما يتوفر لاسرائيل من مختلف المساعدات التقنية الامبريالية، لابد من أن تكون مؤخراتنا وأعماق أرضنا محمية ومصانة . والسبيل الوحيد هو مفهوم الامة المسلحة من الرأس حتى أخمص القدمين . فالامة المسلحة قادرة على تأمين مؤخرات قوية وصلبة لجيوش ميكانيكية متلاحمة مع شعوبها ، وضاربة تشكل رأس الرمح . ان الامة المسلحة هي السبيل الوحيد للدول المتخلفة لاحباط مخططات العدوان الامبريالية بمعونة قواتها المسلحة النظامية[١] .

(١) انتهت هذه الدراسة في ٦/٦/١٩٧٠ – ثم أجريت عليها تعديلات طفيفة في مطلع ابريل (نيسان) ١٩٧١ .



البـــاب الثالث

في القيـــادة



الفصل التاسع

سبل القيادة

هناك ثلاثة تعابير أساسية في العمليات العسكرية ، كثيرا ما نرددها دون أن نفهم معناها ومدلولها ، ان القائد **يصمم، ويعد ويدير** مناورته . هذه التعابير الثلاثة تمثل المراحل الثلاث لاية مناورة أو عملية عسكرية ، وسأحاول هنا اعطاء تعريف لهذه العملية الكاملة ، ومن ثم نتوصل الى كيفية تصميم أية عملية من العمليات ، وكيفية اعدادها ، وكيفية ادارتها .

ان تصميم عملية من العمليات العسكرية أو مناورة من المناورات عمل فكري أساسي يستهدف السماح للقائد بما يلي :

ـ أن يعرف ماذا يريد عمله .

ـ أن يعرف كيف يريد تنفيذ هذا العمل (اسلوب العمل أو الطريقة) .

هذا هو التفكير والتأمل الذي يسبق العمل .

ولكي يعرف القائد ما يريد عمله ، ينبغي عليه أن يُكوِّن فكرة واضحة كل الوضوح عن النتيجة التي يتوخى الحصول عليها من خصمه ، أي أن يعرف بوضوح الهدف الذي ينبغي تحقيقه .

ولكي يعرف كيف يريد تنفيذ عمله يترتب عليه أن يميز بصورة واضحة الوسائل التي سيستخدمها لتحقيق هذا الهدف بالرغم من عدوه وطريقة

استخدام الأرض ، ليستخلص منها أفضل مردود لوسائطه . وتشكل هذه المعرفة القاعدة الاساسية لارادته . كما يشكل التصميم أو التصور أو التخيل التعبير الاولى عن هذه الارادة .

ويشمل التصميم المهمة بكاملها والهدف الذي حدده المستوى الاعلى في كل عمقه ، وطيلة المدة التي يستغرقها تحقيق هذا الهدف أو هذه المهمة . ويكون التصميم أثناء التنفيذ ، دليل القائد ، اذ يستطيع متمسكا بمسلكه الذي رسمه لنفسه أن يفرض ارادته على عدوه . والتصميم ضروري جدا قبل العمل ، وبهذا الشكل لا يخضع القائد لقانون العدو وارادته .

ويشكل التصميم بوصلة للمرؤوسين كي يتشبعوا بارادة القائد ، ويدخلوا الى أعماق فكره وتصوره ، ويعملوا ببديهة وحس سليم .

ويفيد التصميم أيضا في المستويات العليا ، ليكون دليلا لضباط الاركان لاعداد المناورة ، أي لدراسة وتوقع شروط تنفيذها . فالتصميم هو اذن العمل الفكري الاساسي الذي تنبع منه كل الاعمال التالية :

الاعداد والتحضير : وهو عمل تنظيمي يستهدف تحضير كل تدابير التنفيذ بدقة ، بترجمة معطيات التصميم بصورة واقعية وتحويلها الى تخطيط تعبوي (تكتيكي) وتقني ، يتضمن طبيعة الاوامر المختلفة التي ينبغي اعطاؤها عند ادارة المناورة أو العملية أو قيادتها .

ويعتبر تخطيط العملية الكبرى أو المناورة عملا من أعمال هيئات الاركان، ويشكل هذا التخطيط في التنفيذ دليل هيئات الاركان ، كالتصميم الذي يعتبر دليل القائد . ويسمح هذا الاعداد بانجاز مادي لا تقف أمامه المعوقات ، على أن يكون مرنا ومتماسكا . وعندما تصمم المناورة وتعد ، ينتقل القائد الى التنفيذ ، وذلك بادارتها بقرارات متتالية . وتترجم هيئات الاركان كل قرار يصدر عن القائد بأمر تفصيلي يصدر عنها له صفة الالزام والامر . ولا يمكن لقرار يصدر عن القائد ، ويترجم الى أمر من الاوامر ، أن يستهدف مجموع

المناورة ، لان من الممكن أن يمارس العدو ارادته بحرية ضد ترتيب جامد وثابت . ويصبح الامر عندئذ غير متلائم مع الوضع ، الامر الذي يترتب عليه اعطاء أوامر معاكسة ، كثيرا ما تولد الفوضى في صفوف القطعات .

فلا يمكن لقرار من القرارات أن يتضمن اذن سوى مرحلة من مراحل المناورة ، قدَّرَ القائد أنها ممكنة التنفيذ دون تبديل كبير .

وتقسَّم ادارة العملية العسكرية التصميم الى مراحل تنفيذية متتابعة تستهدف كل مرحلة منها هدفا جزئيا ، يتضافر كل هدف جزئي مع الهدف الجزئي الآخر للحصول على الهدف النهائي . وتحتاج كل مرحلة من هذه المراحل الى قرار .

وفي النهاية ، فان تصميم أية عملية يعني أن يقول القائد : « هذا هو تصوري ، وهذا هو ما أريد أن أفعله » .

أما تقريرات مرحلة من المراحل فيعني أن القائد قد قرر ما يلي « هذا ما أفعله في هذا الوقت بالذات » .

وعندما تنتهي محاكمة القائد المنطقية المتعلقة بقرار مرحلة من المراحل ينتقل فكره فورا الى المرحلة الثانية .

وتتولد القرارات المتتالية تباعا بعضها من بعض . وتترابط في التصميم وتنجم عن الهدف النهائي . وتسعى للحفاظ على سير التنفيذ طبقا للتصميم بالرغم من ممارسة العدو لارادته المضادة لارادتنا . وقبل أن نسير في التحليل بعيدا ، لا بد من الاشارة الى ملاحظتين هامتين :

١ ـ لتسهيل عرض الموضوع ، سنفصل بين مراحل الطريقة الثلاث وهي التصميم ، والاعداد ، والارادة .

والحقيقة أنه لا وجود لحد فاصل فيما بينهما ، اذ تتداخل الطريقة في كل مرحلة من المراحل .

ويبدأ الاعداد قبل أن ينتهي التصميم ، ويستمر طيلة مدة ادارة المعركة .

وفي وسعنا أيضا أن نبدأ التنفيذ ، أي أن نبدأ ادارة المعركة بتحضير غير كامل . ويصدق هذا القول بشكل خاص في المستويات الصغيرة وفي كل الحالات التي يكون فيها الوقت بين استلام الإمر وبدء التنفيذ قصيرا جدا . ولكن ما لا نستطيع عمله هو اتخاذ قرار أولي دون أن نعرف مسبقا ماذا نريد أن نعمل ، أي دون أن نصمم معركتنا أو مناورتنا .

٢ ـ ان القائد ، هو الوحيد المسؤول عن مناورته فهو الذي يتصور ويصمم ويقرر شخصيا .

وقد يعاونه أركانه أو بعض مرؤوسيه في التصور والتصميم ، وذلك بأن يطلب منهم اجراء دراسات محددة أو تقديم آراء معينة ، واقتراحات عملية لاستخدام الوسائل الموضوعة تحت تصرفه .

ويتمم القائد ويكمل بهذا الشكل المعلومات التي لديه ، ويشاركه مرؤوسوه الذين دعاهم واستشارهم في وضع تصميمه واتخاذ قراراته ، في التعبير عن ارادته كقائد .

واذا كان القائد يصمم ويقود ، فان هيئة أركانه هي التي تهيء وتعد ، تحت مسؤولية القائد ، وفي الشروط التي حددها بنفسه ، بتجسيدهم لارادة القائد وتمثيلهم لها أحسن تمثيل .

كيفية التصميم

تتسم كل مناورة من المناورات أو أية عملية من العمليات بالموقف العام الذي تدور فيه .

وينبغي أن تتلاءم وتتطابق مع أشكال الارض التي تجري عليها . ولا يمكن دراسة العناصر الاساسية للمناورة ، أي **المهمة** ، **العدو** ، **والوسائل** بصورة سليمة ، الا اذا حللنا كل عنصر منها ضمن اطار المناخ العام وعلى أرض العملية ذاتها . ولنضرب على ذلك مثلا : ان المهمة نفسها تمثل شيئا مختلفا تمام الاختلاف اذا كانت ستتم في مناخ يسوده الامن أو عدم الامن في المؤخرات وفي أرض منبسطة أو جبلية .

والعدو ذاته لن يملك الامكانات ذاتها في موقف متفوق جويا أو في مناخ من الضعف الجوي ، في أرض مكشوفة أو أرض مغطاة بصورة كثيفة .

ولن تحقق الوسائط ذاتها الامكانات نفسها في مناخ الهزيمة أو في موقف الانتصار . ويختلف مردود الوسائط أيضا تبعا لما اذا كان الجو صحوا وجميلا ، أو باردا ، وتغطي الارض طبقة سميكة من الثلج .

فالدراسة المنطقية للعوامل (تقدير الموقف) **تحلل الارض أولا** ، **والموقف العام** (الوضع العام) ، ومن ثم تفحص بالتتابع وبالتسلسل **المهمة** (الواجب) ، **العدو** ، **الوسائط** ، مع الانتباه جيدا الى أن كل عامل من هذه العوامل الثلاثة لا يمكن أن ينفصل بأي حال من الأحوال عن الارض والموقف (الموقف العام) [1] .

---

١ – أو الوضع العام وهو التعبير المستخدم في الجيش السوري .

وسنرى معا وبصورة بارزة ما يميز هذه العناصر ، وكيف ينبغي أن نسمح دراستها المتتابعة باكتشاف الفكرة التي ستتحكم بالمناورة بصورة متدرجة ، واكتشاف شروط تحقيقها .

الارض :

فعلى الارض ترتسم المهمة (الواجب) وتتجسد . ولكي نفهم المهمة بصورة جيدة ، علينا أن نفهم أرضها في البدء .

وليس للارض قيمة بحد ذاتها . فهي لا تتمتع بأية قيمة الا بوجود العدو عليها ، لان وجوده يعوق قدرتنا على استثمار التسهيلات التي تقدمها .

وتتم دراسة الارض بكل تفاصيلها قبل التقدم ، مع أخذ الأحوال الجوية الخاصة بالفصول بعين الاعتبار ، والأنواء أو حالة الطقس .

وينبغي أن تسمح دراسة الارض ، من زاوية النار والحركة والاختفاء والحماية جغرافياً وطوبوغرافياً ، باستخلاص الميزات العسكرية القابلة للاستخدام في العملية المدروسة .

الموقف العام :

يرتبط الموقف العام بالوضع العام البري في الجبهة وعلى المؤخرات ، وبالموقف الجوي ، وبالمدد المقبولة للمناورة أو للعملية .

ويؤثر هذا الموقف بصورة مباشرة على دراسة العوامل .

وينبغي أن تسمح دراسة الموقف العام بوضع علامات للخصائص العامة للعملية ، ودرجة حرية عملها ، ومرونتها ، وقوتها ، وجرأتها أو تعلقها ، على ضوء هذا الوضع .

المهمة (الواجب) :

ان المهمة ليست غرضا في حد ذاتها ، انها عنصر من عناصر مناورة المستوى الاعلى . فهي تقع في وضع عام وتتجسد على الارض .

ومن الواجب أن تفحص المهمة بصورة حرفية ، لان لها طابعا الزاميا في التنفيذ . وينبغي أن يفهم جوهرها . ان فهم المهمة يعني التقاط كل مداها وسعتها على الارض ، وفي الزمان ، ورؤية الاثر الذي يترتب أن تحققه على العدو ، وكيف سيتضافر هذا الاثر مع آثار متوافقة معه أو لاحقة له .

ولا يبدو الهدف واضحا وطبيعيا ، الا عندما نفهم المهمة فهما جيدا ، وبهذا الاسلوب نستطيع أن لا نفقده ونضيعه عند التنفيذ .

وتستهدف دراسة المهمة (الواجب) على الارض اذن أساسا تحديد الهدف النهائي وفهمه .

وقد تولد هذه الدراسة أيضا أفكارا عن أسلوب تحقيق هذا الهدف ، أي عن موقع جهدنا الرئيسي ، وعن ايقاع هذا الجهد (شدة الزخم) ، وعن ظروف أمن هذا الجد .

وهكذا تولد فكرة المناورة ، بشكل هدف مفهوم ، ومحدد بصورة واضحة ونتوصل أيضا الى عدة أساليب من الممكن استخدامها لبلوغ هذا الهدف .

العدو :

حقا ان الهدف الذي نريد تحقيقه يتجسد على الارض ، بيد اننا نريد قبل كل شيء الحصول على نتيجة من النتائج ضد العدو ، لاننا نقاتل ضده ، ولا نقاتل ضد الارض .

وهكذا لا بد لنا اذن من أن نكون فكرة عن هذا العدو .

وتستند التأملات الضرورية للتوصل الى هذه الفكرة الى الاسس التالية :
- **أولا** ، هناك الفكرة التي كونها المستوى الاعلى لنسقنا عن عدوه ، لان مناورته والواجبات التي أعطاها تنبع أساسا من التقديرات التي وضعها عنه.

- **ثانيا** ، هناك المهمة (الواجب) التي تلقيناها ، وعندما يعطي المستوى الاعلى هذه المهمة ، فذلك يعني أنه يعتبر انها ممكنة التحقيق برغم العدو الذي يستطيع مقاومة تحقيقها .

- **ثالثا** ، هناك الارض التي ستنفذ فيها المهمة ، والتي سيستخدمها الخصم لمنع تحقيقها .

- وأخيرا ، هناك ما نعرفه عن العدو ، في اللحظة التي نتلقى فيها هذه المهمة ، ولكن نادرا ما نعرف كثيرا من الاشياء عنه في هذه اللحظة ، اذ بين اللحظة التي نتلقى فيها المهمة ، ولحظة العمل يكون العدو قد تبدل كثيرا .

واستنادا الى هذه الاسس التي تتضمن ثلاثة عناصر ايجابية وعنصرا مشكوكا فيه ، يضع القائد نفسه في اطار فكرة المستوى الاعلى (النسق الاعلى) عن العدو ، ويسعى لاستخلاص ما يمكنه استخلاصه عن امكانات خصمه لمقاومة المهمة او الواجب ومنع تحقيقها أثناء تنفيذها . وبما أن هذا العدو افتراضي ، اذن فعلى القائد أن يعد فرضيات عنه [١] .

وعندما يعد الفرضيات يجيب على السؤال التالي :

« في الوضع الذي أعرفه تماما ، كيف سيستخدم العدو الارض لمقاومة تنفيذ مهمتي » ؟

---

(١) هذا ما سنعالجه تفصيلا في الفصل الخاص بالقائد والفرضيات .

وربما يكون جوابه على السؤال كما يلي :

– **في وضع هجومي :** بوسع العدو أن ينتظرني في منطقة كذا أو كذا الملائمة لتربيض أو تعبئة اسلحته النارية ، وقوات هجومه المضاد (المقابل) .

وفي وضع دفاعي : بوسع العدو أن يهاجمني في هذا الاتجاه أو ذاك بوسائط كذا أو كذا .

وفي كلتا الحالتين ، يشكل كل احتمال من الاحتمالات فرضية من الفرضيات .

ولكي تكون الفرضيات ممكنة الاستخدام ، ينبغي أن تكون بسيطة وقليلة العدد .

هنا يبرز العمل الرئيسي للقائد ، الذي يتضمن تصنيف فرضياته (احتمالات عمل خصمه) ، لانه لو اعتبرها كلها ذات قيمة متساوية ، اذن لكان ميالا الى الانتظار ليرى الفرضية التي ستتحقق . وفي هذه الحالة ، هناك احتمالات كبرى في أن يبقى سلبيا في عمله ، وأن يكون اللاعب الثاني في المعركة ، فيضطر بهذا الشكل الى مجابهة أعمال العدو بالخضوع لقانونه وارادته ، أو يضطر الى مجابهة كل الفرضيات بآن واحد .

فكيف يتم هذا التصنيف ، وهذا الاختيار ؟ ان في وسعه أن يقدر مدى اعاقة خصمه له في الهجوم ، أو مدى الخطر الذي يتعرض له عندما يكون في الدفاع ، هذا الخطر الذي يمثله تطور كل فرضية من الفرضيات لتنفيذ مهمته .

وفي وسعه أن يضع في الرأس الافضلية التي يعتبرها أكثر الفرضيات تعويقا أو أكثرها خطورة : وذلك بالاثر الذي ستحدثه على مناورته الخاصة ، ويصنف

الفرضيات (الاحتمالات) الاخرى بالتسلسل ، تبعاً لقلة درجة خطورتها أو اعاقتها .

وتعطي المعلومات التي يملكها القائد طابعا احتماليا لاحدى هذه الفرضيات غير أن عليه أن يأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار ، ولكن بكثير من الحذر .

وفي التنفيذ ، قد يلعب العدو هذه الفرضيات أو لا يلعبها ، وقد يعطي احداها الشدة التي يريدها . وفي وسعه أيضا أن يمزج فيما بينها حسب مزاجه .

ان وضع الفرضيات أمر ضروري لحصر كل العلميات المتوقعة وغير المتوقعة للخصم . وعند تصنيفها يكون في وسعنا أن نوزع قواتنا على أساس المناورة التي نريد تحقيقها .

ففي حالة الهجوم ، وهي الحالة التي يملك القائد المبادأة فيها ، كما يملك قوة فائقة ، يستطيع اعداد كل التدابير لقهر العدو الذي تَوَقَّعَهُ في الفرضية الاولى . ولكن يترتب عليه أيضا أن يعد كل التدابير للتغلب على الاعداء المصنفين بالتسلسل ، وما ينبغي عمله اذا لم ينفذ العدو الفرضية الاولى أو الثانية .

وفي حالة الدفاع : في وسع القائد أن يعد ما يفعله لمواجهة العدو رقم ١ ، ولكنه يعد أيضا كل التدابير الضرورية لمواجهة عدو الفرضيات الاخرى .

وأخيرا يسعى القائد جهده في الحالتين كي يملك امكانية مواجهة كل ما هو غير متوقع .

بهذا الشكل تتحدد فكرة المناورة ، في نهاية دراسة المهمة ، تبعا للعدو كما يراه القائد ، وتجسد النتائج التي يريد الحصول عليها .

ويمكن للقائد أيضا أن يحدد المعلومات الضرورية لادارة المناورة،ولن يكون لهذه المعلومات أي هدف سوى اعطاء طابع الاحتمال أو عدمه ، بشكل واضح قدر الامكان للفرضيات (للاحتمالات) التي وضعها ، وان يكتشف كل حركة غير متوقعة في الوقت الملائم .

الوسائط

يعرف القائد الآن ما يريد عمله . ويعرف أيضا كيف يريد أن يعمل . ولكن هنا يطرح سؤال هام ؟ ولكن هل يستطيع أن ينفذ ما يريد عمله ؟ وهل تسمح له وسائله بتحقيق الفكرة التي تخيلها وصممها ؟

ان دراسة الوسائل هي التي تجيب على هذا السؤال .

ولهذا يشرع القائد بتقدير مطالبه العملياتية ـ وشؤون مناورته الادارية ، كما أبدعها وصممها .

ويقارن هذه المطالب بامكانات الوسائل التي يملكها بأرقام عملياتية وادارية . وتقدر هذه المطالب في المستويات الكبرى باحتياجات أسلحة معقدة ، ووحدات من مختلف الصنوف (مشاة – دبابات – هندسة) ، وبحساب مطالب وحدات الاسناد بالنار التي ستبقى بين يديه لتوسيع عمل وحداته ودعمها ، وللمساهمة في أمن مناورته .

وتحسب مطالب الوحدات والعناصر الادارية التي ستجهز الوحدات المقاتلة بمطالبها الادارية .

فاذا كانت الوسائط متلائمة مع احتياجات المناورة التي يريد تحقيقها لن تكون أمام القائد هناك أية مشكلة .

واذا كانت هذه الوسائل غير كافية ، فانه يتوجه بطلب وسائل اضافية من المستوى الاعلى . فاذا رفض المستوى الاعلى تزويده بمطالبه، يترتب عليه مراجعة مناورته واعادة النظر فيها وايجاد وسائل اقتصادية أكثر .

وبالاضافة الى هذا نرى أنه نادرا ما تكون الوسائط كافية بشكل يحقق فيه الهدف النهائي بضربة واحدة . وهكذا يترتب على القائد أن يعمل على مراحل

متتالية محضرا أعماله المتتابعة والمترابطة بعضها ببعض ، أو المتوافقة بعضها مع بعض ، ويستهدف كل عمل منها هدفا جزئيا ويساهم في بلوغ الهدف النهائي . ويكون في وسعه عندئذ ، أن يعطي للمناورة ايقاعها في الزمان والمكان . وأخيرا ، يضطر القائد الى وضع ميزان القوى في بعض اللحظات من المعركة ، وفي بعض منعطفات المناورة ، بين قواته وقوات خصمه ليرى كم من القوات يستطيع خصمه أن يزج في الاماكن ذاتها ، وفي اللحظات ذاتها ، وعليه أن يجعل فيما بعد ميزان القوى لصالحه فيها في اللحظة المناسبة .

ومن مجموع هذا العمل التصميمي ، تتولد لدى القائد مناورة بسيطة ، تفصل استنادا الى فرضيات مصنفة (احتمالات مصنفة) :

- تظهر **الهدف النهائي** بوضوح
- تنتقي **مركز ثقل** القوات
- تحمي **أمن** مجموع القوات
- تتيح امكانات استخدام **خطط بديلة** وتعدها
- تحدد (شدة زخم) ايقاع الاعمال المتتالية ومداها ، وتؤمن استمرار ترابطها ، وتعد طرق المجابهة وامكانات المجابهة .
- تقدر الوسائط اللازمة وتوزعها طبقا للاثر الذي يريد القائد الحصول عليه من عدوه ، وتنظيم قيادتها ، ووضع مهام مرؤوسيه (الواجبات) .
- ويحدد أخيرا المعلومات الضرورية لادارة المناورة ، أي المعلومات التي تسمح اثناء التنفيذ بتأكيد أو استبعاد بعض الفرضيات أو اكتشاف أي تهديد معين يقوم به العدو ، وفي الوقت الملائم .

ويكون تصميم المناورة جيدا ، اذا ما توفرت فيه الشروط التالية :

١ - إذا كنا أقوياء قدر الامكان في المكان الذي نريد التغلب على الخصم فيه

٢ - اذا كنا نملك الحظ بمباغتة العدو ، واذا كانت تغطيتنا جيدة في الاتجاهات التي قد يتجه منها تهديد لم نتوقعه ، في الجبهة ، وعلى الاجنحة ، وفي المؤخرات ، وفي الاجواء .

٣ - اذا كنا لا نقدم لخصمنا أهدافا يسهل عليه تدميرها .

٤ - اذا كنا قادرين دوما من الحصول على أفضل مردود من وسائطنا .

تلك هي أهم المعايير لتقدير قيمة المناورة .

واجب هيئة الاركان والمرؤوسين الكبار عند وضع تصميم المناورة :

لقد حاولنا في الصحائف السابقة النفوذ الى الميكانيكية الفكرية للقائد الذي يصمم مناورته ويتخيلها .

غير أن مصلحة القائد دوما أن يستفيد إلى حد كبير من المعلومات العملية والتقنية لضباط أركانه ، وأهم مرؤوسيه .

ولمعونة ضباطه في اعداد المناورة أشكال مختلفة . فاذا كان القائد يملك وقتا كافيا منذ استلام المهمة (الواجب) وحتى لحظة تنفيذها ، ففي وسعه أن يستخدم الطرق التالية التي ينبغي في الحقيقة والواقع العملي ملاءمتها مع الاسلوب العملي لطريقة قيادة القائد ذاته .

لقد رأينا أن وضع التصميم يتم بشكل متدرج .

ورأينا أن الفكرة تولد أول ما تولد في ذهن القائد بصورة تصميم أولي (أو مسودة تصميم) .

وكي يضع القائد تصميمه الاولي بشكله النهائي ، قد يستعين في المستويات العليا بدراسات يطلبها من بعض ضباط أركانه ومن مرؤوسيه عن الارض . وعن امكانات العدو العامة قبالة مهمته (واجبه) وفي مواجهتها ، وعن ميزان الوسائط .

وانطلاقا من هذه المعطيات ومن معرفته بالوضع ، يُسَوِّدُ القائد تقدير موقف ذهني سريع يضع فيها تصميمه الاولي .

هذا التصميم الأولي هو الذي سيوجه دراسات واستطلاعات هيئة الاركان ، وكبار المرؤوسين . وتكون هذه الدراسات واضحة ودقيقة لأنها تستهدف مناورة محددة بخطوطها الكبرى ، ويعتبر هذا التصميم الأولي ورقة عمل أساسية تستند إليها أعمال المرؤوسين ، اعتباراً من المستويات العليا ، إلى آخر مسؤول وإلى أن تنفذ المناورة حتى نهايتها أو تبدل المهمة (الواجب) .

وتستهدف دراسات الاركان وضع المطالب (العملياتية) والادارية بالارقام ووضع العدو وميزان قواته . واحتياجات القائد من الوسائط والوحدات لتنفيذ المهمة المرسومة (الواجب) ، وامكانات الوسائط التي يملكها ، ومقارنتها مع الوسائط المعادية ، وموازين القوى فيما بينها : الموازين العامة ، والموازين المحلية في كل مرحلة من مراحل المناورة ، وتحديد شروط التحشد (التمركز) الاولية للوسائط في الزمان والمكان .

ويتلقى القائد ايضاحات من مرؤوسيه ودراسات عن وحداتهم الاساسية ، وعن أفضل السبل لاستخدام المدفعية أو الهندسة أو الطيران لتحقيق المهمة على أفضل شكل ممكن .

وبعد أن يأخذ علما بالدراسات المختلفة ، ويتحقق من استنتاجاتها على الارض أثناء الاستطلاعات التي قام بها هو وضباط أركانه وقياداته ، يكون في وسعه وضع تصميمه العام النهائي ، مستمرا في تحليله ومحاكمته للمواقف التي فككنا آليتها منذ قليل .

وبعد أن يضع القائد التصميم النهائي ، يبلغه الى مرؤوسيه بشكل توجيهات شخصية وسرية ، وتصبح هذه التوجيهات وثيقة عمل ، لا وثيقة لها طابع التنفيذ . وتعطى هذه التوجيهات أحيانا بصورة شفوية .

كيف يتم التخطيط

قبل أن يحقق المخترع آلة قد صممها ، ينبغي عليه أن يصمم خطة كل قطعة من قطعها . وقبل تنفيذ أية مناورة يصممها قائد من القادة . ينبغي أن تصمم خطة كل عمل من أعمالها المركبة .

وللعملية الحربية طابع تخميني (تقديري) يزداد عنصر الافتراض فيها كلما ابتعدنا عن نقطة البدء ، كما انها تتسم بطابع اللاتوقع والغموض .

وينتج عن ذلك ، انه اذا كان من الممكن وضع خطط كل آلة من الآلات فان من المستحيل بصورة عامة تخطيط سياقات كل عملية من العمليات الحربية قبل بدئها . ولكن ما ينبغي عمله كحد أدنى . من وجهة النظر العملياتية ، هو تخطيط المرحلة التمهيدية من العملية قبل التنفيذ .

وتتوضح فكرة القائد : أثناء التنفيذ ، ويتلاءم التخطيط العملياتي ويتطابق مع هذه الفكرة لتحويلها الى تدابير تنفيذية قابلة للتحقيق . والهدف الادنى الواجب تحقيقه هو أن يتم تخطيط المرحلة التالية في مختلف احتمالاتها (مناورات وخطط بديلة) عندما يعطي القائد قراره بالبدء في المرحلة الأولى .

ان التحضير « العملياتي » هو عمل متدرج اذن . يبدأ قبل العمل ، ويتتابع وضعه ويحكم ويضبط أثناء التنفيذ ، ويكون متقدما على التنفيذ دوما بما لا يقل عن مرحلة واحدة .

وينبغي أن يقرر القائد ترابط الاعمال المتتالية ، لكي يرتبط كل عمل من الاعمال بالعمل السابق في الوقت الملائم . بيد أن من الواجب أن يتم هذا التقرير بفاعلية جيدة .

ويحتاج القائد الى معلومات عن العدو كي يستطيع التقرير . ويترتب عليه

البحث عنها للحصول عليها ، لان هذا البحث يهم المناورة بكاملها .

ينتج عن ذلك أنه إذا كان من غير الممكن أن يمتد التخطيط «العملياتي» بصورة عامة الى المناورة بكاملها ، فان من الزم الضرورات أن يشمل تخطيط المعلومات العملية بكاملها .

وقد تظهر الحاجة ، أثناء التنفيذ ، الى مطالب جديدة من المعلومات طبقا لتذبذب أوضاع القتال . وهنا ينبغي أن تعدل خطط البحث عن المعلومات التي وضعت بصورة أولية ، كما ينبغي أن تتم . ولكن اذا كان استجلاء لعبة العدو ضروريا للمناورة كلها ، فان من الضروري أيضا أن لا نكشف لخصمنا خطتنا الخاصة وذلك باتخاذ بعض التدابير التي تستهدف خداعه واخفاء ما نريد عمله ، ومحاولة اقناعه باننا نريد القيام بعمل آخر غير العمل الذي نريد القيام به فعلا . وتشكل هذه التدابير أساس خطة الخداع ، التي تمتد الى المناورة بمجموعها ، كخطط المعلومات .

وأخيرا لكي تتم العملية دون حدوث ثغرات فيها ينبغي أن تخطط اداريا ، أي من زاوية مطالبها الادارية . ويكون التخطيط الاداري عميقا وشاملا وأبعد من التخطيط «العملياتي» ، اذ يشمل التخطيط الحصول على المعلومات ، وخطة الخداع التي تشمل المناورة بكل امتداداتها وسعتها .

ويترجم التخطيط كله بشكل خطط للعمليات :

– خطط تشمل العدو ، وخطط الخداع والتمويه .

– خطط ادارية «لوجيستية» (تموين ونقل واسكان القطعات) .

ومن بين الخطط «العملياتية» يمكن أن نذكر :

– خطة المناورة (أو خطة التعاون كما يسميها السوفييت) وهي الوثيقة الرئيسية للتخطيط . وتشمل العمليات والخطط الاخرى الناجمة عنها . ولخطة المناورة فروعها العملياتية أو التعبوية والادارية التالية :

- خطة التمركز (التحشد) .
- خطة تحصين الارض
- خطة النيران
- خطة الاستطلاعات
- خطة الهجمات المضادة (المقابلة) .
- خطة الاتصال والارتباط (خطة المواصلات) .

ومن بين الخطط المتعلقة بالعدو يمكن أن نذكر :

- الخطة الخاصة بالمعلومات } او خطة جمع المعلومات
- خطة البحث عن المعلومات }
- خطة التمويه وخطة الخداع .

وأخيراً لنذكر بعض الخطط الادارية :

- خطة نشر المصالح الادارية (انفتاح الخدمات الادارية) . (•)
- خطة الاعاشة والامداد (خطة الادارة في الميدان) . (•)
- خطة السير (خطة السير والسيطرة على السابلة) . (•)
- خطة النقل والتحركات (خطة التنقل) . (•)

ولا يمكن تحديد جدول هذه الخطط ، فعددها يرتبط بشكل العملية وطبيعتها .

وفي بعض المستويات من الممكن دمجها بخطة واحدة . كما اننا لا نحتاج اليها أبدا في المستويات الصغرى .

ولا ينبغي أن يكون هناك أي اختلاف أو تباين بين هذه الخطط ، فهي تشكل كلا متماسكا ومنسجما ، وتتداخل بعضها مع بعض . ولا يجوز أن

• التعابير الثانية مستخدمة في الجيش العراقي .

تقام الحواجز بين مختلف عناصر التخطيط (المكاتب والادارات)[1] لان التخطيط في أساسه عمل جماعي من مسؤولية ضباط الاركان . ويحتاج الى معلومات تكتيكية (تعبوية) وادارية واسعة ومؤكدة .

يبقى أمامنا بعض الملاحظات عن التخطيط

وأول هذه الملاحظات ، أن المستويات التي تقل عن مستوى الفرقة لا تملك المهل الزمنية اللازمة للقيام بتحضير وتخطيط دقيقين . ولا يتم مثل هذا التخطيط عادة إلا بدءا من مستوى الفرقة . وثانيها أن التخطيط لا يؤدي الى جمود في التنفيذ لانه لا يشكل الا توقعا . وعلى العكس ، فان التخطيط يسمح بالمرونة والسرعة لان الاوامر التي نضجت في التأمل والتفكير تصدر عنه بسرعة .

– فمن خطة المناورة تنبع أوامر العمليات .

– ومن خطة البحث عن المعلومات ، تنبع الطلبات وأوامر استقصاء المعلومات .

– ومن خطة التحركات تنبع أوامر الحركات والتنقلات الخ ..

كيفية الادارة

بعد أن صممت المناورة ، أصبحنا نعرف ما نريد أن نفعل وكيف نفعل بالرغم من العدو . ونعرف الضربات التي ننوي توجيهها اليه ، لأننا قدرنا التهديدات التي يمكن أن تنجم لمنع تحقيق المناورة ، وأعددنا ردود الفعل الملائمة لها . وعلى المناورة المصممة أن تسمح بدحر العدو الذي اعتبرناه أخطر الاعداء في الفرضية التي تبنيناها . وينبغي أن تسمح المناورة أيضا بضرب العدو المفترض في بقية الفرضيات اذا ما لعب احداها .

---

(١) او الدوائر والمديريات في الجيش العراقي .

وتعد الخطط البديلة ، فيما لو تبدى خطأ تصنيف الفرضيات التي وضعت بصورة أولية .

ويتم دفع اعداد المناورة وتحضيرها فيما يعد الى أقصى ما يمكن تبعا للمهل التي نملكها . ولكننا بقينا حتى الآن على المستوى الفكري في مجال التوقعات .

وننتقل الآن الى التنفيذ مع متابعة خط السلوك الذي رسمه القائد لنفسه ، بمرونة وحكمة ، وبفكر تطابقي ليعدل بعض الاوضاع طبقا لظروف ملائمة ، أو مضطرا اذا وجد أن هناك فرقا كبيرا ، في بعض الاوقات بين وضعه الجديد وبين تصميمه الاولي .

وقد رأينا أن ادارة المعركة أو المناورة تتم بقرارات متتابعة يستهدف كل قرار منها مرحلة تنفيذية اعتبرت قابلة للتنفيذ دون تبديل كبير .

ولكن كيف نقدر أن هذه المرحلة العملية قابلة للتنفيذ دون تعديل كبير ؟ والجواب على ذلك ، اذا قدرنا أن العدو ذاته لن يملك امكانات التبديل الكبيرة طيلة مرحلة عملنا ، زمناً ، ومجالا (مدى) .

وهكذا نرى أن مدى القرار لن يكون كبيرا جدا ، وعلى سبيل المثال ، فان الفرقة تقاد يوميا ، أي هناك قرار واحد فقد . يصدره قائدها كل أربع وعشرين ساعة .

وعلى مستوى المجموعة التكتيكية (التعبوية) لا يوجد أكثر من قرارين في اليوم الواحد ، وعلى مستوى الكتيبة هناك ثلاث أو أربع قرارات يوميا .

وتحول القرارات إلى أوامر . ومن المعروف أيضا أن القائد قد يضطر الى اتخاذ قرارات ثانوية أثناء التنفيذ ، لاحكام وضعه وتقويمه وملاءمته مع التدابير الاخرى التي تزج بالنيران وبوحدات الاحتياط .

ولكن عندما يتخذ القائد قراره . يتخذ الضمانات التي تسمح له بالحفاظ

على حرية عمل كافية للسماح بلعبة سهلة تم ضد كل الفرضيات للجزء التالي من معركته أو مناورته ، أو لخططها البديلة ، ولمواجهة كل ما هو متوقع .

ونجد هذه الضمانات :

– في الترتيب أولا

– وفي المعلومات ثانيا

ولندرس أخيرا بالتفصيل دور المعلومات .

رأينا أن القائد يحدد ، على مستوى التصميم المعلومات الضرورية ليقود مناورته ، أي يتخذ قراراته المتتالية . ويعتبر هذا التعريف هاما جدا ، لان القائد يملك المعلومات التي يستحقها بتوضيح مطالبه منها .

وعندما تتلقى ادارة الاستخبارات [1] احتياجات المعلومات تقدمها اذا كانت تملكها عنداتخاذ القرار ، وذلك بتقديم لوحة كاملة عن وضع العدو كما تعرفه هي . ويتبدل هذا العدو ويتطور كلما ابتعدنا عمقا في الزمان ، والمكان .

وبما أن المعلومات التي يطلبها القائد تتعلق بعدو مؤقت يقابل وضعا معينا يحتاج الى قرار ، فان هذه المعلومات تشكل فرضية موحدة عن العدوّ . وهكذا نرى أن القائد يدير ويقود معركته ومناورته بناء على المعلومات . ولكن ينبغي أن نضيف إلى أن القائد سيبقى عاطلا عن أي فعل إذا انتظر معلومات كاملة عن خصمه ليقرر . وعليه دوماً أن يحسم الموقف بالرجوع الى تصميمه على أن لا يفقد هدفه من معركته ، مع متابعة مناورته الى نهايتها .

وإن كل ما قلناه حتى الآن يتعلق بالتنفيذ المتطابق مع التوقعات . غير أن ما لا نتوقعه هو القاعدة الاساسية في الحرب . فقد تبدو التوقعات التي وضعناها

---

(١) ينزل البريطانيون الى مستويين عند تقدير المهمات (الواجبات) والى مستوى واحد عند اصدار اوامر العمليات .

خاطئة وغير كاملة . وقد لا تصل المعلومات التي طلبناها في الوقت الملائم . وقد نحس بظهور وضع غير متوقع ، ونفاجأ . وفي هذه الحالات لا بد من اتخاذ قرارات فورية . فالقرار في مواجهة المجهول مسألة انعكاس ورد فعل ، لان من الضروري أن نرد بسرعة بكافة القوى التي نملكها ، لنخنق التهديد في مهده . ولنشله قبل أن يستفحل خطره .

ان غير المتوقع هو محصلة فرضية لم نرها ، أو حللناها بصورة سيئة . وعلى أساسها ينبغي على القائد أن يتخذ قراره فورا .

ونادرا ما تحسم الفرضيات في الحرب على أساس « متوقع أو غير متوقع » . فنحن لن نملك عن العدو معلومات كافية كما أن المرؤوسين سيطلبون النجدة في أوضاع أقل سوءًا مما يتصورون ، وسيصرخ مرؤوسون آخرون معلنين أنهم انتصروا على حين يكون وضعهم أقل ثباتا مما يعتقدون ، ويحس القائد بالجهل التام لما يجري حوله .

وتتداخل التراتيب الصديقة والمعادية في المعركة الى حد كبير . وتتواصل التهديدات . ويختلط الامر بين المتوقع وغير المتوقع .

هذا هو الموقف العام الذي ينبغي أن يقرر القائد وسطه . وارادته وحدها هي التي تلقي الضوء ، وتوضح المواقف وسط هذا الغموض والاختلاط .. فبعد أن يحددطريقهبوضوح، يقودمعركته بقرارات بسيطة وواضحة كضربات مستقيمة ليس فيها تردد ، يحافظ من خلالها على سبيله الذي لن يحيد عنه ولن ينحرف الا مضطرا أو لكي يحقق هدفه بسهولة أكبر .

ولكي يتخذ القائد قراراته ، يساعده مرؤوسوه وهيئة أركانه ، اذ يقدمون له معطيات تسمح له بتوضيح أفكاره التي كونها عند التصميم على الارض . وأفكاره عن امكانات خصمه ، ومردود وسائله .

ومتى اتخذ القرار تحول الى أوامر واضحة ودقيقة .

وقد اعتاد السوفييت في أوامرهم النزول مستويين في القيادة ليصدقوا على أوامر مرؤوسيهم بما يتفق مع قراراتهم ، أما الفرنسيون فلا ينزلون الا مستوى واحدا ويتركون حرية العمل ، ضمن اطار الواجب المعطى لمرؤوسيهم [١] . وينبغي تحاشي التفصيلات التي لا فائدة منها ، على أن لا نهمل ايضاح ما ينتظر من المرؤوسين في تطور المناورة العامة . فبمثل هذه الايضاحات يستطيعون التصرف ، حتى ولو كان الوضع المحلي غير متوقع على الاطلاق .

الاستنتاج

هذه الطريقة هي واحدة من طرق القيادة المطبقة في الجيش الفرنسي . توصلوا اليها بعد دراسة وثائق الحرب العالمية الثانية ، وبعد دراسة الاسلوب العسكري الذي اتبعه النازيون في الحرب . وهي طريقة شبيهة بما هو متبع في معظم الجيوش الحديثة ، وتدرس بصورة رسمية في كليات الاركان ومدارس الحرب العليا . وهي أسلوب في التفكير تشترك فيه كل الجيوش [٢] .

— هذه الدراسة مستقاة أساساً من نشرات كلية الاركان الفرنسية .

— ينزل البريطانيون الى مستويين عند تقدير المهمات (الواجبات) والى مستوى واحد صدار أوامر العمليات .

الفصل العاشر

القائد والمعلومات

لا يستطيع القائد اتخاذ أي قرار استراتيجي أو (سوقي) تكتيكي (تعبوي) الا بعد دراسة العوامل الاربعة التالية : المهمة أو الواجب ، البيئة وبمعنى آخر الارض ، الوسائط او قواتنا ، والعدو .

ويحتاج القائد الذي تلقى مهمة من المهام الى معلومات عن الخصم الـــذي سيواجهه . ولن يكون العدو الذي سيواجهه القائد في مرحلة معينة الا جزءا من العدو العام . وهكذا لن يكون تطور العدو الذي ينبغي أن يأخذه القائد بعين الاعتبار الا لحظة في التطور العام للعدو وقواته . فالقائد لا يواجه كل قوات العدو في لحظة من لحظات المعركة ، وانما يواجه جزءا منها ، غير أن هذا الجزء هو واحد من كلٍ كامل ومترابط .

ومن المعروف أن من النادر أن يبدأ أي عمل عسكري عند اتخاذ القرار لكي يحصل هذا العمل على التأثير المطلوب . فهناك دوما مهل زمنية بين اعداد العمل العسكري ، والبدء به ، وبين البدء بالعمل والحصول على الاثر المتوخى منه . ولكن عندما يتخذ القائد قراره ، يتخذه استنادا الى عدو معين ، قدَّرَه وقدَّرَ امكاناته في لحظة الاعداد . غير أن الأثر المتوخى من العمل سيتحقق ضد عدو تبدل وتطور وأصبح العدو المواجه للحظة اتخاذ القرار الحاسم . أي

أنه لا بد من تحقيق الاثر المطلوب ضد العدو بعد يومين أو ثلاثة أيام أو عدة أشهر ، من اعداد العمل ضده . **ينتج عن هذا أن من واجب القائد معرفة العدو المقبل أكثر من العدو الحاضر** [١] .

وهكذا نرى أن القائد لن يحتاج الى معرفة العدو الحاضر الا اذا كان يعد عملية عسكرية سينفذها ضده فورا . وينتج عن ذلك أيضا أن **لمعرفة المهل الزمنية التي يستطيع الخصم أن يعمل خلالها ، أهمية أساسية أيضا .** وتشكل مقارنة المهل المتوقعة للاعمال الصديقة والمعادية ، في غالب الاحيان ، ان لم نقل دوما ، العامل الاساسي في اختيار القرارات . .

ويحتاج القائد دوما الى **معرفة المعلومات التي تؤدي الى تعديل قراره والتأثير عليه .** وينتج عن ذلك أخيرا أن القائد سيحتاج الى معرفة كيفية تطور العدو ، **قبل اتخاذ قراره ،** طيلة مدة تنفيذ عمله . ومن هنا تنبع الاهمية الاساسية التي ينبغي أن **تعطى للخطة التي** ينبغي تزويد القائد بالمعلومات فيها عن تطور عدوه

وستقتصر هذه الدراسة على حاجات القائد للمعلومات أثناء العمليات ونشاط الادارات المختصة بذلك .

معرفة العدو ومهمات ادارة المخابرات [٢]

« بما أن القضاء على الخصم هو الهدف النهائي للمعركة ، فان معرفة العدو في المستويات الاستراتيجية (السوقية) ، تشكل أحد العناصر الرئيسية لقرار القائد .

وتسهل معرفة العدو تنفيذ هذه المهمة الى حد كبير ، في المستويات التكتيكية (التعبوية) ، حيث يرتبط القائد قبل كل شيء بمهمته .

---

(١) عامل العدو : العقيد آ. آشارد جيمس – منشورات برجيه لوفرو (بالفرنسية) .

(٢) تسمى في بعض الوحدات الكبرى والجيوش ادارة الاستطلاع وتتبع هيئة العمليات مباشرة – ويستخدم الفرنسيون تعبير المكتب الثاني أو الشعبة الثانية . ويستخدم الجيش العراقي تعبير الاستخبارات .

وتشكل هذه المعرفة اذن شرطا ضروريا من شروط النجاح في كل مستويات القيادة »[1] .

والآن لنتساءل ما هي المهام التي تنتج عن ذلك بالنسبة لادارة الاستطلاع أوادارة الاستخبارات (المكتب الثاني او الاستخبارات في بعض الجيوش) .

ينتج عن ذلك أن تبدأ احدى الادارات الرئيسية في هيئة اركان القائد وهي ادارة الاستطلاع (الاستخبارات) المكلفة بجمع المعلومات عن العدو مهمتها لتزويد القائد بالمعلومات المطلوبة . وتختلف هذه المعلومات طبقا للزمان والمجال اللذين يحددان المهمة ، وطبقا لنوع المهمة (الواجب) اذا كانت هجومية أو دفاعية . فاذا كانت مهمة القائد هجومية كانت مطالبه من المعلومات متعلقة بالوحدات المعادية الموجودة في مواجهته ، وأعمال التحصينات ، والحواجز والسدود المنسقة عمقا داخل عمق الموقع المعادي . واذا كانت مهمته دفاعية ، تنصب مطالبه من المعلومات على ترتيب العدو الهجومي .

فلكل مهمة تعبوية (تكتيكية) للقائد ، مهمة خاصة لادارة الاستطلاع (الاستخبارات) تتضمن التفتيش عن المعلومات الخاصة بمهمته ذاتها . ومع ذلك ينبغي على ادارة الاستخبارات أن لا تنتظر تحديد المهمة كيما تبدأ بجمع المعلومات الضرورية للقائد ، لأنها لو انتظرت تحديدها ، لغامرت بأن تتجاوزها الاحداث ، وأن لا تلبي حاجات القائد ومطالبه من المعلومات في الوقت الملائم .

ولهذا ينبغي أن تقوم ادارة الاستخبارات (الاستطلاع) بجمع المعلومات بصورة دائمة وأن يكون حب الاستطلاع لديها واجبا مهنيا ، ومهمة عامة ،

---

(١) التوجيهات المؤقتة عن المعلومات في العمليات – ابريل (نيسان) ١٩٤٨ الجزء الاول – الباب الاول – الفصل الاول (بالفرنسية) .

كيما تكون قادرة على القيام بمهماتها الخاصة بصورة منهجية .

ولكن ينبغي أن لا ننسى أن جمع المعلومات عن العدو عمل صعب وشاق ، فمن الصعب معرفة عدو يتطور باستمرار ويبذل كل جهوده لاحباط مخططات خصمه ، ودفعه الى ارتكاب الاخطاء . فاذا ارادت ادارة الاستخبارات معرفة العدو بصورة صحيحة ، ينبغي أن تحتفظ بروح الحقيقة . ولمعرفة العدو خاصتان اساسيتان هما :

١ ـ ما إن نحصل على خبر ما عن العدو ، حتى يصبح هذا الخبر قديما ، وتافها ، ولا أهمية له .

٢ ـ ان الخبر الذي يصل الينا خبر غير كامل . أو ان الادارة المختصة بمعرفة العدو لا تستطيع أن تؤكد وثوقه ، وتتحقق من صحته .

احتياجات القائد من المعلومات :

يقوم القائد بين اللحظة التي يتلقى فيها مهمته واللحظة التي ينهي تنفيذها بعدد من الخطوات الفكرية . وينبغي اتباع هذه الخطوات اذا أردنا تحديد قيمة الاعتبارات عن العدو ، ومطالب القائد واحتياجاته من المعلومات

١ ـ الخطوات الفكرية للقائد

أ ـ التصميم الاولي ، والتصميم النهائي (للمعركة)

تسبق الفكرة كلَّ عملٍ من الاعمال . ويخضع العمل العسكري ككل نشاط بشري آخر لهذا القانون . فقبل أن يشرع القائد بتنفيذ أية مهمة من المهمات ، لا بد له من تصور مناورته بمجموعها .

ويتم العمل الفكري الذي ينتهي باعداد التصميم خلال مرحلتين : في المرحلة الاولى ، يختار القائد فكرة المناورة التي ستلهم العمل ، أو بعبارة أخرى ، يحدد الهدف الذي ينبغي تحقيقه (الغاية) ، ويرسم المسلك الذي ينبغي التمسك

به لتحقيق هذا الهدف . ثم يعين لكل منفذ المهمة والوسائل التي سيضعها تحت تصرفه . وهذا ما سميناه **بالتصميم الاولي** أو مسودة التصميم .

ويستطيع القائد في المرحلة الثانية اعادة النظر في فكرة مناورته اذا اقتضت الظروف ذلك، ولكنه يحرص بصورة خاصة على تحديد تفاصيل التنفيذ بدقة ، مستعينا بالدراسات التي أعدها له معاونوه ومرؤوسوه الكبار ؛ ويحدد بصورة خاصة وبالضبط مهام كل فرد وتأليف مجموعات القوى المختلفة (التجحفل) وهذا ما نسميه « **بوضع التصميم بصورة نهائية** » .

° ° °

ان القائد لا يختار مهمته في المستويات التعبوية (التكتيكية) : فهو لا يتمتع اذن ببديهة واسعة في تحديد هدفه . والهدف الوحيد الممكن بالنسبة اليه هو تحقيق المهمة التي أوكلت اليه .

وسيحقق القائد هذا الهدف اذا تمركزت مجموعاته التعبوية (التكتيكية) أو مجموعات قواته على الارض ، في فترة زمنية محددة ، في ترتيب يؤمن تحقيق المهمة (الواجب) . وهكذا نرى أن القائد يحدد هدفه لنفسه آخذا مهمته والارض التي ستنفذ عليها بعين الاعتبار .

وتقود دراسة المهمة ودراسة الارض القائد الى مدى بعيد أيضا . والواقع ، ان المستوى الاعلى قد فرض عليه في الزمان والمكان بعض القيود في التنفيذ عندما أوكل اليه المهمة . فالمهمة والارض لا تكفيان لتحديد مسلك القائد . كما سيجد القائد بعد دراستهما أنه لا يملك حق الاختيار الا بين عدد محدد من الحلول .

وتصبح المشكلة بالنسبة اليه هي مشكلة المقارنة بين مزايا المواقف المختلفة الميسورة أمامه ، ليتبنى أفضلها إذا أمكن . وتعني كلمة أفضل هنا المسلك الذي

يملك أفضل فرصة في النجاح ، أي المسلك الذي يستطيع احباط مناورة العدو ، وسد طرق النجاح أمامها . ولكن هنا نتساءل من يستطيع منع مناورة القائد من الحصول على النجاح ، ومن يستطيع احباطها ؟

هنا يتدخل العدو في تقدير القائد وتحليله . ولو كان القائد يعرف مسبقا ما يستطيع العدو القيام به عندما تحين الفرصة ، لما تعرض هذا القائد لعناء كبير في تقدير فرص نجاح مختلف المسالك الممكنة .

ولكن من المربك أن العدو ليس معروفا تماما ، وأنه معروف بصورة محدودة في الحاضر . وينطبق هذا الوضع بصورة أكثر على العدو في لحظة الاشتباك (في لحظتي الدفاع أو الهجوم الحاسمتين) . ويبقى عمل العدو في المستقبل بالنسبة للقائد في حيز الفرضيات .

ومما لا شك فيه أن القائد يجد نفسه في موقف حرج ، ولديه الباعث للمغامرة بالكل من أجل انقاذ الكل ، واسناد اختياره على مجرد تشخيص لاعمال العدو الممكنة . ولكنه يظهر بعض الشكوك والتردد بصورة عامة ، فيناقش كل المواقف الممكنة ، وبدلا من أن يتنبأ بمواقف العدو ازاءها ، يفضل التساؤل عن مشروعات العدو التي يستطيع احباطها ، ويقوم بالتقدير والتحليل كما لو أن العدو يملك سلطة تنفيذ كل هذه المشروعات . والخلاصة بدلا من أن يقوم القائد بتشخيصات عرضية ، يعبر عن الاهتمامات التي يوحي له العدو بها لنجاح المناورات المختلفة التي ينوي القيام بها ، ويعتبر هذه المناورات مرغوبا فيها عندما تسبب له اهتمامات أقل .

ان مثل سياق التفكير هذا لا يفاجيء ولا يدهش ، لأنه ليس احتكارا للقائد أثناء العمليات ، فكل الذين يقومون بأعمال البحث والتحري يعرفون هذا الاسلوب : فهو اسلوب التحليل على أساس الفرضيات .

وعندما يقبل القائد قدرة العدو على مواجهة مناورة من مناوراته بالقيام بعمل من الاعمال ، يضع عندئذ فرضية عن العدو .

وهكذا فانه يضع لكل مناورة ممكنة عددا من الفرضيات التي تقابلها ، والتي يتصور أنها مشروعات مضادة (مقابلة) يقوم بها العدو لاحباط هذه المناورة .

ومع كل هذا ، لا تتمتع كل الفرضيات عن العدو بنفس درجة الخطورة بالنسبة اليه : فبعضها يعرضه لمجرد الفشل في حين تعيق الفرضيات الاخرى مناورته . ويشكل هذا التسلسل في اهتمامات القائد ما اعتيد على تسميته **بتصنيف الفرضيات** . والذي تحدثنا عنه في فصل القائد والفرضيات . وينصب اهتمام القائد الاساسي على الفرضية رقم ١ ، في حين تقل اهتماماته تدريجيا في الفرضيات الاخرى . ومن الناحية النظرية ، يطابق كل مناورة من المناورات عدد معين من الفرضيات ، وتصنيف محدد لها ، ولكن الفرضيات ذاتها تلائم في الغالب عدة مناورات قريبة بعضها من بعض .

ومن الطبيعي أن يفضل القائد اتباع المسلك الذي يملك أفضل فرصة في قيادته الى الهدف لتحقيقه في كل الفرضيات ، ولكن لا يمكن حساب احتمالات نجاح المناورة التي يرسمها القائد بصورة رياضية كاحتمالات اللعب بالورق . فلكي يحكم القائد عمليا على قيمة مناورة من المناورات ، يعود الى تصنيف الفرضيات . وأفضل المناورات بالنسبة اليه هي التي تجابه اهتمامه الاساسي بصورة أفضل ، وتعطيه أفضل ضمانة لسحق عدو الفرضية الاولى .

ومع ذلك ، فان على القائد قبل أن يتبنى نهائياً مسلكاً محدداً ، أن يضع جدولا احصائيا بامكاناته ، وأن يتبنى المسلك الذي يبدو له أنه أفضل من غيره ، استنادا الى طبيعة الوحدات التي يملكها ، أو يضطر الى الانكماش في موقف أقل وثوقا ولكنه اقتصادي أكثر .

ويختار القائد بعد دراسة وسائطه فكرة المناورة ، أي أنه يحدد الاهداف المتوسطة التي ينبغي بلوغها ، وطبيعة هذه الاهداف ، والمحاور ، والتوقيت ،

والاهداف الجزئية للجهود الواجب بذلها في سبيل تحقيق الهدف النهائي .

ولا يبقى أمام القائد بعدئذ الا ترجمة فكرة مناورته بتعابير تنفيذية . ولهذا يحدد لمرؤوسيه المهمات ويوزع عليهم الوسائط . وتقوده فكرة المناورة في عمله ، ولكن العدو يلعب في هذا التوزيع أيضا دورا حاسما .

والحقيقة ، كلما كان العدو الذي سيواجهه أحد المرؤوسين قويا ، كانت الوسائط التي ستعطى له كبيرة ، أو كلما كانت مهمته متواضعة .

وبما أن من واجب المرؤوسين الذين سيجابهون عدو الفرضية الاولى أن يسحقوا هذا العدو ، لان تلك المهمة مهمتهم وليست قابلة للبس أو الغموض ، فان القائد يبدأ بحساب الوسائط التي ينبغي أن تتاح لهم بصورة واسعة .

وبعد أن يحدد القائد وسائط المهمة الرئيسية ، يوزع الوسائط الباقية لديه على المسؤولين الآخرين . وهنا ينبغي عليه أن يضيق طموحه الاولي طبقـا للوسائط التي يملكها ، وأن يخفف من قوة عمل التغطية . وقد يضطر أحيانا ، نظرا لفقر وسائطه الى تحويل عمل تأخيري كان ينوي القيام به الى مجرد مراقبة بسيطة لقوات العدو .

ولكي يحدد القائد مهمات مرؤوسيه ، ويوازن الوسائط التي ينبغي أن يوزعها لا يكتفي بتصور فرضيات العدو المضادة لمناورته ، بل يتصور بالتفصيل كيف سيجابه عدوه كل عمل من أعماله ، حتى أنه يقدر حجم القوى والوسائط التي ستتألف منها كل مجموعة من مجموعات العدو .

ويفرض الحذر على القائد أن يجعل تصميمه مرنا **وأن يعد مسبقا خططا بديلة** لموقفه للتلاؤم مع أي موقف جديد قد يطرأ على تصنيف فرضياته ، ولكي لا يتحول عن هدفه النهائي (غايته) وسط نيران المعارك ، وحقائق القتال . وهذا يعني أن يكون قادرا على تغيير محور جهده أثناء المعركة ليواجه تهديدا قام به العدو ، هذا التهديد الذي كان قد أساء تقدير قيمته في البدء .

الحقيقة . يحتاج مثل هذا العمل الى مهلة زمنية . وقد يكون الوقت المطلوب في مثل هذه الحالة مديداً جدا . وبما أن القائد يحقق بعض الاقتصاد في وسائطه في مواجهة الفرضيات الثانوية ولا يحدد في مواجهة هذه الفرضيات الا مهمات [1] متواضعة جدا . اذن ينبغي عليه أن يحرص على أن تكون هـذه المهمات قادرة ، كحد أدنى ، على اتاحة المهل الزمنية الضرورية لتنفيذ خططه البديلة التي صممها في خطة مناورته . واذا لم يكن هذا الشرط قابلا للتحقيق، أصبح القائد أمام الحلين التاليين : اما قبول المخاطر في مواجهة عدو الفرضيات الثانوية ، أو قبول الضعف في مواجهة الفرضية الاولى . وهنا ينبغي أن لا ننسى أن القائد قد قبل ، عندما حدد عدوه في الفرضية الاولى ، الاشتباك في معركة حاسمة ضده . فاذا ما لجأ الى تخفيف هذه الوسائط لمعركته الحاسمة ، أساء الى احتمالات نجاحه .

وهكذا نرى أن عملية التصميم عملية دقيقة جدا . لا يقوم بها القائد الا تدريجيا . وبعد دراسات تتم على الارض . ولكي لا يقع القائد في أي خطأ يضع مسودة التصميم ، ويبلغها لمعاونيه ومرؤوسيه الكبار ، ويتيح لهم الوقت الكافي لجمع العناصر الضرورية والكافية لوضع هذا التصميم في صورته النهائية .

ولا يتخذ القائد قراره في نهاية المطاف الفكري الذي قام به الا عندما يتأكد له نوع من التطابق بين الفرضيات التي صممها وبين المسلك المقبل للعدو . فالقرار الذي يتخذه قرار تنفيذي ، ولا يمكن نقضه ، ولا يشتمل على خطة بديلة . ولهذا لا يستطيع القائد عند اتخاذ القرار الاكتفاء بتصور مشروعات العدو التي يستطيع أو لا يستطيع تنفيذها . انه مدعو في حالة اتخاذ القرار الى تحديد ما يتوقعه من جانب العدو وبدقة طيلة الفترة الزمنية المحددة له ، وفوق

---

(١) المهمة تعني الواجب في الجيش العراقي .

قسيمة الارض (قاطع) التي يستهدفها قراره .

وبوسعنا أن نقول ان اتخاذ القرار يتم على تبني فرضية واحدة . وهنا ينبغي أن لا نخلط بين هذه الفرضية وبين فرضيات التصميم ، التي تختلف عنها تمام الاختلاف من زاويتين : أولا ، ان فرضية القرار منصبة على عدو أصغر ، وعلى أعمال معادية تتم في زمن قريب ، وغالبا ما تكون أعمالا فورية ، الامر الذي يعطي لهذه الفرضية طابع التشخيص ، في حين تنصب فرضيات التصميم على احتمالات بعيدة الى حد ما . ومن ثم ، فان القائد عندما يتخذ قراره ، يستطيع أن يتوقع عملا أو عدة أعمال من جانب العدو ، داخلة في اطار احدى فرضيات التصميم ، أو عدة فرضيات منها .

ومع كل هذا يبقى عامل الشك وعدم اليقين عاملا ثابتا في كل مسلك للقائد. فعندما يتخذ القرار بتنفيذ جزء من مشروع مناورته ، يحتفظ لنفسه بامكانية اتخاذ عدة قرارات أثناء التنفيذ ، حسب تطور الاحداث . ويستطيع بهذا الشكل تقييد تنفيذ بعض المهام (الواجبات) وايقاف بعض الرمايات ، وتحويل مهام بعض الوحدات .

وهنا لا بد من التمييز بين نوعين من القرارات : فبعضها يستهدف جزءا من المناورة ، والبعض الآخر يستهدف أعمالا محددة ينبغي القيام بها فورا أثناء القتال .

وتسمى القرارات الاولى القرارات الاساسية أو القرارات الكبرى ، وهي التي توزع على المرؤوسين بشكل أوامر تصدر عن هيئات العمليات . أما القرارات الاخرى فتسمى القرارات الثانوية أو قرارات التنفيذ الفوري [1] ،

(١) او القرارات التكميلية او الفرعية او التفصيلية في بعض الجيوش .

والتي يشار اليها في القرارات الاساسية ، فتعطى للمنفذين بصورة موجزة وبأسرع الوسائل ، شفويا ، أو بالرسائل البرقية للمعركة .

وقد يتصور البعض من كل ما سبق ، أنه لا مكان في العمليات لما هو غير متوقع ، وأن العدو يعمل دوما ضمن اطار الفرضيات ، وان القيادات تضع كل الاحتمالات ، وان القائد يفصلها كلها في تصميمه . ان التصميم يرمي الى توقع كل ما يمكن التنبؤ به ، ولكن الاعمال غير المتوقعة هي القاعدة في القتال . ويتميز القائد الحقيقي عن القائد غير الحقيقي بدمه البارد وسرعة انعكاساته العقلية .

تعريف الفرضيات :

قيل فيما سبق أن فرضية التصميم هي الفرضية التي تعالج مشروعا يقوم به العدو ، ويعتبر ممكنا ، ويسبب للقائد قلقا في نجاح مناورته .

ان تعبير « مشروع العدو » تعبير عام . وهو يشير في الوقت ذاته الى مناورة تسلل تقوم بها سرية معادية ، كما يشير الى هجوم كثيف لفرقة أوعدة فرق معادية . ولكن مشروع العدو الذي نقصده هنا هو جزء من خطة أوسع وضعها مستوى عالٍ جدا ، تشمل كل المشروعات المتواضعة للمستويات السفلى (الدنيا) . وينبغي أن يكون القلق الذي يسببه أي مشروع للعدو متناسبا مع المستوى الذي يعمل فيه القائد .

وبوسع القائد ، عندما يضع تصميمه ، أن يتبنى فرضية واحدة شاملة لكل مشروعات العدو . فقد يعبر عن الفرضية الاولى قائلا : « بوسع العدو أن يهاجم على كل الجبهة ... » وبوسعه أن يقول أيضا : « بوسع العدو أن يدافع في كل عمق قاطعه الدفاعي ... » ولكن ما فائدة مثل هذه الفرضية ، فهي لن تسمح باتخاذ موقف محدد . ولا يستطيع القائد استيعاب المشاكل التي تعترضه

الا بتقسيم مناورة عدوه ، وتفصيل فرضيته عنها .

يدفعنا كل هذا الى تبني التعريف التالي لفرضيات التصميم :

« ان فرضية التصميم افتراض يستهدف كل الاعمال المعادية التي لا يمكن استبعاد امكانية وقوعها ، والتي تسبب للقائد ، خلافا لما تسببه الفرضيات الاخرى ، شاغلا واحدا لتنفيذ مناورته في المستقبل » .

اما تعريف فرضية القرار ، فقد أشرنا اليها سابقا ، ولكن نعود اليها هنا مع بعض الايضاحات :

« ان فرضية القرار افتراض يستهدف كل أعمال العدو التي يستعد القائد لمواجهتها ، طيلة مدة القرار وفي الارض التي يستهدفها »[1]

احتياجات القائد من المعلومات :

ترتبط المعلومات بالقرار بصورة وثيقة ، وبطبيعته وباللحظة التي يتخذ بها وبالجزء الذي يعطى فيه لعامل العدو . والقائد المسؤول عن العمل ، هو وحده الذي يضع جدول اسبقيات المعلومات المطلوبة وطرق التزود بها . وان جمع المعلومات سهل جدا وسريع في المستويات الصغرى [2] .

وفي مرحلة التصميم الاولي يستغني القائد عن كل المعلومات عن العدو . وبوسعه في هذه المرحلة ، من الناحية النظرية ، الاستغناء عن المعلومات ، واعتبار العدو عاملا مجهولا يعمل على أساس الفرضيات .

ولكن هناك خطورة من وضع فرضيات بدون الاستناد الى المعلومات .

---

(١) لا يتنافى هذا التعريف الذي أعطيناه عند بحث القائد والفرضيات والقائل بأن الفرضية هي احتمال ينصب على مجموعة من الاعمال المعادية لايستبعد وقوعها تمنع القائد من تنفيذ مهمته وتفيده في استنتاج اسلوب عمل لمناورته .

(٢) المرجع المذكور سابقا .

فليس من الممكن أن يضع القائد الامكانات ذاتها لعدو مؤلف من مجموعة من العصابات السرية ، وعدو مؤلف من جيش حديث مزود بالدبابات والمدفعية.

وعلى العكس ينبغي على القائد الذي اعتاد على محاربة عدو معين يعرفه معرفة جيدة أن لا يتجاهل تطوره ، والامكانات الجديدة التي يمكن أن يحصل عليها .

ويحتاج القائد للمعلومات ليضع فرضياته ولكي يصنفها . ومن واجب ادارة الاستخبارات (أو ادارة الاستطلاع) تزويده بها لكي لا يحدث اختلاف كبير جدا بين الفرضيات والامكانات الحقيقية للعدو . وبعبارات أخرى ، لكي لا تصبح الفرضيات غير كاملة ، وغير حقيقية ، ولكي لا تصنف في ترتيب لا علاقة له بالحقيقة .

ويحتاج القائد **عندما يضع تصميمه النهائي** الى تقدير حجم قوات العدو والتي يمكنها مجابهة كل جهد من الجهود الصديقة وزمن تدخلها . ولا يملك للقيام بمثل هذا العمل الا قاعدتين جديتين هما : الارض التي تحد امكانات تدخل القوات المعادية ، ومعلومات ادارة الاستخبارات .

وعندما يتخذ القائد قراره ، يفكر أساسا معتمدا على معلوماته عن العدو . ويتضمن التصميم في جوهره قرارات القائد المقبلة وخططها البديلة . ومن الممكن تحديد الفرضية التي يتخذ فيها كل قرار أو القرار الذي سيتخذ بناء على أية خطة بديلة . وهنا لا بد من الاشارة الى أن بوسع القائد أن يكون أثناء القتال رأيا شخصيا لعدو المستقبل ، ولكن المعلومات التي تقدمها ادارة الاستخبارات عما يجري في صفوف العدو وخلف خط التماس تتيح له آفاقا ذات مدى أوسع .

• • •

ويمكننا أن نستخلص مما تقدم استنتاجين أساسيين يتعلقان بحاجات القائد من المعلومات :

أولا : بوسع القائد دوما ، عند عدم توفر المعلومات ،أن يختار فكرة مناورة يبنيها على فرضيات لا تستند إلى المعلومات ، وأن يعاير (يوازن) الوسائط والمهمات استنادا الى الارض ، وأن يتخذ قراره عن الموقف الراهن : فلا يشكل الافتقار الى المعلومات عذراً لتردد القائد أو عطالته .

ولكن المعلومات ضرورية للقائد حتّى يتخذ موقفا صحيحا ازاء عدوه الحقيقي ، وليوازن وسائطه بصورة صحيحة وصائبة وغير تعسفية ، ولكي لا يقود مناورته تحت ضغط الظروف ولكي لا يغدو العوبة بيد العدو .

ثانيا : تنصب كل مطالب المعلومات على أعمال العدو في المستقبل . ويطالب القائد استخباراته دوما بوضع الشخصيات الضرورية عن سلوك عدوه المقبل لمساعدته في وضع فرضياته وتصنيفها ، ولمقارنة المسلك المحتمل للعدو بالفرضيات التي وضعها عنه .

وهنا لا بد من الاشارة بصورة موجزة الى عمل ادارة الاستخبارات عندما تبني عدو المستقبل وتضع تقديرها للموقف . ان الطلب الاساسي الذي يقدمه القائد لادارة المخابرات هو : ما هو وضع العدو ، وماذا يفعل ؟ وماذا سيصبح ، وماذا سيفعل ؟ أو : « هل سيقوم بالعمل الفلاني أو العمل الفلاني ؟ ويتضمن السؤال في كل الحالات : متى سيعمل ؟ »[1] فكيف تتصرف ادارة الاستخبارات ازاء هذه المشكلة . يضع مدير الاستخبارات نفسه في وضع رئيس هيئة أركان الوحدة المعادية الذي يعرف تمام المعرفة وضع وحدته ، ووسائطها ، وتأليفها ، ومعنوياتها ، وسلاحها ، وتمركزها (وتحشدها) ، ووسائط نقلها الخ .... ومن العبث الالحاح على هذه النقطة التي تتم عادة في كل الجيوش ، وفي كلا المعسكرين المتحاربين .

وهنا ينبغي أن نشير الى ملاحظة أساسية : يتعلق الوضع الذي يهم رئيس

---

(١) المرجع المذكور سابقا .

هيئة الاركان بالمستوى الذي يقوده . فرئيس هيئة أركان الجيش لا ينزل بالتفصيل الى وضع كتائبه ويهتم بها كما يهتم قائد الكتيبة بعدد الهاونات الصالحة للعمل .

وهكذا يضع رئيس الاركان امكانات وحدته الهجومية أو الدفاعية ، واتجاهاتها ، والاهداف التي تستطيع بلوغها . ويهتم في كل الحالات بحساب المهل الزمنية التي تحتاجها هذه العمليات ، ومتى يمكن أن تتم . فبعض الامكانات فورية ، وبعضها الآخر يتطلب وقتا .

وهنا لا بد من التساؤل كيف يتوصل رئيس الاركان الى تقدير امكانات وحدته ؟

ان التحليل الذي يتبعه تحليل بسيط : فهو يبتدىء على الشكل التالي :

ـ ان القطعة مدربة . ، ووراءها في المؤخرة سلاح جديد بكميات كافية. وهناك امكانية لتطوير الكفاءة القتالية للوحدة وزيادة فعاليتها .

ـ ان تعدادها ... وتملك عدة سرايا للنقل . وان شبكة المواصلات كثيفة . ومن الممكن أن تتحرك الى نقطة ... في مهلة ... أيام ... أو .. ساعات الخ ...

ـ ونظرا لتعدادها وتسليحها ومعنوياتها فان بوسعها أن تهاجم عدوا له كفاءة معينة على جبهة مؤلفة من ...

ونظرا لتمركز (تحشد) العدو الحالي ، وكثافة وسائطه ، وتمركز وحداته على الارض ، فان بوسعه أن يهاجم في الاتجاه ... في ظرف ... ساعات أو ...أيام .

وهنا نجد أنه اعتمد في تحليله على بعض النقاط . فقد اعتمد على القوة العددية في الوحدة لتقدير قيمتها ، وعلى عدد التجهيزات والمعدات ونوعيتها . واعتمد على عدد الآليات لتقدير امكانية حركة الوحدة التي تملكها ، والطرق المتوفرة

أمامها . واعتمد على تفوقها لتقدير قدرتها على الهجوم .... [١]

خطط المعلومات (خطة جمع المعلومات)

تنفذ ادارة الاستخبارات (أو ادارة الاستطلاع) مهمتين بآن واحد :

– الاولى ، مهمة خاصة مؤقتة مرتبطة بالمهمة التعبوية (التكتيكية) للقائد .

– والثانية ، مهمة عامة ودائمة .

وبما أن هذه المهمات معقدة ، فانها تقود إدارة الاستخبارات الى التفتيش عن المعلومات من كل الانواع . « ولكي يكون التفتيش عن المعلومات تاما ومتواصلا ، فمن الضروري وضع خطط جمع المعلومات »[٢] .

وخطة المعلومات وثيقة توضح تنفيذ مهمة ادارة الاستخبارات . ومن واجب القيادة وضع الخطوط الكبرى لخطط المعلومات . ويقع على عاتق ادارة الاستخبارات تنفيذ هذه الخطط بوضعها بصورة كاملة .

ولادارة الاستخبارات **خطة عامة لجمع المعلومات** تطابق المهمة العامة لها .

وهناك خطة تشكل وثيقة عامة **لا** توزع مبدئيا الى مستوى أقل من مستوى الجيش ، تحدد المعلومات الدائمة التي تهم القيادة العامة ، وتكلف بعض السلطات العليا في البحث عنها . وتكون هذه الخطة موجودة منذ أيام السلم . وتضع ادارة الاستخبارات في المستويات العليا ـ استنادا الى هذه الوثيقة ـ معلوماتها العامة عن العدو . وتوضع بعض مقتطفات من هذه الوثيقة في لوائح نفير الوحدات ، وتشكل هذه المقتطفات القاعدة الاساسية التي تستند اليها عند

---

(١) المرجع المذكور سابقا .

(٢) المرجع المذكور سابقا في الملحوظة رقم ٢ .

دراسة العدو وبعد استدعائها . وتنشر المستويات العليا أثناء العمليات معلومات دورية تكمل هذه الوثيقة .

خطة المعلومات الخاصة :

تهدف كل خطة لجمع المعلومات الى توضيح تنفيذ مهمة خاصة بادارة الاستخبارات لمهمة (واجب تعبوي) تكتيكية تلقاها القائد .

ويعني أداء المهمة الخاصة بالنسبة لادارة الاستخبارات تزويد القائد بالمعلومات التي يحتاج اليها للقيام بالخطوات الفكرية المتتالية التي يتضمنها تنفيذ مهمته التعبوية (التكتيكية) . وتتضمن الخطة مطالب القائد من المعلومات . ويطلب القائد دوما من أجهزة استخباراته واستطلاعه مقارنة السلوك المحتمل للعدو الحقيقي بالعدو الافتراضي ، ولكن اهتمامات القائد تنصب على جزء واسع الى حد ما ، تبعا للخطوة الفكرية التي يقوم بها . ويتحدد المطلب النهائي للمعلومات في النهاية بالخطوة الفكرية التي يعدها القائد من جهة ، وبكل الفرضيات الاولية أو بجزء منها من جهة أخرى .

وهناك طريقة سهلة تشتمل على وضع خطة جمع المعلومات بشكل جدول مؤلف من أعمدة (انظر الجدول في الصفحات المقبلة...) .

ان الخطوات الفكرية الموجودة في العمود الاول من الجدول هي القرارات. وتوضع قدر الامكان في جدول أسبقيات وخلفها القرارات البديلة .

ويؤخذ كل قرار استنادا الى فرضية القرار ذاته . وتطابق كل خطة بديلة فرضية بديلة لفرضية القرار . وتوضع في العمود الثاني من الخطة الذي تكتب فيه « **الفرضيات التي ينبغي التحقق منها** » ، توضع الفرضيات المختلفة للقرار الى جانب القرارات المسجلة سابقا في العمود الاول . وتوضع الفرضيات البديلة الى جانب القرارات البديلة .

والعمود الثالث من الخطة هو « السلطات المختصة » . ونجد أن القائد هو في مقدمة السلطات المعنية ، ولكن كل خطوة فكرية يتخذها القائد تعني مهمات لمرؤوسيه . وتعني كل مهمة من المهمات مواجهة عمل يقوم به العدو ، أو يعتبر عملا محتملا . لذا فان المعلومات تهم القائد وتهم مرؤوسه الذي تلقى هذه المهمة ليتمكن من تصميم مناورته أو اتخاذ قرار تنفيذها .

وفي العمود الرابع ، هناك الوقت الذي ينبغي أن تعطى فيه المعلومات المطلوبة ويحدد الوقت عادة قبل البدء بتنفيذ القرار .

هذا العمود هو أهم الاعمدة ، ويصطدم واضع الخطة بصعوبات كبيرة عند املائه .

وغالبا ما تحدد ساعة تنفيذ القرار بصورة مسبقة . ومن السهل في هذه الحالة وضع التاريخ والساعة في العمود الرابع .

ولكن ساعة التنفيذ أثناء القتال لا تحدد الا تبعا لتطور المعركة الصديقة ، أو بناء على ايقاع المعركة الذي يفرضه العدو . وعندئذ يشار بالملاحظة التالية : « عندما تصل الوحدات الصديقة الى النقطة .... » أو « عندما يصل العدو الى المنطقة ... » . وغالبا ما يكتفي بوضع الملاحظة التالية : « متى أمكن ذلك » وذلك بالنسبة للمعلومات العاجلة .

ويمثل الوقت المحدد في العمود الرابع بصورة عامة آخر لحظة ينبغي أن يتخذ القرار فيها ، سواء وصلت المعلومات أم لم تصل . على أن ادارة الاستخبارات لا تمتنع عن اعلام القائد فور حصولها على الخبر ، ولكن ينبغي عليها مع ذلك أن لا تضايق القائد بانذاره كلما وصل اليها خبر من الاخبار . وأفضل الطرق المتبعة لتزويد القائد بالمعلومات هي تزويده بنشرة معلومات دورية (استخبارات) ، وتحديد الاوقات التي ينبغي أن تقدم فيها هذه النشرات .

ومن المألوف أن تقسم ادارة الاستخبارات العمود الرابع الى عمودين صغيرين : تضع في العمود الاول الوقت الذي ينبغي أن تبلغ فيه المعلومات ، وتضع في العمود الثاني الوقت الذي ينبغي أن تخرج فيه المعلومات أو الخبر من ادارة الاستخبارات . وستبدو أهمية العمود الثاني عندما ندرس وضع خطة استقصاء المعلومات .

وأخيرا من الممكن أن تتخذ خطة المعلومات الخاصة الشكل التالي :

القرارات التي ينبغي أن تتخذ أو تصدق	الفرضيات التي ينبغي التحقق منها	السلطات المختصة بالتحقق	الوقت الذي ينبغي فيه للمعلومات		ملاحظات
			أن تصل الى السلطات	أن تغادر ادارة المخابرات	

ينبغي على ادارة الاستخبارات أن لا تعتبر خطة المعلومات الخاصة وثيقة لا يمكن المساس بها توضع بعد التصميم الاولي وصالحة حتى تنفيذ المهمة . فكل تعديل في المهمة وفي المناورة وفي الفرضيات ، سواء حدث أثناء وضع التصميم أو أثناء ادارة المناورات يؤدي الى تعديل الخطة . كما يتعرض العمود الرابع لكثير من التعديلات . وهذا ما يعبر عنه النظام [1] عندما يقول « ان خطة المعلومات الخاصة في تطور مستمر » .

---

(١) المرجع المذكور سابقا في اللغة الفرنسية – الفصل الثاني – المقطع ٢٤ .

السلطة التي تضع خطة المعلومات الخاصة :

ان القائد هو الذي يحدد لادارة الاستخبارات مهمتها الخاصة . ويحددها أولا عندما يضع الفرضيات ويصنفها . ولكنه لا يضمن فهم ادارة الاستخبارات له فهما تاما وواضحا بعد وضع مسودة التصميم الا اذا حدد لهذه الادارة **المعلومات الاساسية** التي سيعتمد عليها ليكون فكرة عن طريقة حركة فرضياته، **والوقت** الذي يريد فيه هذه المعلومات .

والخلاصة ، ينبغي على القائد أن يصمم خطة المعلومات الخاصة في خطوطها الكبرى . اما وضع الخطة بشكلها النهائي فيتم بالتعاون بين ادارة الاستخبارات وادارة العمليات [١] .

وادارة العمليات هي التي تملأ العمود الاول . وهي وحدها التي تضع العناصر الضرورية لملء العمود الثالث والرابع .

والحقيقة ، يبنى تصميم القائد على خطتين لا تنفصل الواحدة عن الاخرى، هي خطة المناورة (أو التعاون في بعض الجيوش) ، وهي الخطة التي تضعها ادارة العمليات ، وخطة المعلومات الخاصة التي تضعها ادارة الاستخبارات (او المخابرات ــ او الاستطلاع) . وتوضع الخطتان من قبل الادارتين بصورة مشتركة ، كما يملأ العمودان الاولان في خطة المعلومات الخاصة من محتويات خطة المناورة .

الخطة العامة للمعلومات :

أهداف الخطة العامة للمعلومات

ان المهمة العامة لادارة الاستخبارات هي جمع كل المعلومات عن العدو . على أن كل ادارات الاستخبارات الموجودة في التشكيلات العسكرية لا تهتم

---

(١) أو بين الشعبتين الثانية والثالثة في بعض الجيوش العربية والاجنبية .

كلها – بمعرفة كل شيء عن العدو . فمخابرات مجموعة الجيوش لا تهتم أبدا بنقاط الاستناد [1] الموجودة على طول خط التماس . ولا تهتم ادارة استطلاع الفرقة بمعرفة مقر القيادة العامة للقوات المسلحة المعادية ، فذلك ليس من اختصاصها ولا يهمها في كثير أو قليل . وتهتم ادارة الاستخبارات كلها في التشكيلات العسكرية بمعرفة العدو ، ومتابعة التفتيش عن المعلومات المتعلقة به.

ان الخطة العامة للمعلومات **جدول تصنف فيه كل المعلومات التي يشترك في التفتيش عنها كل ادارات الاستخبارات ، ويوزع هذا الجدول فيما بين الادارات مسؤولية التفتيش والبحث عن المعلومات حسب طبيعتها .**

وينظم كل جهاز المعلومات طبقا للمبدأ القائل بضرورة اهتمام كل ادارة بالمعلومات الهامة لها . ولكن هناك بالطبع معلومات تهم في الوقت نفسه عدة مستويات في التسلسل ، وهناك أيضا معلومات تهم كل المستويات ، وتمارس كل الادارات بالتالي مسؤولية مشتركة في البحث عنها وجمعها .

وبالاضافة الى هذا ، تلعب الصدفة دورا كبيرا في التقاط المعلومات ، وينبغي أن تسمح الخطة العامة لادارة استخبارات وحدة كبرى من الوحدات، التي التقطت عن طريق الصدفة خبرا لا يهمها بمعرفة الجهة التي ينبغي أن تبلغ اليها هذا الخبر ، وطريقة تبليغه .

وتوضع الخطة العامة للمعلومات منذ أيام السلم ، اذ يضع مسرح العمليات جدولا بالمعلومات المطلوبة وطريقة تبليغ السلطات المعنية بها . ومن ثم يكمل هذا الجدول بالمعلومات التي تطلبها الوحدات التابعة للمسرح . ومن هذا العمل تخرج الخطة العامة المشتركة لكل ادارات الاستخبارات في المناطق والوحدات.

---

(١) نقطة الاستناد هي موضع دفاعي دائري تحتله سرية معززة او اقل .



الفصل الحادي عشر

القائد والفرضيات

تمهيد :

ليس الهدف من هذا البحث أن نتحدث مطولا عن الطريقة التي يستخدمها القائد لحل مشكلة من المشاكل التعبوية (التكنيكية) التي تعترضه ، ولا كيفية اعتماده على المعلومات لحل هذه المعضلة ، بل ان الهدف هو تحديد قسطه من المسؤولية في مجال تحديد خصمه وأهدافه واحتمالات علمه ، وعمله في المستويات التعبوية ، أي في المستويات التي لا يحدد فيها مهمته لنفسه ، وانما يتلقاها من المستوى الاعلى .

« **ان معرفة العدو شرط ضروري في كل مستويات القيادة** » كما تلح وتؤكد على ذلك كل الانظمة العسكرية لتبرز بهذا الشكل الاهمية الرئيسية لعامل العدو في المناورة أو المعركة .

والآن لنتساءل كيف نتلقى معلوماتنا عن الخصم ؟ لا شك أن هناك ادارات متخصصة في كل بلد ، وفي كل جيش ، وفي كل تنظيم عسكري ثوري أو تقليدي لجمع المعلومات عن العدو ، وغربلتها ومقارنتها وتمحيصها وتصنيفها. الا ان العدو عامل متبدل ، ومهما كانت معلوماتنا عنه صحيحة ودقيقة يبقى جزء هام مجهول عنه . وبالاضافة الى هذا ، هل يمكن أن نعرف خصمنا معرفة دقيقة وتامة وكاملة ؟ والجواب كلا .. لان من المستحيل اختراق الحجب

منه هي مقاطعته بالتحقق منه بعنصر معلومات آخر [١] . وبعد التحقق منه وتصنيفه تبدأ عملية هامة تسمى عملية استثمار المعلومات وتحليلها وتركيبها . وتعتبر هذه العملية من أهم عمليات ادارات الاستخبارات ، لان جمع المعلومات عملية ممكنة ولكن غربلتها ومقارنتها وتمحيصها وتصنيفهاواستثمارها وابلاغ المسؤولين عنها في الوقت المحدد ، وتحليلها وتركيبها من جديد ، وتوقع اعمال العدو المقبلة من خلالها هي أهم عملية ينبغي أن تقوم بها هذه الادارات . وتسمى هذه العملية تقدير موقف الاستخبارات [٢] اذ تضع فيه التشخيص الكامل لاعمال العدو في المستقبل استنادا الى النتائج التي حصلت عليها .

الاستنتاجات العامة :

وهكذا نرى أن دراسة العدو تتم بآن واحد على خطين متوازين : يضع القائد باستمرار جدولا باحتياجاته من المعلومات ، وتتابع ادارة الاستخبارات او الاستطلاع تطور الوضع المعادي باستمرار والامكانات الناجمة عنه .

وينتظم ايقاع هذين العملين باستلام المهمة ، واتخاذ القرار ، أو القرارات المتتالية ، وبدء العمل ونهايته ، وانعطاف التطور المعادي . وهنا نجد لحظات لا بد فيها من مقابلة وجهة نظر القيادة بوجهة نظر الادارات المتخصصة بجمع المعلومات . ولكن التعاون بين القائد والادارات العاملة في هيئة أركانه تعاون دائم ومستمر في هذا المجال .

ان الحرب الشاملة تعني تدخل العدو في كل مكان وفي كل لحظة وفي كل الميادين . وقد امتد نشاط العدو ، الذي كان في الماضي محصورا في خط

---

(١) المرجع المذكور سابقا .
(٢) Syntèse .

التماس . فشمل المؤخرات القريبة ، ثم سرعان ما امتد فشمل المؤخرات البعيدة ، حتى أصبح النشاط الحربي في يومنا هذا يمس كل مواطن أينما كان : غارات كثيفة على المدن ، أعمال تخريب ، مهاجمة معنويات السكان ، تدمير الروابط والصلات القومية .

وتحتاج كل الادارات والمصالح [1] اليوم للمعلومات عن العدو . فالمصالح الادارية بحاجة للمعلومات عن العدو كي تنظم حركة قوافلها ، ولتأسيس مستودعاتها . كما أن ادارة الافراد بحاجة الى المعلومات لكي تتوقع الخسائر التي قد يلحقها العدو بمراكز التجنيد في المؤخرات ، بالاضافة الى الخسائر في ساحة القتال ، كيما تكون قادرة على وضع سياسة صحيحة للافراد .

وقد أصبح عامل العدو في عصرنا هذا تقنيا أكثر من اللازم ، ولا تستطيع ادارة الاستخبارات وحدها وبوسائلها الخاصة تقديره وتقدير امكاناته . فهي مضطرة الى الاستعانة باختصاصيين من الادارات الاخرى ، وباختصاصيين مدنيين أيضا . ومن العمل المشترك لمختلف الادارات والاختصاصيين المدنيين والعسكريين ، نحصل على دراسة موضوعية عن العدو . وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن العدو لا يفقد حرية عمله لاننا نحاول تجميدها وتقييدها أو تحديدها . وهكذا نجد أن عمل ادارة العمليات بالتعاون مع الادارات الاخرى من أخطر الاعمال وأدقها . وان بناء القرارات على وضع عدو معروف بصورة مسبقة يعني اختيار طريق محفوف بالاخطار . ومن الواجب أن يكون القائد مستعدا لاحباط أعمال العدو الممكنة بعد تحليل منطقي ، مستند الى معرفة كافية بوضعنا ووضع العدو . وانه بالفعل لامر في منتهى الصعوبة [2] . وعلى القائد أن يسعى الى عدم ترك المبادأة بيد العدو ، وأن ينتزعها بكل الوسائل الممكنة .

---

(١) الخدمات والصنوف في بعض الجيوش . (٢) المرجع السابق .

وتوضع هذه الخطة في سجل نفير كل وحدة كبرى ، عندما تستدعى للعمل أثناء الحرب .

مضمون الخطة العامة للمعلومات والوثائق المرفقة بها :

هذه الخطة عبارة عن جداول ومصنفات ، وسنتعرض فقط للموضوعات التي تعالجها ، اذ لا يستهدف هذا البحث تقديم النماذج التي تستخدمها ادارات الاستخبارات لهذا الغرض ، لان هذا الموضوع يحتاج الى بحث طويل ودراسة خاصة .

تنقسم الوثائق المستخدمة في ادارات الاستخبارات الى ثلاث مجموعات :

- الوثائق التي **تبحث العدو في حد ذاته** (قوات العدو)
- الوثائق التي **تبحث العدو على الارض .**
- الوثائق التي **تبحث دراسة الارض واستخدام العدو المحتمل لكل تضاريسها.**

ونجد في المجموعة الاولى الوثائق التالية :

- مصنفات خاصة بوحدات العدو الكبرى .
- مصنفات خاصة بوحدات العدو الصغرى .
- جدول أبجدي باسماء ضباط العدو .
- جدول بشارات القطعات .
- جدول بالقطاعات البريدية لوحدات العدو .

ونجد في المجموعة الثانية :

- خريطة بترتيب العدو ، تبين وحداته في خط التماس .
- خريطة بترتب العدو وبوحداته المعروفة في المؤخرات [1] .

---

(١) او خريطة الموقف العام او الموقف الخاص بالعدو ، وخريطة الاستخبارات (المعلومات

- خريطة تبين خطة نيران العدو .
- خريطة تبين توزيع مدفعية العدو وصواريخه .
- خريطة دفاعات العدو وتحصيناته .
- خريطة تبين نشاطاته القريبة .
- خريطة تبين تحركاته ونشاطاته البعيدة الخ .

وتشتمل المجموعة الثالثة :

- خريطة الاراضي الصالحة لقتال الدبابات .
- خريطة تبين المساتر والحواجز (الموانع الطبيعية ، والاصطناعية) .
- خريطة للمسالك والطرق والتحصينات الخ ...

وتصنف الوحدات الكبرى المعلومات العامة التي تتلقاها من قيادة مسرح العمليات أو قيادة الجبهة أو القيادة العامة على الشكل التالي :

- تنظيم وحدات العدو .
- تجنيد وحدات العدو (خطة نفير العدو) .
- طرق العدو التعبوية (التكتيكية) .
- التنظيم الاداري (اللوجيستي) .
- نفسية العدو (المعنويات) .
- خصائص عتاد العدو وتجهيزاته ومميزاتهما الخ ...

وتسجل ادارة الاستخبارات بالاضافة الى كل هذا النشاط الجوي المعادي يوميا ، لان المعلومات عن نشاطه الجوي معلومات أساسية في العمليات. وتتلقاها من المستويات العليا أو من القيادات الجوية الموضوعة تحت تصرفها .

وهنا لا بد من الاشارة الى عمل اساسي تقوم به ادارة الاستخبارات وهو التحقق من الخبر قبل استخدامه . اذ تلجأ ادارة الاستخبارات الى ثلاثة أعمال رئيسية هي : التحقق من الخبر ، وتفسيره وتصنيفه . وأفضل طريقة للتأكد

للوصول الى نواياه ، لانها خاضعة لتبدلات عديدة ، كما أنها خاضعة أيضا لمزاج القائد المعادي . فمن المعروف أن بعض القادة يغيرون نواياهم بين لحظة وأخرى .

وبالاضافة الى هذا ، عندما نخطط لعملية عسكرية فاننا لا نخططها للعدو الذي جمعنا المعلومات عنه بالامس أو قبله ، وانما نخططها ضد عدو المستقبل . فضد هذا العدو بالذات الذي غيّرَ وضعه وترتيبه ينبغي أن ننفذ مهمتنا (واجبنا) ومناورتنا . وهكذا نجد أن الساحة واسعة جدا أمامنا لافتراضات عن سلوكه المقبل .

وهل هذا يعني أن يتجمد فكر القائد أمام الصعوبات التي يتضمنها التعامل مع عدو متبدل ومتغير باستمرار ، وان يبني خططه مستندا الى عدو محدد وثابت ؟ كلا .. اذ لا بد لفكر القائد من أن يتصور ويتخيل ويفترض . ولنتابع معا الآن السياق الفكري للقائد منذ اللحظة التي يتلقى فيها المهمة لنعرف كيف يفكر ويخطط .

ان اول شيء بالنسبة اليه هو **معرفة ماذا يعمل ؟ وكيف يعمل ؟ولماذا يعمل ؟**

تبدو هذه القاعدة أساسية ، وذات قيمة عالمية ، وقد تظهر طبيعية جدا . الا أن صعوبتها تكمن في التطبيق .

فقبل القيام بأية عملية من العمليات ، لا بد من معرفة النتيجة التي نتطلع اليها وطريقة تحقيق هذه النتيجة ، حقا ، ان النتيجة التي ينبغي تحقيقها ستتجسد على الارض ، لكنها قبل كل شيء نتيجة ينبغي تحقيقها ضد قوات العدو ، لاننا نقاتل ضده لا ضد الارض ، وسيحدد تدميره نجاح المناورة المنفذة .

ولكن عند هذه النقطة من التفكير ، لا بد أن نتساءل ، ما هي القوى التي يملكها القائد لدراسة مشكلته عن العدو ومعالجتها ؟

فلو أن القائد عرف مسبقا ما سيكون عليه وضع العدو ، وما سيفعله في لحظة التنفيذ ، اذن لكان في وسعه تصميم مناورته بسهولة . ولكنه لن يعرف عن العدو الحقيقي الذي يملك القدرة على تعريض مناورته للاخفاق الا الشيء القليل عندما يتلقى مهمته باستثناء المعلومات العامة جدا التي يزوده بها المسؤول عن المعلومات ، أو ادارة الاستطلاع في فرقته أو في جيشه ، مع أن هذا العدو في تطور وتبدل مستمر . فهل يتوقف القائد عن العمل حتى تصله معلومات أفضل ، وبذلك يربط نفسه بعجلة خصمه ، أم يستمر في تصميمه مهما كانت النتائج . هنا في هذه المرحلة تتبدى ارادة القائد ، هذه الارادة التي ينبغي أن تسيطر . فافتقاره الى المعلومات لا يبرر افتقاره الى تصميم خطته .

وهكذا نرى أن القائد مدعو الى القيام بافتراضات عن أعمال العدو المحتملة وتكون هذه الافتراضات مستندة الى أسس متينة سنتحدث عنها مفصلا فيما بعد ، ولكن من الطبيعي ، أن يبني القائد مناورته بصورة أولية على أساس افتراضي عن خصمه .

ويقال أن القائد يصمم مناورته استنادا الى عدو مفترض .

وعند تنفيذ المهمة ، يكون أول اهتمام لهذا القائد هوأن يكشف الستار عن هذا العدو المفترض وأن يحاول التوصل الى وضعه الحقيقي ، ولهذا فانه يطرح على ادارة الاستطلاع لديه (أو الشعبة الثانية ، أو ادارة المخابرات ، أو ادارة الاستخبارات ، أو المسؤول عن المعلومات) عددا من الاسئلة المتلائمة مع المعلومات الاساسية التي ستسمح له بالتحقق من صحة فرضياته ، أو اعادة تحوير مناورته آخذا التطور المعادي بعين الاعتبار .

وفي مرحلة التنفيذ هذه ، وعندما يضع القائد نفسه في مرحلة القرار الذي يتخذه ، يرى اضمحلال الطابع الافتراضي للعدو بالمعلومات الملتقطة ردا على أسئلته من جهة، ومن جهة أخرى لان جزءآمن المناورة المقررة محدودة في

المدة والمكان (المجال) ، ولا يسمح للعدو بتبديل امكاناته الراهنة كثيرا .

وعلى العموم فان القائد يتخذ قراره بناء على المعلومات التي بحث فيها ، ويقال هنا ان القائد يناور استنادا الى المعلومات .

ويقودنا هذا التحليل للخطوات الفكرية للقائد الى تقسيم هذا البحث الى ثلاثة أجزاء :

أ ــ العدو على مستوى التصميم وفي مرحلة الفكرة .

ب ــ العدو على مستوى القرار وفي مرحلة التنفيذ .

وهناك جزء آخر يربط بين هذين الجزئين هو احتياجات القائد للمعلومات ومطالبه منها .

° ° °

أ ــ العدو على مستوى التصميم :

هنا نرى أن هناك عاملا مزدوجا هو العدو المجهول والعدو في المستقبل . ويضطر هذا العامل القائد الى وضع وتصور فرضيات عن الاعمال الممكنة لعدوه لانه لا يعرف عنه الا اشياء عامة مضى عليها زمن طويل .

ولكن ما هي الاسس التي تستند عليها فرضياته ؟

ــ يستند القائد أولا على الفرضيات التي تلقاها من المستوى الاعلى : اذ يبني هذه الفرضيات ويضعها مستندا الى الافكار التي كونها رئيسه عن عدوه ، والتي نجمت عنها المهمة التي أعطاها اليه .

ــ ثانيا يستند القائد الى المهمة التي تلقاها . فمن هذه المهمة المدروسة على الارض ، وفي اطار المكان والزمان تتكون لديه منها فكرة تحقيقها بطريقة معينة . وتنطبع هذه الفكرة بارادة تحقيق المهمة لانه اذا كان قائد المستوى

الاعلى هو الذي أعطاها ، فان ذلك يعني أنه يعتبرها ممكنة التحقيق بالرغم من العدو الذي يستطيع مقاومة تحقيقها .

— وأخيرا يستند القائد الى الارض ذاتها التي سينفذ فيها المهمة أو الواجب ، والتي يستخدمها العدو ليمنع تحقيقها . والارض عامل ثابت ومؤكد ، بالرغم من أن العدو وقد استطاع تعديل خصائصها ، ولكن هذه التعديلات من تحصينات أو أسلاك شائكة مرئية بالرغم من الاخفاء والتمويه . وينبغي أن يكون الهدف هنا هو أن يجيب القائد على السؤال التالي :

« في الوضع الذي أعرفه ، كيف سيستخدم العدو الارض ليقاوم مهمتي ويعرقلها ويمنع تنفيذها ؟ »

وأخيرا فان القائد يستند الى معرفته عن العدو — أي ما يعرفه بصورة مؤكدة في اللحظة التي تلقى فيها المهمة — وهو يعرف في هذه اللحظة مسلك العدو السابق وموقفه الحالي .

تعطي المعلومات التي يملكها بالاضافة الى كل هذا ، فكرة صحيحة الى حد ما عن قوة عدوه . وترتبط هذه القوة بعدد وحداته ، وطبيعتها وقيمتها .

ويأخذ القائد بعين الاعتبار الوحدات المتمركزة والوحدات التي يمكن أن تدخل (وبخاصة الوحدات الجوية والمدرعة) أثناء تنفيذ مهمته ، وتوزيعها على الارض جبهة وعمقا ، وأعمال تحصين الارض ، وقابلية الحركة التعبوية والادارية « اللوجيستية » التي يتيحها الموقف الجوي العام . ولكن القائد غالباً ما يجهل هذه العناصر ، أو غالبا ما يعرفها معرفة غير تامة .

ويستند القائد أيضا في فرضياته الى حد كبير على عقيدة الخصم العسكرية وعلى أساليب القتال التي يستخدمها في غالب الاحيان .

والخلاصة إذا أردنا أن لا نبني فرضياتنا على الرمال ، من الممكن أن نحلل وضع عدونا ضمن اطار الفرضيات التي تتلقاها من المستوى الاعلى ، أو في

مواجهة المهمة التي تلقيناها ، وهي عنصر ثابت ، ومن ثم في مواجهة الطريقة التي نريد استخدامها لتنفيذ هذه المهمة (الواجب) . وفي الحالتين ، في وسعنا أن ندرس العدو كما نعرفه ، وكما يمكن أن يتطور والطريقة التي سيستخدم الارض فيها لمقاومة تنفيذنا للمهمة .

ومن هذه الدراسة التي نقوم بها ينتج عدد معين من الاعمال المعادية الممكنة التي تتم بصورة متتابعة ، أو بآن واحد . وينبغي أن يواجه القائد كل امكانية يملكها العدو للعمل ضد المهمة ، وضمن اطار المدة المحددة لها . ولا يجوز استبعاد أي احتمال ممكن . ويجمع القائد كل الامكانات التي تستهدف تحقيق هدف واحد ويتوصل بهذا الشكل الى جمع كل ما يستطيع العدو عمله في عدد ضيق من الامكانات العامة .

هذه الامكانات العامة ، عند مقارنتها بالمهمة التي تلقاها القائد ، تصبح فرضيات .

فما هي الفرضية ؟

يبدو من المستحسن تعريف الفرضية ، لان الآراء تتباين حول هذا الموضوع فبالنسبة للبعض ليست الفرضية سوى **مناورة مفترضة للعدو** ، وهذا يعني أنها مجموعة كل الامكانات الاولية التي يستطيع العدو تنفيذها . وأي تبديل في اختيار الامكانات الاولية يؤدي حتما الى انعكاسات على الامكانات الاخرى، وتكون هناك مناورة أخرى ، فمثلا : يتضمن تبديل اتجاه الهجوم تبديل الهدف ، أو على الاقل تعديلا في احتلال الهدف المنتقى . ويقودنا التعريف اذن بسرعة الى تعدد في الفرضيات .

ومن الافضل للقائد أن يضع فرضيته « كمجموعة من الامكانات المعادية العامة التي تتم بآن واحد ، والتي لها نفس التأثير على مهمته ومناورته » .

وبالاضافة الى هذا ، فان لكل مستوى من مستويات القيادة معضلاته

الخاصة . وينبغي أن توضع الفرضية طبقا لمستوى اهتمامات ومشاغل القائد او المعضلات التي يواجهها . ولهذا فانني اقترح التعريف التالي :

« ان الفرضية هي احتمال ينصب على مجموعة من الاعمال المعادية لايستبعد وقوعها ، تمنع القائد من تنفيذمهمتهوتفيده في استنتاج أسلوب عمل لمناورته ».

وعندما يتلقى القائد المهمة يطلب فورا : أي قبل وضع التصميم الاولي لمناورته « مسودة المناورة » ، يطلب من ادارة استخباراته دراسات عامة ، كما يطلب من المكاتب الاخرى والادارات دراسات معينة توضع تبعا للمهمة .

وبهذا الشكل تستطيع ادارة الاستخبارات (او الاستطلاع) أن تقول له ما يلي :

ـ هذا هو العدو الذي نعرفه ، (ويعطونه وضع العدو الحالي أو أيضا :

ـ وهذا هو العدو كما نعرفه ، وهذا ما يستطيع عمله ضد تنفيذ مهمتنا . (تقدير موقف أولي لادارة الاستخبارات) .

ب ـ قد لا يطلب القائد من أركانه ومكاتبه أية دراسة ، اذ ينكب على تحليل مهمته ويكون عنها فكرة أولية للمناورة ، ويحدد العناصر الاساسية ، **الهدف ، الجهد الرئيسي ، تغطية الجهد ، والايقاع** (شدة الزخم) . ثم يعدد فرضياته عن العدو ، طبقا للمناورة التي أعد فكرتها الاولية . وبعد أن تصبح الفرضيات جاهزة لديه ، يتساءل ما اذا كان من الضروري أن يتمسك بتصميمه الاولي أو أن يقوم بتعديله .

ويعني بناء الفرضيات بالنسبة للقائد الاجابة على الاسئلة التالية :

١ ـ كيف سيستخدم العدو كما أعرفه حتى الآن ـ وبخاصة كما سيتطور عند تنفيذ مهمتي ـ الارض لمنعي من تحقيقها في كل مجالها وطيلة مدة تنفيذها.

وتتجاوب هذه اللعبة المزدوجة من الفرضيات مع تدرج التصور والتصميم – وتدرج الفرضيات الموضوعة بصورة أولية بمساعدة مدير الاستخبارات (او الاستطلاع) ، أو بناء على المعلومات العامة التي يملكها القائد عن خصمه ، ومن دراسة مهمته ، ومن الفرضيات التي وضعها المستوى الاعلى اذا عمل القائد لوحده دون معونة رئيس استخباراته (المخابرات الحربية أو ادارة الاستطلاع) ، وهي فرضيات تتوضح فيما بعد بعد تحليل المهمة ، وبعد وضع فكرة المناورة الاولية ، وبمقارنة هذه الفكرة مع امكانات العدو لمجابهتها .

ويسعى القائد الى تقليص هذه الفرضيات الى اثنتين أو ثلاث . لان المناورة الفعالة هي المناورة البسيطة . وينبغي أن يتوقع القائد مقاومة فعالة من الخصم ، وأن يتصور بالتالي لعبة خصمه في عدد صغير من الفرضيات البسيطة . واذا ما وضع القائد عدة فرضيات ، ضاع في احتمالات متعددة لا فائدة منها للمناورة وتقلل من تصميمه وعناده .

كيف يقلص القائد عدد الفرضيات عن خصمه ، وما هي سبل تحقيق ذلك ؟

ان التعريف الذي أعطيناه هو العنصر الاول للتقليل من عدد الفرضيات . والعنصر الثاني هو ضرورة البقاء ضمن اطار المعلومات عن العدو التي أعطاها له المستوى الاعلى . هذان العنصران يبسطان الفرضيات الى حد كبير .

وأخيرا ، فان العنصر الأخير هو المدد الزمنية الضرورية قبل تنفيذ المناورة . فكلما ازداد الوقت المتاح للخصم قبل تنفيذ مهمتنا ، تعددت أعماله الممكنة . ولا يأخذ القائد بعين الاعتبار الا المدد الزمنية اللازمة له لتنفيذ مهمته .

كيف نحدد هذه الفرضيات ؟

في الهجوم ، ينبغي أن ترتبط الفرضيات بعمق أرض منطقة عمل الوحدة التي يقودها القائد ، استنادا الى وسائل العدو الممكنة في منطقة عمله ، واستنادا الى ما تقدمه الارض عمقا من تسهيلات لمقاومة تقدمنا .

مثال :

وهنا تكون الفرضيات على الشكل التالي :

– « يستطيع العدو أن يقاوم على خط التماس الحالي من ... الى ... (ضمن حدود منطقة عملنا) . وتتيح له الارض بصورة طبيعية مواقع ممتازة ، بالاضافة الى تحصيناته ودفاعاته ، لذا فالوضع ملائم جدا لدفاعه » .

– « قد يشن العدو على خط التماس قتالا تأخيريا ... وقد ينتظرني على الخط ... ولكن الارض هنا لا تتيح له كثيرا من الامكانيات للتشبث بالارض نظرا لعدم وجود ساحة رؤية أمامه أولا تتيح له ساحة مناورة لدباباته ... يتحكم في هذه المنطقة التل رقم ... » .

– « يستطيع العدو المقاومة في ... : فالارض تتيح له هنا امكانات جيدة للمقاومة . وهنا تبرز أهمية التل ... لديه طرق عرضا نية لتحريك قواته الاحتياطية الخ ...

والخلاصة ، تبنى الفرضيات عند الهجوم عمقا داخل الترتيب المعادي .

أما في الدفاع فان ما يهمنا أساسا هو الاتجاه العام للجهد المعادي ، وتبنى الفرضيات في الدفاع تبعا لاتجاهات الجهد الممكنة ، أي عرضا .

مثال : ... لنفترض هنا أننا ندافع عن منطقة الجولان كما كانت قبل هزيمة غام ١٩٦٧ ...نجد أن الفرضيات هي ثلاث على عرض منطقة الجولان

– العدو يركز جهده الرئيسي ضد واسط (فرضية واسط)

ـ العدو يركز جهده الرئيسي ضد مسعده (فرضية مسعده)
ـ العدو يركز جهده الرئيسي ضد العليقة (فرضية العايقة)

ولكن ما هي أهداف هذه الفرضيات ؟

عندما توضع الفرضيات ، ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار . وتفصل المناورة على أساسها . ولكن اذا منح القائد لكل فرضية منها القيمة ذاتها ، بدد وقته ، وكانت لعبته التي سيلعبها في المرتبة الثانية بعد خصمه . وسيبقى عاطلا عن العمل ، وسيتلقى ضربات العدو ، أو يجابه كل الفرضيات بآن واحد . وبسبب هذا سيكون عاجزا عن تركيز جهده على الاتجاه الذي يراه أساسياً . وتفقد مناورته كل قيمتها .

قويا في كل مكان يصبح ضعيفا في كل مكان

ولهذا ينبغي على القائد بعد تحليله لمناورته الدفاعية أو الهجومية وتحليله للارض ، وتحليله لعادات العدو ولاسلوبه في القتال ، ولعقيدته العسكرية أن يعطي هذه الفرضيات أسبقيات معينة ، وأن يصنفها . وهنا يكون العمل الرئيسي للقائد الذي يعرف هدفه وما يريد عمله وكيف سينفذ هذا العمل .

ما هو المعيار الذي سيسمح بهذا التصنيف ؟

من المألوف في الجيوش ، وفي الوحدات الكبرى أن يتحدث مدير الاستخبارات (رئيس الشعبة الثاقية أو رئيس الاستطلاع) وكأنه يمثل رئيس هيئة أركان الوحدة المعادية المتحشدة أمامه دفاعيا أو هجوميا . ويحلل كل الامكانات الناجمة عن الوضع دون تصنيف هذه الامكانات . غير أنه يحللها ويبين الفروق في مدد التنفيذ والتحقيق فيما بينها . هذه الطريقة منطقية ودقيقة وتضع أسسا جيدة لمناورة القائد ، وتكون متكأ للقائد عند اتخاذ قراره الاولي. ولكن اذا كان القائد مترددا فانها ستضعه في مقطورة ردود فعل العدو .

ومن المستحسن ، بل من الاسهل لهذا التصنيف اتخاذ المعيارين التاليين :

– معيار **الاعاقة** في عمل هجومي .

– معيار **الخطر** في عمل دفاعي

فالعدو رقم ١ سيكون العدو الذي تتضمنه الفرضية التي تعتبر أكثر اعاقة لنا أو أكثر خطرا علينا لتنفيذ مهمتنا . ثم نضع فيما بعد بالترتيب الفرضيات الاقل خطرا والاقل اعاقة . ويبني القائد مناورته الهجومية أو الدفاعية على العدو رقم ١ (الفرضية الاولى) ويكون واثقا من مواجهته في قتال رئيسي . ويتخذ كل التدابير . **وهذه نقطة أساسية** لمواجهة الفرضيات الاخرى . وسنعود الى هذه النقطة فيما بعد .

ما هي أسس هذا التصنيف ؟

أ – في وضع هجومي . حيث يكون جهدنا قويا جد . يلعب خصمنا في المرتبة الثانية اذ نلعب نحن الدور الاول .

فاذا كان العدو مناورا – وهنا علينا دوما أن نعتمد على أن **خصمنا** مناور حتما – يمكننا أن نتوقع وجود **جهد العدو الرئيسي** حيثما ركزنا جهدنا الرئيسي . (وهنا تكمن فائدة الهجوم ضمن حدود منطقة العمل . فاذا هاجمنا على حد فيلق من الفيالق ، يحدث رد الفعل على مستوى الجيش . ويحتاج تدخل الجيش الى مدد زمنية . وله نتائج أولية أسهل ، كما يمكن أن تكون النتائج حاسمة أيضا . وهذا ما يفسر الطريقة الالمانية التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية والتي تتضمن وجود جهاز احتياطي للقيادة يتولى مسؤولية مناطق الحدود بين الوحدات) .

وتكون أكثر الفرضيات اعاقة ، اذا ما عمقنا تحليلنا كي نصل الى آثار الفرضيات على المناورة . هي الفرضية التي يوقفنا الخصم خلالها عن التقدم ، أي أنها الفرضية التي تعرقل الهجوم وتعوقه ، اما بتدمير وسائلنا ، او بابطال

ارادة القائد (آثار ونتائج معنوية) . وتتلائم الفرضية الاولى وتتطابق مع الحد الاقصى من التسهيلات التي تتيحها الارض لخصمنا للتشبث بالارض سواء أكانت طبيعية أو اصطناعية .

هذه الفرضية هي التي تتوقع تفكك هجوم القائد مع تقدمه عبر الارض الدفاعية لخصمه . اذ ما يكاد يتقدم حتى يفقد قوته . على حين يملك المدافع المهل الزمنية اللازمة للمجابهة . وهذا العامل ثابت بالنسبة لخصمنا الدائم نظرا لتبديله طبيعة الارض ونظرا لتنسيق امكاناته الدفاعية عمقا ، والمؤلفة من عدة مستعمرات مترابطة بينها دفاعيا ، انتقيت مواقعها بناء على اختيار سوقي أو تعبوي ، وأضيفت اليها كل الدفاعات والتحصينات الضرورية . أي أن الجهد الدفاعي فيها منسق عمقا .

وهكذا يظهر لنا أن الفرضية المعوقة ، هي الفرضية التي نحتاج فيها الى وقت ومجال لكي ننهي مهمتنا .

مثال _ ... لو قامت وحدة من الوحدات بهجوم من جسر بنات يعقوب (منطقة الجولان) ، فان تصنيف الفرضيات يتم على الشكل التالي:

١ ـ العدو ينتظرنا على خط نجمة الصبح ـ مرتفعات روشبينا ـ حيث يسد علينا منافذ الهجوم الى صفد أو طبريا (فرضية روشبينا) .

٢ ـ العدو سيدافع عن يسود هامالا ـ مشمار هايردن ـ المرتفعات المشرفة على نهر الاردن (فرضية هايردن) .

والواقع أن فرضية روشبينا أكثر اعاقة لانه بدءا من مضيق روشبينا لا تسمح الارض بالاقتحام وتحتاج الى جهود جبارة ، وستكون الوحدات التي عبرت النهر قد تعبت بعد قتال يوم كامل الخ ... وفي وسع خصمنا في هذه المنطقة أن يتلقى وحدات احتياطية من عدة مناطق أساسية الخ ... على حين نجد أن الفرضية الثانية أسهل للقائد لان ترتيبه داخل أراضيه ، وقاعدته النارية

موجودة ، وقد أفاد من عامل المفاجأة ، وكانت وحداته طازجة ، وكانت مدد تدخل قواته الاحتياطية قليلة الخ .

ب – في وضع دفاعي : لا يمكن تطبيق التحليل السابق لان العدو يملك المبادأة . وتكون أخطر فرضية يواجهها قائد الدفاع هي الفرضية التي تسمح للعدو بالحصول بأقصى سرعة على نتائج حاسمة ، أي أنها الفرضية التي تفكك ترتيبه الدفاعي بصورة أكبر .

ويؤدي التفكك في ترتيبه الدفاعي الى تحطيم الرباط التعبوي بين وحداته ، ويلغي قدرته على التعاون في مناورة واحدة ، ويضعه تحت رحمة الخصم ليدمر قواته جزءا اثر جزء .

مثال : ... لنأخذ الجولان مثلا قبل عام ١٩٦٧ ... فان أخطر فرضية تقابلها جبهة الجولان هي الهجوم على واسط بجهد رئيسي ، اذ أن الوصول اليها سيتم بأقصر طريق وسيضع القوات المهاجمة على عتبة القنيطرة عاصمة الجولان ... وستتيح هذه الفرضية للقوات المهاجمة الالتفاف على الجزء الرئيسي من قوات قطاعين ... الخ ...

٧ – كيف يتدخل معيار الاحتمال في هذا التصنيف ؟

يسمح تطور الوضع المعادي في السابق ، والظروف العامة ، وبعض المعلومات التي ترد أثناء تصميم المناورة باعطاء طابع أكيد الاحتمال لاحدى الفرضيات . ومن الممكن أحيانا – ولكن بحكمة وتعقل – لان من الضروري أن يكون القائد متفائلا عند وضع تصميمه ،أن نعدل تصنيف الفرضيات ، تبعا لدرجة احتمالها الموضوع أساسا بالاستناد الى مبدأي الاعاقة والتهديد .

على أن هناك حقيقة أساسية ، وهي أن التصنيف عمل من أعمال القائد ، يرتبط بتقديره الشخصي ارتباطا انسانيا ، وبالتالي فانه تصنيف ذاتي ... وقد يرد البعض كم من الامثلة التاريخية دلت على أن الفرضية التي اعتبرها القائد

أقل الفرضيات خطرا ، هي الفرضية التي لعبها العدو ونتج منها مفاجآت ومآسي ، فكان الجيش ضحية هذا التصنيف الذاتي للقائد . ان سبب ذلك يعود الى أن القائد استعرض الفرضيات الاخرى وتوصل اليها ، ولكنه استبعدها ولم يتبنَّ منها الا أكثرها خطرا واعاقة ، فركب مناورة جامدة مبنية على فرضية واحدة . ويعود السبب في ذلك أيضا الى أنه قدَّرَ أن الفرضيات التي وضعها لا يمكن للعدو أن يلعبها كلها . وهنا نصل الى النقطة الاساسية التي نريد التركيز عليها .

٨ ــ ان الفرضيات متداخلة بعضها مع بعض :

ولا يعني ذلك أن العدو لن يكون في وسعه أن يقوم فيما بعد بعمل من الاعمال اذا قام بعمل آخر . ان معرفة وسائل العدو ، وتمركزها يعطينا طابعا احتماليا كبيرا الى حدٍ ما لهذه الفرضية أو تلك . ولكنه لا يمنعه من لعب الفرضيات الاخرى .

فمثلا . عندما قدرنا أن العدو سيركز جهده على فرضية واسط ، فذلك لا يعني أنه لا يستطيع تركيز جهده على مسعده ، أو العليقة . وكذلك عندما تبنينا فرضية روشبينا . فهذا لا يعني أن العدو لن يقاوم على خط التماس معنا الخ .. وقد يستطيع العدو لو ملك تفوقا يعادل الثلث في قطاع من القطاعات أو جبهة من الجبهات أن يقوم بهجوم « مِجْوَب » Emporte - Piéce في كل منطقة العمل .

فما هي النتائج التي نستخلصها على مستوى التصميم من عدم استقلال الفرضيات؟

اذا ركزنا مناورتنا على عدو الفرضية الاولى ، فهذا لا يعني أننا سنهمل الفرضيات الاخرى .

ــ **ففي الوضع الهجومي** الذي عالجناه ينبغي أن تكون مناورتنا مركبة للقضاء على خصم فرضية هايردن وفرضية روشبينا . ومن المحتمل الى حد كبير أن

تكون الفرضية الثانية هي الفرضية التي يلعبها العدو ، لان لدى القائد معلومات كبيرة عنها . ولكن ينبغي أن تكون مناورة القائد مؤلفة من تشكيلات متتابعة يرتبط بعضها ببعض ، وان يكون الترتيبان متوازيين ليسمحا بلعبة مختلفة في حالة ما اذا لم يلعب الخصم الفرضية الاولى ولعب الثانية ، واليكم الفرضيات البديلة :

اذا اعتبر القائد أن فرضية روشبينا ضعيفة الاحتمال ، وصنفها في المرتبة الثانية ، فان مناورته ستكون مختلفة كل الاختلاف ، ولأمكن أن يعد استثمارا سريعا حالما يعالج العدو في الفرضية الاولى .

– وفي وضع دفاعي اذا كنا الاضعف ، فان المناورة تتركز على العدو رقم ١ . ولكننا نتخذ التدابير لمواجهة الفرضيات الاخرى ، وينبغي أن تكون هذه التدابير معدة بشكل تعالج المهل الضرورية ، دون خسارة للارض يمكن أن تسيء الى النجاح النهائي ، أو الى تبديل محور الجهد الرئيسي . ولنرسم هذه الفكرة بمخطط . فاننا نرى عندئذ أن التصميم يعتمد على ف ١ ، بالنسبة للوسائط الموضوعة الى أمام ، أو الوسائط الاحتياطية ، لكن القائد قد أعد التوزيع الضروري لاتخاذ التدابير الملائمة للفرضيتين ف١ – ف ٢ .

وينبغي أن لا ننسى هنا أن كل هذا الاسلوب يعتمد هنا ، حتى مستوى الفيلق ، على مبدأ أساسي ، وهو عدم امكان الوحدات الكبرى تقديم سوى جهد رئيسي واحد . اما الجيش ففي وسعه أن يقدم جهدين او ثلاثة جهود رئيسية .

وعلى العموم ، يضع القائد كل الفرضيات في تصميمه ، وتعتمد فكرة مناورته على تصنيفها . اما الاختيار فهو التصنيف ، وليس الفرضية رقم ١ . ولكن في هذا العمل التصنيفي الاساسي ، يمكن للقائد أن ينخدع لأن التقدير شخصي أساسا . وتفرض الحكمة على القائد اذن أن يجعل مناورته مرنة وأن يعد التدابير التي ألمحنا اليها والتي نسميها **الخطط البديلة** .

فما هي الخطة البديلة ؟

ان الخطة البديلة مناورة جديدة معدة ، لها نفس هدف المناورة الاولية ، وترتبط بها في لحظات أو أمكنة معينة ، لكنها تعدل محور الجهد الاولي أو الايقاع (الزخم) ، عندما تقتضي الضرورة

استثمار ظروف ملائمة . وتعتمد الخطة عندئذ على تصنيف للفرضيات مختلف عن التصميم الاولي .

وغالبا ما تكون هذه الخطة **وضعا ناتجا** في بعض الاحيان عن التنفيذ الذي سيعطي عنصر تقدير ايجابي لقيمة التوقعات . فاذا ابتعد الوضع الناتج بصورة ملائمة أو غير ملائمة عن التصميم الاولي ، فذلك دليل على نقض الفرضيات . وعندئذ من الواجب تبديل التصميم ولعب خطة بديلة .

ولنلاحظ هنا أن القائد عندما يضع خطته مستندا الى فرضيات مصنفة فان ذلك لا يمنعه أحيانا من بذل كل ما يستطيع كي لا يلعب خصمه الفرضية الأولى .

وليس من مصلحة القائد أن يلعب خصمه اللعبة التي يعتبرها أخطر اللعب وأكثرها اعاقة. ومما لاشك فيه أن مناورته ستكون مركبة بحيث تواجه العدو الذي إعتبره اكثر اعاقة وأكثر خطرا عندما يتبنى خصمه الفرضية الاولى للعمل ضده

وسأفسر ذلك بحالة واقعية :

رأينا أن فرضية روشبينا هي أخطر الفرضيات . ومن الطبيعي أن تنظم مناورة القائد لمواجهتها بكل وسائله مجتمعة اذا ما نفذها خصمه . هذه المناورة تتضمن ثلاث مراحل ، الحرق والعبور بالقوة ، ومهاجمة موقع محصن ، والاستثمار ، ومهاجمة موقع محصن أيضا .

غير أن القائد بمعونة رؤسائه سيبذل كل ما يستطيع لتدمير مقاومة عدو الفرضية الاولى ، وذلك بالالتفاف عليه من الحدود اللبنانية وتدمير مضائق

روشبينا باستخدام القصف الجوي ، واحتلال مفارق الطرق المؤدية منها الى طبريا وصفد لمنع النجدات القادمة اليها ، والنزول بوحدات مظلية أو منقولة بالهيليوكوبتر فوق هضبة جبل كنعان ... مع عزل المنطقة جويا عزلا كاملا وتجريدها ... وتسلل عصابات ثورية لنصب الكمائن على كل الطرق المؤدية اليها الخ ... مع جهد ثانوي خداعي تشتيتي في اتجاه آخر ...

ب ــ احتياجات القائد ومطالبه من المعلومات :

يبني القائد مناورته ضد عدو مفترض . ويبذل كل اهتمامه في انطباق مناورته على العدو الحقيقي ، وكما هو الواقع . ولذا يحتاج هذا القائد الى المعلومات باستمرار ليعدل ترتيبه بشكل يتلاءم مع هذا العدو .

ولهذا فانه يحدد لمرؤوسيه ما يريده من معلومات عن العدو وأين ومتى يريد هذه المعلومات .

ان ما يريد القائد معرفته هو ما في وسع العدو أن يفعله حقا لمواجهة مناورته ، وما اذا كان العدو ، في لحظة تنفيذ مناورة القائد ، مختلفا عما رآه وتصوره استنادا الى معلوماته عنه عندما وضع تصميمه .

وهدف البحث عن المعلومـــات هو تحديد طابع الاحتمال ، وصدق كل فرضية من الفرضيات الموضوعة ، ونفي أو اثبات تصنيفها واكتشاف كل عمل لا يتوقعه القائد في الوقت الملائم . أين ومتى ؟ يحدد التصميم النقاط من الارض التي تصل اليها المناورة ويحتاج القائد فيها الى معلومات جديدة يطالب أجهزة استطلاعه ومعلوماته للحصول عليها . وهناك نقاط أخرى يحتاج القائد بدءاً منها الى معلومات لان التمييز بين المناورة الاصلية وخططها البديلة يتم في هذه النقاط . وهذه النقاط هي نهايات مرحلة من مراحل العمل السابق ، وبدايات مرحلة جديدة .

ج ـ العدو على مستوى القرار :

يضع القائد في تصميمه مراحل التنفيذ المتتابعة . وتستهدف كل مرحلة منها تحقيق هدف جزئي ... ومن المتعارف عليه أن يعطي القائد قراره بالتنفيذ لكل مرحلة من هذه المراحل . وعندئذ يكون القائد ـ اتخذ موقفه . وقرر أن يلعب لعبته مستندا الى فرضية عـامة واحدة . وتختلف هذه الفرضية عن الفرضيات التي وضعها في تصميمه من ناحيتين :

أ ـ اذ أن الفرضية تقتصر على عدو أقل ، وعلى أعمال متقاربة في الزمان والمجال ، لا تتبدل كثيرا ، الامر الذي يتيح له طابعا واضحا في التنبؤ لا تتسم به فرضيات التصميم .

ب ـ انها تتضمن مختلف الاعمال المعادية التي دخلت ضمن اطار فرضيات التصميم المختلفة .

والخلاصة ، ان **فرضية القرار هي افتراض يستند الى كل الاعمال المعادية التي يستعد القائد لملاقاتها ، طيلة المدة التي يستهدفها القرار وفي منطقة عمله .**

ويشكل تصور العدو في هذا القرار فرضية واحدة . وهي فرضية . لان المعلومات التي استطعنا الحصول عليها ، نادراً ما تقضي على الطابع الافتراضي لهذا العدو . فمهما كانت قيمة المعلومات التي لدينا عن هذا العدو ، لا بد للقائد من الحسم واتخاذ القرار ، لان الافتقار الى المعلومات لا يبرر العطالة ، والعمل هو السبيل الوحيد للقضاء على الشكوك .

ولكن عندما يتخذ القائد قراره بالمرحلة الاولى من المناورة ، يبر . ـ يسهتخذ ضمانات هدفها الحفاظ على حرية عمل كافية تسمح له بالقيام بلعبته أنبولة في كل فرضيات المرحلة التالية من المناورة ، وخططها البديلة وليواجه كل ما لا يتوقعه . **فكيف تتخذ الضمانات وأين تكمن ؟**

إنها تمكن في المعلومات وفي الترتيب

أ ـ في المعلومات :

رأينا أن القائد على مستوى التصميم ، قد حدد المعلومات الضرورية لقيادة مناورته . أي أنه حددها بغية اتخاذ قراراته استنادا اليها . أي أنه وجه أجهزة الاستطلاع والمعلومات (المكتب الثاني) للتفتيش عن المعلومات التي يريدها لانضاج قراره .

فاذا استطاعت أجهزة الاستطلاع والمعلومات الحصول عليها ، تمكن من اتخاذ قراره بالحصول على جدول بوضع خصمه كما تعرفه أجهزة استطلاعه . ويتمكن القائد عندئذ من توضيح العدو المستهدف بقراره

ب ـ في الترتيب :

ينبغي أن يكون الترتيب متوازنا ، وأن يتضمن في طياته كل امكانات المناورة في مختلف الاحتمالات .

وأخيرا لا بد من بضع كلمات عن الوضع غير المتوقع الذي يعتبر القاعدة الاساسية في الحرب .

عندما يتفحص القائد بعمق اللعبة المعادية ، ويضع فرضياته ، وهو يعرف ما يريد عمله ضد العدو الذي يمكن أن يكون الاخطر أو الاكثر اعاقة ، يكون قد استبعد في الحقيقة كل الاحتمالات غير المتوقعة . ولكن قد تبدو لعبة العدو في التنفيذ مختلفة كل الاختلاف . ومن المهم بالنسبة للقائد أن يكون مزودا بالمعلومات عن كل ما هو غير متوقع في الوقت الملائم . ويحتاج القائد أيضا الى فكر مرن يتكيف مع الظروف والاوضاع ليواجه كل المواقف ، وليقوم بمهمته مهما لعب العدو من مناورات متوقعة أو غير متوقعة .

الاستنتاج :

والخلاصة فان القائد ، **على مستوى التصميم :**

– يحدد العدو المفترض استنادا الى فرضيات المستوى الاعلى ؛ وضمن اطار المهمة التي تلقاها ، والارض التي سيعمل عليها أكثر من استناده الى المعلومات المحدودة التي يتلقاها من أجهزه استطلاعه بصورة أولية عن الوضع الحقيقي للعدو .

– يصنف هذه الفرضيات حسب خطورتها أو اعاقتها ، وقد يتعرض هذا التصنيف للتعديل بمعيار احتمال وقوعها .

– يضع تفاصيل تصميمه استنادا الى هذه الفرضيات المصنفة .

– يعد الخطط البديلة لمناورته بشكل يتطابق مع تغيير تصنيف الفرضيات ، ويقرر تنفيذها اذا دعت الضرورة الى ذلك .

– يحدد المعلومات الضرورية لمناورته ، وهي معلومات لا تستهدف الا اعطاء طابع الاحتمال أو عدمه لفرضياته ، واكتشاف الامور غير المتوقعة في الوقت الملائم .

على مستوى القرار :

– يقرر الفرضية العامة الواحدة التي سيبني على أساسها مناورته في كل مرحلة من مراحل العمل .

– وتقع هذه الدراسة في « الدايلما » الاحراج الثاني ذي الحدين المعروفين للمناورة « البعدية » [1] أو « القبلية » [2] . ولهاتين المناورتين ميزات وسيئات .

(١ و ٢) Aposteriore و Apriori أي بعد الوضع ، وقبل الوضع .

فقد كتب الجنرال غودريان في كتابه : « ذكريات جندي » ما يلي : قبل أن يقرر القائد عمله ، يجتهد للحصول على ترتيب خصمه وتوزيع قوات عدوه بصورة واضحة ودقيقة وتامة . وعندما يحصل على ذلك يسير قراره ضمن خطة رتيبة تقريبا . وقد قبلنا مبدءا يتضمن عدم اشتباك القائد المعادي معنا ما دمنا في حركة مستمرة . وطبقا للمبادىء الفرنسية ، لا بد لهذا القائد من أن ينتظر وصول المعلومات عن خصمه ليتخذ قراره . لذا ينبغي علينا أن نتركه وسط الشك . ولكي يكون محاطا بضباب الشك بصورة مستمرة من الافضل لنا أن نتابع تحركنا .

وقد كتب المارشال جوان يقيم هاتين الطريقتين :

« ان وضع قرار القائد استنادا الى عدو معروف جيدا ، ولا يتبدل في مسلكه يعني الدخول في سبيل من أخطر السبل ، لان ذلك يعني وضع المناورة « بصورة مسبقة » (قبلية) . والانتظار للحصول على معلومات لاتخاذ القرار يعني اختيار مناورة (بعدية) ، وهي مناورة تتيح للعدو كل حرية العمل . ان فن الحرب يقع بين هاتين النهايتين المتطرفتين .

أفليس من الممكن تصميم مناورة تتبع فيها ارادة القائد الخط الذي رسمه لنفسه ، وأن تكون مرنة وقادرة على تبديل سيرها اذا كان هناك من فائدة لهذا التبديل ، أو اذا اضطر القائد الى ذلك . ان الهدف في النهاية هو وضع تصميم للمناورة يتمتع بمرونة كافية ويتضمن كل امكانات دحر الخصم في مختلف الاحتمالات ، وتقرير ما يمكن تنفيذه دون تعديل كبير بسبب العدو ، مع المحافظة على فكر مرن يستطيع مواجهة كل ما هو غير متوقع . وهو ما لخصه الجنرال مونتغمري بالعبارات التالية : « ان على القائد العسكري أن يقرر

الطريقة التي سيخوض فيها معركته قبل أن تبدأ .... وينبغي أن يتخذ تدابيره بشكل يتجاهل فيه ردود فعل العدو ، وأن يتابع خطته الخاصة حتى مرحلة النجاح ، مركزا بهذا الشكل على الارادة » . ولكن مونتغمري أضاف الى قوله : « وعلى القائد أيضا أن يعمل كل ما في وسعه للتنبؤ بردود فعل خصمه . وأن يتخذ التدابير السريعة ليحول دون منعه من تحقيق خطته الخاصة . وينبغي عليه أن يكون متقدما دوما على خصمه بحركة من الحركات » .

المراجع

١ – الحرب الميكانيكية – تأليف الجنرال فوللر – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .

٢ – نحو استراتيجية عربية جديدة – منشورات دار الطليعة – بيروت .

٣ – ادارة الحرب – تأليف الجنرال فوللر – منشورات دار اليقظة العربية للطباعة والنشر .

٤ – الاختيار الصعب بين الهجوم والدفاع – تأليف ليدل هارت – منشورات دار الطليعة – بيروت .

٥ – العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو – تأليف فريق أول ركن عبد المحسن كامل مرتجى ، ولواء ركن مظلي د. محمود خيري بنونه – منشورات المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر .

٦ – هانوي تحت القنابل – تأليف ولفريد بورشيت – منشورات دار الارشاد – بيروت .

٧ – الحرب الثورية في فيتنام – تأليف الكولونيل جابر ييل بونيه – منشورات دار الطليعة – بيروت .

٨ – الذكاء والقيم المعنوية في الحرب – تأليف الجنرال بيريه – منشورات دار الطليعة – بيروت .

٩ – في الحرب – تأليف كارل فون كلاوزفيتز – منشورات الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة .

١٠ – الاستراتيجية وتاريخها في العالم – تأليف ليدل هارت – منشورات دار الطليعة – بيروت .

١١ – حد السيف – تأليف الجنرال شارل ديغول – منشورات دار الطليعة – بيروت .

الفهـــــــرس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٩٥ لسنة ١٩٨٤



صمم الغلاف: عماد حليم



منذ أن غزت الحرب ميادين النشاط البشري كلها، وأصبحت تستخدم مختلف الوسائل المادية والنفسية لتحقيق أغراضها، أصبحت مهنة العمل الحربي من اصعب المهن وأشقها، وأصبح القائد العسكري مضطرا لمواجهة وضع متبدل باستمرار، يتطلب منه القيام بمحاكمات عقلية سريعة، تعتمد على ما يمتلكه من معلومات ومعطيات، بالإضافة الى توقعاته حول نوايا الخصم وتدابيره.

وهذا الكتاب محاولة لبحث بعض المواضيع الاستراتيجية والعسكرية، ووضع أسس العمل الفكري الذي يقوم به القائد عندما تواجهه معضلة من المعضلات. وهو دعوة عقلانية لفهم آلية العمل الفكري للقائد، كوسيلة لبناء جهاز عسكري، يعمل تحت قيادة قادة قادرين على التلاؤم مع مختلف الأوضاع القتالية.

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١ / ٨٠٧٩٠٠
برقيا موكيالي بيروت - ص.ب ٥٤٦٠ / ١١ بيروت

طبع الغلاف بمطابع دار آفاق عربية

الثمن ديناران ونصف